بسم الله الرحمن الرحيم

تحفة العلية
في شرح خطبة الحيدرية

ISBN 978-9922-9465-1-1

9 789922 946511

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٤٥٤ لسنة ٢٠٢٠

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC : BP193.1.A2 I25 2020

المؤلف الشخصي : ابن حبيب الله، محمد، كان حيا ٨٨١ للهجرة - مؤلف.

العنوان :تحفة العلية في شرح خطابات الحيدرية: شرح نهج البلاغة /

بيان المسؤولية : افصح الدين محمد بن حبيب الله بن أحمد الحسني الحسيني؛ تحقيق السيد علي الحسني؛ تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي.

بيانات الطبع : الطبعة الاولى.

بيانات النشر : كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢١ / ١٤٤٢ للهجرة.

الوصف المادي : ٧ مجلد: صور طبق الاصل؛ ٢٤ سم.

سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة؛ ٧٦٢).

سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٩٠؛ سلسلة تحقيق المخطوطات ، ١٣).

تبصرة ببليوجرافية: يتضمن مراجع ببليوجرافية.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة -٤٠ للهجرة – حديث.

مصطلح موضوعي: الخطب الدينية الإسلامية.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية.

اسم مؤلف اضافي: شرح لـ (عمل): الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.

اسم مؤلف اضافي: الحسني، علي - محقق.

اسم مؤلف اضافي: الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة – مقدم.

اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة تحقيق المخطوطات (١٣)
وحدة تحقيق الشروحات

تحفة العلية في شرح خطابة الحيدرية

لأفصح الدين محمد بن حبيب الله بن أحمد الحسني الحسيني
من أعلام القرن الثامن الهجري

الجزء السادس

تحقيق
السيد علي الحسيني الكربلائي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

ومن كتاب له عليه السّلام إلى جرير بن عبد اللّه البجلي، لما أرسله إلى معاوية:

روى أنّ جريراً أقام عند معاوية حين أرسله عليه السّلام حتّى أتّهمه الناس.

وقال: قد وقّتّ لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً أو عاصياً. وأبطئ حتّى أيس منه. فكتب إليه بعد ذلك هذا الكتاب. فلمّا انتهى إليه أتى معاوية فأقرأه إيّاه وقال: يا معاوية إنّه لا يطبع على قلب إلّا بذنب ولا يشرح إلّا بتوبة، ولا أظنّ قلبك إلّا مطبوعاً، أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنظر شيئاً في يد غيرك.

فقال معاوية: ألقاك بالفصل في أوّل مجلس إنشاء الله. ثمّ أخذ في بيعة أهل الشام فلمّا انتظم أمره لقى جريراً وقال له: الحق بصاحبك وأعلمه بالحرب. فقدم جرير إليه عليه السّلام.

والكتاب هذا.

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ: فصل الأمر وقطعه **وخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ**: يكون فيها ذليلا مهاناً مقهوراً، وفي ذكر الإجلاء والإهانة على التقديرين تخويف وتهديد وإشعار بأنّه عليه السّلام في الأمرين ظاهر ظافر، وله غالب قاهر لعله يتذكّر أو يخشى.

فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ: أمره على تقدير اختياره للحرب أن يرميه بالإعلام بها ويلقى الوعيد بإيقاعها من قبله عليه السّلام ويجهر له بذلك من غير مداهنة ومداراة كقوله تعالى ﴿وإِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ﴾[1] **وإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ والسَّلامُ.**

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨ .

ملتقط من كتاب كتبه إلى معاوية جواب كتابه إليه؛ وصورة كتاب معاوية: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب. سلام عليك. فإنّي أحمد إليك الله الَّذي لا إله إلَّا هو: أمّا بعد فإنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه والرسول إلى خلقه واجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم وأنصفهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمان المظلوم؛ فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت؛ عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك البجر وفي تنفّسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء. وفي كلّ ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره؛ ثمّ لم يكن لك لأحد منهم حسداً مثل ما منك لابن عمّك عثمان وكان أحقّهم أن لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبّحت محاسنه وألَّبت عليه الناس وبطنت وظهرت حتّى ضربت إليه آباط الإبل وقيدت إليه الخيل العتاق، وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقتل معك في المحلَّة وأنت تسمع في داره الهايعة لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل، واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من أمره مقاما تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه، وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواؤك قتلة عثمان فهم عضدك، وأنصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي إنّك تَنَصَّلُ من دمه فإن كنت صادقا فأمكنّا من قتلة عثمان نقتلهم به ونحن من أسرع الناس إليك، وإلَّا فإنّه ليس لك، ولأصحابك إلَّا السيف والَّذي لا إله غيره لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبرّ والبحر حتّى يقتلهم الله أو لنلحقنّ أرواحنا بالله. والسلام. ثمّ دفع الكتاب إلى أبي مسلم الخولانيّ فقدم به الكوفة فكتب عليه السّلام جوابه: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي

سفيان أمّا بعد فإنّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما أنعم الله عليه من الهدى والوحي؛ فالحمد لله الَّذي صدّقه الوعد وتمّم له النصر ومكَّن له في البلاد وأظهره على أهل العداوة والشَّنآن من قومه الَّذين وثبتوا به وشنعوا له وأظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه، وأَلَبّوُا عليه العرب، وجامعوه على حربه وجهدوا عليه وعلى أصحابه كلّ الجهد وقلَّبوا له الأمور حتّى ظهر أمر الله وهم كارهون.

وكان أشدّ الناس عليه أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلَّا من عصم الله منهم.

يا بن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، ولقد أقدمت؛ فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيّه محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر أو كداعي مسدّده إلى النضال، وذكرت أنّ الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّدهم به فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام وكان أفضلهم في الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصدّيق وخليفة الخليفة الفاروق، ولعمري إنّ مكانهما في الإسلام لعظيم، وأنّ المصائب بهما لجرح في الإسلام شديد يرحمها الله، وجزاهما بأحسن ما عملا. غير أنّك ذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمة، وما أنت والصدّيق فالصدّيق من صدّق بحقّنا، وأبطل باطل عدوّنا، وما أنت والفاروق فالفاروق من فرّق بيننا وبين أعدائنا.

وذكرت أنّ عثمان كان في الفضل ثالثاً؛ فإن يك عثمان محسناً فسيلقى ربّاً غفوراً لا يتعاظمه ذنب يغفره، ولعمري إنّي لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر؛ إنّ

محمّداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمّا دعا إلى الإيمان بالله، والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به وصدّق ما جاء به فلبثنا أحوالاً وما يعبد الله في الربع ساكن من العرب غيرنا ثمّ يتّصل به.

قوله: فأراد قومنا إلى قوله: نار الحرب؛ ثمّ يتّصل به أن قال: وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يؤاكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتّى يدفع إليهم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقتلونه ويمثّلوا به فلم يكن نأمن فيهم إلَّا من موسم إلى موسم؛ ثمّ يتّصل به قوله: فعزم الله إلى قوله: بمكان أمن. ثمّ يتّصل به أن قال: فكان ذلك ما شاء الله أن يكون؛ ثمّ أمر الله رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالهجرة ثمّ أمره بعد ذلك بقتل المشركين؛ ثمّ يتّصل به قوله: فكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أحمرّ البأس إلى قوله: أُخّرت ويتّصل به أن قال: والله وليّ الإحسان إليهم والامتنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات فما سمعت بأحد هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في طاعة ربّه ولا أصبر على الأذى والضرار حين البأس ومواطن المكروه مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من هؤلاء النفر الَّذين سمّيت؛ كذلك وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله بأحسن أعمالهم.

ثمّ ما أنت والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات؛ لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخّر حيث أخّرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر، وإنّك لذهّاب في التيه روّاغ عن القصد لا ترى غير متجار لك لكن بنعمة الله أُحدّث؛ ثمّ يتّصل به أوّل الكلام المذكور في كتابه إلى معاوية وهو من محاسن الكتب؛ إلى قوله عليه السّلام: توكَّلت.

ثمّ يتّصل به قوله من ذلك الكتاب: وذكرت أنّه ليس لي ولأصحابي؛ إلى آخره. ثمّ يتّصل به قوله: ولعمري. إلى آخر، وهذا خبط عجيب من السيّد رضي الله عنه مع وجود كتبه عليه السّلام في كثير من التواريخ ولنرجع إلى الشرح فنقول: أنّه عليه السّلام أجاب عن كلّ فصل من كلام معاوية بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من يقرب إليه من بني هاشم وفضيلتهم في الإسلام والكفر في جواب تفضيل معاوية لغيره عليه حيث قال في صدر كتابه في ذكر محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: واجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده بهم؛ إلى قوله: والثالث الخليفة المظلوم عثمان، وصدر هذا الفصل من قوله: ولعمري إنّي لأرجو. إلى قوله: الأوفر.

إيماء إلى أنّه أفضل الجماعة لأنّ النصيب الأوفر من الثواب إذا كان على قدر الفضيلة كان مستلزما للأفضليّة.

وقوله: إنّ محمّداً؛ إلى قوله: ومنيّته أُخّرت؛ شرح لفضيلته وفضيلة أهل بيته، وتقرير لما أشار إليه من دعوى الأفضليّة وهو يجرى مجرى قياس ضمير من الشكل الأوّل[1]، وتقريرها أنّ هذه الحال المشروحة من كوننا أوّل آمن بالله، وصدّق ما جاء به وعبده، وصبر على بلائه ومجاهدة أعدائه مع رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الصبر المشروح إلى الغاية المذكورة، وقد سبقت منّا الإشارة إلى أنّه عليه السّلام أوّل من عبد الله تعالى مع الرسول صلَّى الله عليه -وآله -وسلَّم هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين، وأنّهم بقوا على ذلك عدّة سنين يتعبّدون

(١) قياس الضمير من الشكل الأول: هو من القياسات المنطقية ضمن الأشكال الأربعة، والقياس: قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنه لذاته قول آخر، ومعناه المركب التام الخبري، فيعم القضية الواحدة والأكثر، ولا يسع المقام لتفصيل أكثر؛ يُنظر المنطق للشيخ محمد رضا المظفر: ص ٢٢٥.

بشعاب مكَّة وغيرها سرّاً، وكانت المشركون يبالغون في أذاهم، وقيل: إنّ المشركين بعد ظهور النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالنبوّة لم تنكر عليه قريش حتّى سبّ آلهتهم فأنكروا عليه وبالغوا في أذاه وأغروا به صبيانهم فرموه بالحجارة حتّى أدموا عقبه وبالغوا في أذى المسلمين؛ فأمرهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخروج إلى الحبشة فخرج في الهجرة إليها أحد عشر رجلاً منهم عثمان بن عفّان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم فخرجوا في طلبهم إلى النجّاشي فلم يمكّنهم منهم ولم يزالوا يبالغون في أذى الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويعملون الحيلة في هلاكه، وروى أحمد في مسنده [1] عن ابن عبّاس قال: إنّ الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمّدا قمنا إليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتّى نقتله.

قال: فأقبلت فاطمه عليها السّلام حتّى دخلت عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته بقولهم وقالت له: لو قد رأوك لقتلوك وليس منهم رجل إلَّا وقد عرف نصيبه من دمك؛ فقال: يا بنيّتي أريني وضوءا؛ فتوضّأ ثمّ دخل عليهم المسجد. فلمّا رأوه غضّوا أبصارهم ثمّ قالوا: ها هو ذا، ها هو ذا ثمّ لم يقم إليه منهم أحد فأقبل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتّى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: شاهت الوجوه. فما أصاب رجلاً منهم شيء منه إلَّا قتل يوم بدر كافرا. فذلك معنى قوله:

(١) يُنظر مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٠٣ .

«**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ**»: أهلاك: «**أَصْلِنَا وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ**»: الأفعال القبيحة «**ومَنَعُونَا الْعَذْبَ**»: طيب العيش بين الأهل والوطن:

«**وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ واضْطَرُّونَا**»: الجؤونا «**إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ**»: صعب استعار لفظ الأحلاس لإلزامهم الخوف وإشعارهم إيّاه ملاحظة لمشابهته بالحلس في لزومه بهم.

«**وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ**»: وجه هذه الاستعارة ملاحظة لشبهها بالنار في الأذى وإفتناء ما يقع فيها. ورشّح بذكر الإيقاد.

فأمّا قوله: واضطرّونا إلى جبل وعر، وقوله: وكتبوا علينا بينهم كتاباً؛ فروى أنّه لما أسلم حمزة وعمر وحمى النجّاشي من عنده من المسلمين وحامى أبو طالب عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشا الإسلام في القبائل فاجتهد المشركون في إطفاء نور الله واجتمعت قريش وأتمر بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه أن لا ينكحوا إلى بنى هاشم وبنى عبد المطَّلب ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتبايعوا منهم فكتبوا بذلك وثيقة وتوافقوا عليها وعلَّقوها في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم، فلمّا فعلوا ذلك انحازت بنى هاشم، وبنو عبد المطَّلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه؛ وخرج من بنى هاشم أبو لهب وظاهر المشركين. وقطعوا عنهم الميرة والمارّة، وحصروهم في ذلك الشعب في أوّل سنة سبع من النبوّة فكانوا لا يخرجون إلَّا من موسم إلى موسم حتّى بلغهم الجهد، وسمع صوت صبيانهم من وراء الشعب من شدّة الجوع فمن قريش من سرّه ذلك ومنهم من سائه فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتّى أوحى الله إلى رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنّ الأرضة قد أكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيه ظلم وجور وبقى منها ما كان ذكر الله.

فأخبر بذلك عمّه أبا طالب فأمره أن يأتي قريشا فيعلمها بذلك فجاء إليهم، وقال: إنّ ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فإن كان صادقا نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذبا دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه؛ فقالوا: قد أنصفتنا فأرسلوا إلى الصحيفة فوجدوها كما أخبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسقط في أيديهم، وعرفوا أنّهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله: واضطرّونا إلى جبل وعر إلى آخره.

«**فَعَزَمَ اللهُ لَنَا**»: أي أراد لنا الإرادة الجازمة منه، واختار لنا.

«**عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ**»: أي أن نحمي حرمته أن تنتهك، وكنّى عن حماها بالرمي من ورائها.

«**مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ**»: أي كنّا بأجمعنا نذبّ عن دين الله ونحمي رسوله فكان من آمن منّا يريد بذلك الأجر من الله، ومن كان حينئذ على كفره كالعبّاس وحمزة وأبي طالب على قول فإنّهم كانوا يمنعون عن رسول الله مراعاة لأصلهم.

«**ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ**»: حال «**مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ**»: جملة حالية: أي كنّا على تلك الحال من الذبّ عن دين الله حال ما كان من أسلم من قريش عدا بنى هاشم، وبنى عبد المطَّلب خالين ممّا نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد من المشركين يمنعه، ومنهم من كان له عشيرة يحفظه، وبذلك يظهر فضله عليه السّلام، وفضيلة بنى هاشم، وبنى المطَّلب، وبلاؤهم في حفظ رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم.

(١) «**فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ وكَانَ رَسُولُ اللهِ ص إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ**»: كنّاية

(١) ورد في بعض متون النهج: أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ.

عن شدة الحرب أذا الناس فيها مستلزم لظهور حمرة الدماء وسيجيء في أواخر الكتاب مزيد تقرير لهذا.

«**وأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ والأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بن عبد المطلب**»: قتله عتبة بن ربعة «**يَوْمَ بَدْرٍ**»: اسم بئر سمّيت بحافرها.

وذلك أنّه لمّا التقى المسلمون، والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج إليهم رهط من الأنصار. فقالوا: نريد أكفائنا من المهاجرين فقال رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم: قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قم يا عليّ؛ فبارز عبيدة وهو أسنّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة وبارز عليّ الوليد؛ فقتل عليّ وحمزة قرينهما واختلف عبيدة وعتبة بضربتين فكلاهما أثبت صاحبه وأجهز حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة؛ فجاء به إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد قطعت رجله ومخّها يسيل فقال: يا رسول الله ألست شهيداً قال: بلى فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً يعلم أنّي أحقّ بما قال فيه حيث يقول:

ونسلمه حتّى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

«**وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ**»: قتله وحشيّ في وقعة أحد بعد وقعة بدر في سنة ثلاث من الهجرة وكان سببها أنّه لمّا رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكّة وجدوا العير الّتي قدم فيها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة؛ فحشر أشراف قريش ومشوا إلى أبي سفيان فقالوا: نحن طيّبوا الأنفس بأن يجهّز بربح هذه العير جيشاً إلى

محمّد فقال أبو سفيان: أنا أوّل من أجاب إلى ذلك ومعي بنو عبد مناف؛ فباعوها وكانت ألف بعير فكان المال خمسين ألف دينار فسلَّم إلى أهل العير رؤس أموالهم وعزلت الأرباح وبعثوا الرسل إلى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا في ثلاثة ألف فيهم سبعمائة درع ومائتا فرس وثلاثة ألف بعير، وباتت جماعة بباب رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم.

ورأى في نومه كأنّه في درع حصينة وكأنّ سيفه ذو الفقار قد انفصم، وكأنّ بقرا ينحر وكأنّه مردف كبشاً فقال: أمّا الدرع فالمدينة والبقر يقتل بعض أصحابه وانفصام سيفه مصيبة في نفسه والكبش كبش الكتيبة يقتله الله؛ فكان المصيبة أن رماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فدقّ رباعيّته وهشم أنفه وكلَّم وجهه. وقيل: الَّذي فعل ذلك عمرو بن قميئة وكان ذلك اليوم صعباً على المسلمين، وروى أنّ هنداً قامت في ذلك اليوم في نسوة معها تمثّل بقتلى المسلمين وتجدع الآذان والأنوف حتّى اتّخذت منها قلائد، وبقرت عن كبد حمزة، ولاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ومنه سمّى معاوية ابن آكلة الأكباد.

«**وقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ**»: وكانت هذه الوقعة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث الحرث بن عميرة الأزدي إلى ملك بصرى فلمّا نزل موتة عرض له شر حبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل له رسول قبل ذلك. فشقّ عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك فندب المسلمين وعسكر في ثلاثة آلاف وقال: أميركم زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل؛ فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً، وأمرهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عميرة ويدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلّا قتلوهم، فسمع العدوّ بهم فجمعوا لهم وجمع لهم

شرحبيل أكثر من مائة ألف فمضوا إلى موتة فوافاهم المشركون فأخذ اللواء زيد فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذه جعفر فقاتل حتّى قطعت يداه، وقيل: ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه أحد وثمانون جرحاً، وسمّاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذا الجناحين يطير بهما في الجنّة لقطع يديه يومئذ.

«**وأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ولَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ ومَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ**»: إشارة إلى نفسه، وفيه من البلاغة يظهر للمتأمل الصادق إذ لكلّ أُمّة مدّة مربوطة به فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. ولمّا أشار إلى دليل أفضليّته، وأهل بيته أردفه بالتعجّب من الدهر حيث انتهى في إعداده وفعله إلى أن صار بحيث يقرن في الذكر والمرتبة من ليس له مثل سابقته في الفضيلة الَّتي لا يتقرّب أحد إلى الله بمثلها فقال: «**فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ولَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ولَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ**»: أراد بالمدّعى معاوية وبما لا يعرفه ما عساه يدّعيه من الفضيلة في الدين والسابقة في الإسلام وقوله: ولا أظنّ الله يعرفه نفى ظنّ معرفة الله لذلك المدّعى لأنّه لمّا نفى لذلك المدّعى فضيلة يعرفها نفى أيضاً عن نفسه طريق معرفة الله لها، وهو إشارة إلى أنّه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع أن يعرف الله تعالى وجوده، ولمّا أشار إلى أفضليّته وعدم الفضيلة لمنافره حسن إردافه بحمد الله فقال:

«**والْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»: والاستثناء هنا منقطع لأنّ الدعوى ليست من جنس السابقة، ثم أخذ تبين الجواب عن سؤاله فقال:

«**وأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ ولَا إِلَى غَيْرِكَ**»: فكّر عليه السّلام في أمرهم فرأى أنّه لا يسعه

تسليم المعترفين بذلك إلى معاوية، ولا إلى غيره وذلك من وجوه: أحدها: أنّ تسليم الحقّ إلى ذي الحقّ عند المنافرة؛ إنّما يكون بعد تعيين المدّعى عليه، وثبوت الحقّ عليه، وإنّما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين إلى الحاكم وإقامة البيّنة بالدعوى أو الاعتراف من المدّعى عليه، ومعلوم أنّ معاوية ومن طلب بدم عثمان لم يفعل شيئا من ذلك، ولذلك قال عليه السّلام لمعاوية في موضع آخر: وأمّا طلبك إليّ قتلة عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه؛ ثمّ حاكمهم إليّ أحملك وإيّاهم على الحقّ الثاني: أنّ القوم الَّذين رضوا بقتله أو شركوا في ذلك كانوا على حدّ من الكثرة وفيهم المهاجرون والأنصار كما روى أنّ أبا هريرة وأبا الدرداء أتيا معاوية فقالا له: علام تقاتل عليّاً وهو أحقّ بالأمر منك لفضله وسابقته فقال: لست أقاتله لأنّي أفضل منه ولكن ليدفع إليّ قتلة عثمان؛ فخرجا من عنده وأتيا عليّاً؛ وقالا له: إنّ معاوية يزعم أنّ قتلة عثمان عندك وفي عسكرك فادفعهم إليه فإن قاتلك بعدها علمنا أنّه ظالم لك. فقال عليّ: إنّي لم أحضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا: بلغنا أنّ محمّد بن أبي بكر وعمّار والأشتر وعدّي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلاناً وفلاناً ممّن دخل عليه؛ فقال عليّ: فامضيا إليهم فخذوهم؛ فأقبلا إلى هؤلاء النفر وقالا لهم: أنتم من قتلة عثمان وقد أمر أمير المؤمنين بأخذكم قال: فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر عليّ أكثر من عشرة ألف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون: كلّنا قتلته. فبهت أبو هريرة وأبو الدرداء؛ ثمّ رجعا إلى معاوية وهما يقولان: لا يتمّ هذا الأمر أبدا؛ فأخبراه بالخبر، وإذا كان القاتلون والمتعصّبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عليه السّلام تسليمهم وتمكين أحد منهم.

الثالث: أنّه كان في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنّة من يرى أنّ عثمان كان يستحقّ القتل بأحداثه كما روى نضر بن مزاحم أنّ عمّارا في بعض أيّام صفّين قام في أصحابه وقال: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان؛ فإن قال هؤلاء الّذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه. فقلنا: لأحداثه.

وإن قالوا: ما أحدث شيئاً وذلك لأنّه كان أمكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال؛ فإذا اعترف مثل هذا الرجل على جلالته بالمشاركة في قتلهم وعلّل ذلك بأحداثه احتمل أن يقال: إنّه عليه السّلام فكّر في هذا الأمر فرأى أنّ هذا الجمع العظيم من المهاجرين والأنصار والتابعين لا يجوز أن يقتلوا برجل واحد أحدث أحداثا نقموها عليه جملة المسلمون وقد استعتب مراراً فلم يرجع فأدّى ذلك إلى قتله، ولم يسعه تسليمهم إلى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين وهدمه؛ ثمّ أقسم عليه السّلام مهدّدا له بمن طلب من القوم إن لم يرجع عن ضلالته إلى طريق الحقّ عن طرق الباطل وينزل عن خلافه أن يكونوا هم الطالبون له.

«**ولَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ**»: جهلك «**وشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ**»: منصوب على أنه به ثان لتعرف بمعنى تعلم.

«**لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ ولَا بَحْرٍ ولَا جَبَلٍ ولَا سَهْلٍ إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ وزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ والسَّلَامُ لأَهْلِهِ**»: مراد بالزور المصدر لذلك أفراد الضمير في لفنائه ويحتمل أن يريد الزائرين وأفرد الضمير نظراً إلى إفراد اللفظ وبالله التوفيق.

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو أمّا بعد فإنّك رأيت من الدنيا وتصرّفها بأهلها فيما مضى منها، وخير ما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى منها، ومن يقس الدنيا بشأن الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً. واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا في القدم ولا في البقيّة ولا في الولاية ولست تقول فيه بأمر بيّن يعرف لك فيه أثر ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدّعيه من رسول الله صلّى الله عليه -وآله وسلّم.

«**وكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا**»: استفهم عن كيفية صنعته عند مفارقته نفسه لبدنه استفهام بنبيه له على غفلته عما ورائه من أحوال الآخرة وتذكير له بها وأستعار الجلابيب للذات الحاصلة له في دنياه بمتاعها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوال ساترة بينه وبين أدراك ما ورائه من أحوال الآخرة مانعة له من ذلك كما يستر الجلباب ما ورائه ورشح الاستعارة بذكر التكشف ولفظ ما هو مجمل بينه بقوله من دنياه مع سائر صفاتها.

«**قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا**»: أسند إليها التبهّج مجازاً إذ الجاعل لها ذات تبهّج ليس نفسها بل الله تعالى قوله: «**وخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا**»: مجاز في الإفراد والتركيب أمّا في الإفراد فلأنّ حقيقة الخدعة أن يكون من إنسان لغيره فاستعملها هاهنا في كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذّات موهمة لكونها مقصودة بالذات وأنّها كمال حقيقيّ مع أنّها ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة، وأمّا في التركيب فلأنّ كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من أسباب أخرى منتهى إلى الله سبحانه وكذا في قوله:

«**دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا**»: فإنّ الدعاء والقود والأمر بها حقائق معلومة لكن لمّا كانت تصوّرات كمالها أسباباً جاذبة لها أشبهت تلك التصوّرات الدعاء في كونها سبباً جاذباً إلى الداعي؛ فأطلق عليها لفظ الدعاء، وكذلك أطلق على تلك التصوّرات لفظ القود والأمر باعتبار كونها أسباباً مستلزمة لاتّباعها كما أنّ الأمر والقود يوجبان الاتّباع، وأمّا في التركيب فلأنّ تلك التصوّرات الّتي أطلق عليها لفظ الدعاء والقود والأمر مجازاً ليس فاعلها وموجبها هو الدنيا بل واهب العلم، ولمّا كانت إجابة الدنيا واتّباعها وطاعتها معاصي يخرج الإنسان بها عن حدود الله ذكرها في معرض توبيخه وذمّه.

«**وإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجَنٌّ**»: تذكير بقرب اطّلاعه على ما يخاف من أهوال الآخرة والوصول إليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن إصراره على معصية الله بادّعائه ما ليس له: أي يقرب أن يطّلعك مطّلع على ما لا بدّ لك منه ممّا تخاف من الموت وما تستلزمه معاصيك من لحوق العذاب، وظاهر أنّ تلك أمور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الأبدان؛ فإذا نزعت عنهم تلك الحجب اطّلعوا على ما قدّموا من خير أو شرّ وما أُعدّ لهم بسبب ذلك من سعادة أو شقاوة كما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾[1] الآية وقد مرّت الإشارة إلى ذلك غيره مرّة. وذلك المطّلع والموقف هو الله سبحانه، ويحتمل أن يريد به نفسه عليه السّلام على سبيل التوعيد له والتهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطّلاع إن دام على غيّه، وظاهر أنّ تلك الأمور الّتي تقف عليها لا ينجيه منها منج. ثمّ أردف ذلك التوبيخ والتهديد بالغرض له منهما وهو أمره بالتأخّر

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

عن أمر الخلافة؛ ثمّ أردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فقال: «**فَاقْعَسْ**»: تأخر «**عَنْ هَذَا الأَمْرِ وخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ**»: والاستعداد له بعدّته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه.

«**وشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ**»: وكنّى بالتشمير عن الاستعداد أيضاً، وما نزل به إمّا الموت أو القتل وما بعده تنزيلاً لما لا بدّ من وقوعه أو هو في مظنّة الواقع منزلة الواقع، ويحتمل أن يريد الحرب الَّتي يريد أن يوقعها به، ثمّ نهاه عن تمكين الغواة من سمعه قال:

«**ولَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ**»: وكنّى به عن إصغائه إليهم فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمة للبقاء على المعصية؛ إذ من شأن الغاوي الإغواء، والغواة كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد به في الرأي.

«**وإِلَّا تَفْعَلْ**»: أي لم تفعل ما أمرك به «**أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ**»: ما تركت **مِنْ نَفْسِكَ**: ومعقول أغفلت ضمير ما ومن نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير له. وإغفاله لنفسه تركه إعدادها بما يخلصه من أهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانيّة، ويفهم من ذلك الإعلام الَّذي توعّد به الإعلام بالفعل فإنّ مضايقته بالحرب والقتال يستلزم إعلامه ما أغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة للراحة.

«**فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ**»: والترف مستلزم لتجاوز الحد الذي ينبغي تركه وذلك الحد فضيلة تحت العفة.

«**قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِ والرُّوحِ**»: أي في القرب يستلزم وصفه بكلّ الرذائل المستلزمة أضدادها من

الفضائل. ثمّ أخذ في استفهامه عن وقت كون بني أُميّة ساسة الرعيّة وولاة أمر الأُمّة استفهاما على سبيل الإنكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة الملوك والولاة فقال:

«**وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ**»: يقال سست الرعية أي ملكت أمرهم.

«**وَوُلَاةَ أَمْرِ الأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ**»: والقدم السابق كناية عن التقدّم في الأمور والأهليّة لذلك، ونبّه بقوله: بغير قدم سابق على أنّ سابقة الشرف، والتقدّم في الأمور شرط لتلك الأهليّة في المتعارف وهو في قوّة صغرى ضمير من الشكل الأوّل تقديرها: وأنتم بغير قدم سابق، وتقدير الكبرى: وكلّ من كان كذلك فليس بأهل لسياسة الرعيّة وولاة أمر الأُمّة. ينتج أنّكم لستم أهلا لذلك، وهو عين ما استنكر نقيضه. وظاهر أنّهم لم يكن فيهم من أهل الشرف أهل لذلك؛ ثمّ استعاذ من لزوم ما سبق في القضاء الإلهي من الشقاء تنبيهاً على أنّ معاوية في معرض ذلك وبصدده لما هو عليه من المعصية وتنفيراً له عنها فقال:

«**وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ**»: في غفلة الطمع.

«**مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ**»: كنّى بذلك عن النفاق ووجه التحذير ما يستلزمانه من لزوم الشقاء في الآخرة. وقد كان معاوية دعاه إلى الحرب وأجابه بجواب مسكت وهو قوله:

«**وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً**»: نصب على الظرف «**وَأَخْرُجْ إِلَيَّ وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ أَيُّنَا**»: روي بالخطاب والغيب ونصب: أينا ورفعه.

«**الْمُرِينُ عَلَى قَلْبِهِ**»: أراد من غلبت عليه الذنوب وغطت من يصير به الملكات الردية.

«**والْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ**»: وإنما جعل مبارزته له سبباً لعلمه بأنه مغطى على قلبه و وبصر بصيرته بحجب الدنيا، وجلابيب هيئاتها لما أنّ من لوازم العلم بأحوال الآخرة وفضلها على الدنيا الثبات عند المبارزة في طلبها وإن أدّى إلى القتل حتّى ربّما تكون محبّة القتل من لوازم ذلك العلم أيضاً وقد كان عليه السّلام يعلم من حاله أنّه لا يثبت له محبّة للبقاء في الدنيا فلذلك دعاه إلى المبارزة ليعلمه بإقدامه عليه، وفراره منه أنّه ليس طالبا للحقّ وطريق الآخرة في قتاله وأنّ حجب الشهوات الدنيويّة قد غطَّت عين بصيرته عن أحوال الآخرة وطلبها فكان فراره منه مستلزماً لعدم علمه بالآخرة المستلزم للرين على قلبه وعلامة دالَّة عليه، وفي ذلك تهديداً، وكذا في قوله:

«**فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وأَخِيكَ وخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ**»: ذكره في معرض التخويف والتحذير له أن يصيبه ما أصابهم إن أصرّ على المعصية.

وجدّه المقتول هو جدّه لامّه عتبة بن أبي ربيعة فإنّه كان أبا هند، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة بن أبي سفيان؛ فقتلهم جميعاً عليه السّلام يوم بدر فلذلك قال تذكرة إياه.

«**وذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي وبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً ولَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ودَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ**»: وهو طريق الإسلام الواضحة كلّ ذلك في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق. ثمّ أشار إلى الشبهة الَّتي كانت سبباً لثوران الفتن العظيمة وانشعاب أمر

الدين وهي شبهة الطلب بدم عثمان الَّتي كانت عمدته في عصيانه وخلافه فقال: «**وزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ ولَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً**»: حاصله الجواب عنها بوجهين: أحدهما: أنّه عليه السّلام ليس من قتلة عثمان فلا مطالبة عليه وإنّما تتوجّه المطالبة على قاتليه وهو يعلمهم. الثاني: المنع بقوله: إن كنت طالباً؛ فإنّ إيقاع الشكّ هنا بأن يستلزم عدم تسليم كونه طالباً بدم عثمان؛ ثمّ عقّب بتخويفه بالحرب وما يستلزمه من الثقل إلى الغاية المذكورة وهاهنا ثلاثة تشبيهات: أحدها: المدلول عليه بقوله:

«**فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ**»: والمشبّه هاهنا نفسه عليه السّلام في حال كلامه هذا، والمشبّه به هو أيضاً نفسه لكن من حيث هي رأته رؤية محقّقة.

وتحقيق ذلك أنّ نفسه لكمالها واطّلاعها على الأمور الَّتي سيكون كانت مشاهدة لها ووجه التشبيه بينهما بالقياس إلى حالتيها جلاء المعلوم وظهوره له في الحالتين. الثاني: قوله:

«**تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ**»: ووجه الشبه شدّة تبرّمه وضجره من ثقلها كشدّة تبرّم الجمل المثقل بالحمل. وضجيجه كناية عن تبرّمه. واستعار لفظ العضّ لفعلها ملاحظة لشبهها بالسبع العقور، ووجه المشابهة استلزام تلك الأثقال للألم كاستلزام العضّ له.

«**وكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ**»: والمشبّه هنا أيضاً نفسه والمشبّه به ما دلَّت عليه باء الإلصاق كأنّه قال: كأنّي متّصل أو ملتصق بجماعتك حاضر معهم.

«**تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ**»: محلّ تدعوني النصب على الحال، والعامل ما في كان من معنى الفعل: أي أشبّه نفسي بالحاضر حال دعائهم له.

وجزعاً مفعول له «**والْقَضَاءِ الْوَاقِعِ**»: يجوّز بلفظ القضاء في المقضيّ من الأمور الَّتي توجد عن القضاء الإلهي إطلاقا لاسم السبب على المسبّب.

«**ومَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ**»: والمصرع هنا مصدر: أي جزعاً من مصارع يلحق بعضهم بعد بعض أو تلحقهم بعد مصارع آبائهم السالفة.

«**إِلَى كِتَابِ اللهِ**»: قد كان اطّلاعه عليه السّلام على دعائهم له إلى كتاب الله قبل وقوعه من آياته الباهرة.

«**وهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ**»: الواو في قوله: وهي للحال والعامل فيه تدعوني والكافرة الجاحدة الباهرة للحقّ من جماعته اشارة إلى المنافقين منهم وقد كان فيهم جماعة كذلك، والمبايعة الحائدة الَّذين تابعوه وعدلوا عن بيعته إلى معاوية.

وأعلم أولاً أن هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السّلام إلى زياد بن النضر الحارثي حين سرّحه على مقدّمته إلى الشام من النخيلة لمّا أراد الخروج من الكوفة إليها، وكان قد بعث معه شريح بن هاني، واختلفا فكتب كلّ منهما إليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السّلام إليهما: أمّا بعد فإنّي ولّيت زياد بن النضر مقدّمتي وأمّرته عليها، وشريح على طائفة منها أمير؛ فإن جمعكما بأس فزياد على الناس وإن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة الَّتي ولّيته عليها. واعلما أنّ مقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم؛ فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما ودنوتما من بلاد عدوّكما فلا تسكنا من توجيه الطلائع ونفّض الشعاب والشجر والخمر في كلّ جانب كيلا يغترّكما عدوّ أو يكون لهم كمين ولا تسيرا الكتائب إلّا من لدن الصباح إلى المساء إلّا على تعبية فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم

قد تقدّمتم في التعبية. ثمّ يتّصل بقوله: فإذا نزلتم.

إلى قوله: أو أمن؛ ثمّ يتّصل بقوله: وإيّاكم والتفرّق؛ فإذا نزلتم فانزلوا جميعا وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح والترسة، ورماتكم تكون ترستكم ورماحكم، وما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة، ولا يلقى لكم غرّة فما من قوم يحفّون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلّا كأنّهم في حصون، واحرسا عسكركما بأنفسكما وإيّاكما أن تذوقا النوم حتّى تصبحا إلّا غرارا أو مضمضة؛ ثمّ ليكن ذلك شأنكما ورأيكما إلى أن تنتهيا إلى عدوّكما وليكن عندي كلّ يوم خبركما ورسول من قبلكما فإنّي ولا شيء إلّا ما شاء الله حثيث السير في آثاركما. وعليكما في حربكما بالتؤدة [1] وإيّاكما والعجلة إلّا أن تمكّنكما فرصة بعد الإعذار والحجّة، وإيّاكما أن تقاتلاً حتّى أقدم عليكما إلّا أن تبدئا أو يأتيكما أمري إن شاء الله، ولنرجع إلى الشرح فأقول:

العين: الجاسوس، وطليعة الجيش: الّذي يبعث ليطّلع على العدوّ. ونفض الشعاب؛ استقرائها والخمر ما وراك من شجر أو جبل ونحوهما والكمين: الواحد أو الجمع يستخفون في الحرب حيلة للإيقاع بالعدوّ والكتيبة: الجيش، وتعبيته جمعه وإعداده والدهم العدد الكثير.

والترسة: جمع ترس وكرر اللفظ الأعنف النهي عن تستر الكتائب وهما يفيدان الحصر أما الأولى فيفيد حصره في حالة التعبئة وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب أمور كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها بالظفر بالعدو، وتفصح عن تكذيب من أدعى أنه لا علم له بالحرب كما حكاه عليه السلام عن قريش

(١) التؤدة: والتؤاد من التؤدة، تقول: أتأد وتوأد وهو التمهل والتأني والرزانة؛ يُنظر العين للخليل الفراهيدي: ج٨ ص٩٧.

فيما مضى وفي هذا الفصل جمل منها قوله:

«**فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوِّكم** [1] **فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ**»: موضع جيشكم «**فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ**»: والأشراف: جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي.

وقبلها بضمّتين أو ضمّة وسكون هو قدّامها، وسفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء.

«**أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ**»: جمع ثني وهو منعطفها «**كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً ودُونَكُمْ مَرَدّاً**»: عوناً عن علة ذلك أي يكون هذه الأماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدان يأتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة.

«**ولْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ**»: بفتح الباء مصدر قابل وبكسرها القوم المقاتلون «**مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ**»: يعني أن يكون مقاتليهم من وجه واحد فأن لم يكن فمن وجهين بحيث يحفظ بعضهم ظهر بعض والمقابلة على هذه الطريقة تستلزم القاء على الجمعية من وجوه كثيرة فمستلزمة للتفرق والضعف.

«**واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ**»: جمع رقيب وهو الحافظ «**فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ: في صياصي الجبال**»: أعاليها «**ومَنَاكِبِ الْهِضَابِ**»: جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض.

«**لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ**»: يخافون منه، أو يأمنون على غرّة وغفلة من الاستعداد له.

«**واعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ**»: جواسيسهم

(١) ورد في نسخة: أَوْ نَزَلَ بِكُمْ

الطليعة قطعة من الجيش يبعث ليطلع العدو ورائهم مما يشعر بهجوم العدو وقربه.

«**وإِيَّاكُمْ والتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً وإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً**»: وسره ظاهر.

«**وإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً**»: اجعلوها مستديرة عليكم.

«**ولَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً**»: قليلاً من النوم «**أَوْ مَضْمَضَةً**»: تحريك الأجفان أي لا يستغرقوا في النوم كما يفعله المطهن [1] وسر ذلك لحراسته والتحفظ لخوف هجوم العدو على العزة وحال النوم به وبالله التوفيق.

روى أنّه عليه السّلام بعثه من المدائن في ثلاثة ألف وقال له: امض على الموصل حتّى توافيني بالرفّة. ثمّ قال له اتّق الله. الفصل. فخرج حتّى أتى الحديثة وهي إذ ذاك منزل الناس إنّما بنا الموصل بعد ذلك محمّد بن مروان. ثمّ مضوا حتّى لقوه عليه السّلام بالرفّة. والعشيّ.

ولمّا كان معقل بن قيس متوجّه للسفر إلى الله تعالى في جهاد أعدائه أمره بتقواه الَّذي هو خير زاد في الطريق إليه فقال:

«**اتَّقِ اللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ولَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ**»: فيه فوائد: إحداها: جذبه إلى التقوى بالتخويف من لقاء الله.

الثانية: تسهيل الجهاد عليه فإنّه لمّا كان معتقداً أنّ الجهاد طاعة مقرّبة إلى الله

---

(١) المطهن: الذي يمد حاجبيه: يُنظر: مطه يمطه، أي مده. ومط حاجبيه، أي مدهما وتكبر. وهناك وجه أخر للمعنى: أي لا تستغرقوا في النوم كما يفعله القارّ المطمئنّ؛ الصحاح للجوهري: ج٣ ص١١٦٠.

تعالى أشعره بوجوب لقائه ليستعدّ بتلك الطاعة الَّتي هو بصددها لما يضطرّ إليه من لقائه.

الثالثة: أنّه اراد أمر تقوى الله وخوّفه بضرورة لقائه تعالى ليكون أسرع إلى ما يأمره به وينهاه عنه.

«**ولَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ**»: فأن قتال غير المقاتل ظلم.

«**وسِرِ الْبَرْدَيْنِ**»: طرفي النهار« **وغَوِّرْ بِالنَّاسِ**»: أي أنزل بهم في الغابرة وهي الظهيرة لما يستلزمه المقاتلة من شدة الخوف والمتاعب فيه «**ورَفِّهْ**»: خفف «**فِي السَّيْرِ**»: ليلحق الضعيف القويّ ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم إلى فضل القوّة واستجمامها.

«**ولَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً**»: ومناماً يستراح فيه من المتاعب «**وقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً**»: أطلق على الظرف مجازاً اسم المظروف «**فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ورَوِّحْ ظَهْرَكَ**»: أي خيولك وأبلك.

«**فَإِذَا وَقَفْتَ**»: أي مع عدوا «**حِينَ يَنْبَطِحُ**»: يتسع «**السَّحَرُ**»: قبيل الصبح «**أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ**»: لأنها مضنة طيب السير.

«**فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً**»: ليكون نسبة الطرفين في الرجوع إليه والاستمداد بسماع أوامره على سواء «**ولَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ**»: تغلقه أي دنّوه قريباً يشعرهم بإرادة إيقاع الفتنة ليكون أعذر عند الله وإلى القوم في دعائهم إلى الحقّ.

«**ولَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ**»: أراد تباعداً يشعر بخوفه ورهبته

من عدوّه لئلّا يطمع فيه.

«**حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**»: غاية هذين النهّيين «**ولَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ**»: بغضهم «**عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ**»: إلى الإمام الحق «**والإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ**»: ذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير الله بل بمجرّد الهوى والعداوة فيخرج عن كونه طاعة وبالله التوفيق.

هما زياد بن النضر وشريح بن هاني، وذلك أنّه حين بعثهما على مقدّمة له في اثني عشر ألفاً التقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام فكتبا إليه يعلمانه بذلك؛ فأرسل إلى الأشتر فقال له ما قال: إنّ زياد بن النضر وشريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور في جند من أهل الشام بسور الروم فنبّأني الرسول أنّه تركهم متوافقين فالتجئ لأصحابك التجاء فإذا أتيتهم فأنّبئهم، فأنت عليهم.

وإيّاك أن تبدء لقوم بقتال إلّا أن يبدؤك حتّى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجر منّك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً وقف من أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنّو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أقدم عليك فإنّي حثيث السير إليك إنشاء الله أما بعد.

«**فأني أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ**»: أمر أميركما فيما يراه أصلح.

«**وأَطِيعَا لَه**»: في ذلك ليكون به نظام أمورهم في لقاء عدوّهم المستلزم لظفرهم.

«**واجْعَلَاهُ دِرْعاً ومِجَنّاً**»: في الحرب «**فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ**»: ضعفه فيه «**ولَا**

سَقْطَتُهُ»: زلته في الرأي «**ولَا بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ**»: وأولى بالرأي من الأفعال «**ولَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ**»: أولى بالتدبير وأقرب إلى الخير بل يضع كلّ شيء موضعه. ولفظ الدرع والمجنّ مستعاران باعتبار وقايتهما لهم من شرّ عدوّهم كما يقي الدرع والمجنّ صاحبهما وبالله التوفيق.

روى أنّه عليه السّلام كان يوصى أصحابه في كلّ موطن يلقون العدوّ فيه بهذه الوصيّة.

«**لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله**»: حينئذ «**عَلَى حُجَّةٍ**»: ثابتة وهي قوله تعالى ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[1] وظاهر أنهّم بغاة على الإمام الحقّ فوجب قتالهم وتركهم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم بيانها من وجهين:

أحدهما: أنّهم إذا بدؤا بالحرب؛ فقد تحقّق دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «حربك يا عليّ حربي»[2]. وتحقّق سعيهم في الأرض بالفساد بقتلهم النفس الَّتي حرّم الله ابتداء بغير حقّ وكلّ من تحقّق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ الله ورَسُولَهُ﴾[3].

الثاني: أنّ البادي بالحرب معتد ابداً. وكلّ معتد كذلك فيجب الاعتداء عليه

(١) سورة الحجرات: الآية ٩ .

(٢) اوائل المقالات الشيخ المفيد: ص٢٨٥؛ والشريف المرتضى في الانتصار: ص٤٧٩؛ جمل العلم والمعلم: ص٤٥؛ رسائل الشريف المرتضى: ج١ ص٢٨٣؛ والشيخ الطوسي في الاقتصاد: ص٢٢٦، وفي الخلاف: ج٥ ص٣٣٥؛ والقاضي ابن البراج في جواهر الفقه: ص٢٥٩؛ الخلاف للصيمري: ج٣ ص٢١٠؛ ومعظم من روى يروي بزيادة يسيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم (وسلمك سلمي).

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٣.

لقوله تعالى ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[1] الآية فوجب الاعتداء عليهم إذا بدؤا بالحرب.

[2]«**فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً**»: أي مولّياً هارباً «**ولاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً**»: وهو الّذي أمكنته الفرصة في قتله بعد انكسار العدوّ كمعور من الصيد. وقيل: أراد بالمعور المريب، وهو الّذي وقع فيه الشكّ أنّه محارب أم لا: أي لا تقتلوا إلّا من علمتم أنّه محارب لكم.

«**ولَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ**»: وهذه الأمور الأربعة المنهيّ عنها هاهنا هي من أحكام الكفّار حال الحرب. ففرّق عليه السّلام بين هؤلاء البغاة وبينهم فيها وإن أوجب قتالهم وقتلهم، ويلحق بذلك من أحكامهم ما نقله نضر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله: ولا تجهزوا على جريح: ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سرّاً ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم. ثمّ يتّصل بقوله:

«**ولَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى**»: والمراد بذلك أن لا تثيروا شرورهنّ بأذى «**وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى**»: أي ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال وحربهم، وسلاح الضعيف والعاجز لسانه «**و**»: ضعيفات «**الأَنْفُسِ والْعُقُولِ**»: أي لا قوّة لعقولهنّ أن يرين عدم الفائدة في السبّ والشتم وأنّه من رذائل الأخلاق وأنّه يستلزم زيادة الشرور وإثارة الطبائع الّتي يراد تسكينها وكفّها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٢) ورد في متون النهج: وتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ.

«**إِنْ كُنَّا**»: أن مخففة من المثقلة «**لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ**»: الحجر «**أَوِ الْهِرَاوَةِ**»: العصا «**فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ**»: من أولاده فيه تنبيه على الكفّ عنهنّ لأنّه إذا أمر بالكفّ عنهنّ حال كونهنّ مشركات ففي حال إظهارهنّ الإسلام أولى، والواو في وإنهنّ للحال وإن كان الرجل إلى آخره.

تنبيه على ما في أذاهنّ من المفسدة وهي الشبهة اللازمة لفاعله في حالتي حياته وبعد وفاته، وذلك تنفيرٌ عن أذاهنّ في معرض النهى عنه وتناولها بالفهر والهراوة كناية عن ضربها بها وبالله التوفيق.

«**اللهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ**»: روى أنّه عليه السّلام كان إذا اشتدّ القتال ذكر اسم الله حين يركب. ثمّ يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العميم، سبحان الَّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون. ثمّ يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول: اللهم أليك أفضت القلوب خرجت إليه عن كلي شيء ووصلت إليه.

«**ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ**»: هزلت «**الأَبْدَانُ اللهُمَّ قَدْ صَرَّحَ**»: ظهر «**مَكْنُونُ الشَّنَآنِ**»: العداوة «**وجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ اللهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وتَشَتُّتَ**»: تعرق «**أَهْوَائِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**».

ثمّ يقول: سيروا على بركة الله. ثمّ يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا ربّ محمّد بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم إيّاك نعبد وإيّاك نستعين اللّهمّ كفّ عنّا أيدي الظالمين فكان

هذا شعاره بصفّين.

ولمّا كان مراده عليه السّلام جهاداً خالصاً لله وعبادة له، ومن كمال العبادات أن تشفع بذكر الله وتوجيه السرّ إليه؛ إذ كان ذلك هو سرّ العبادة وفائدتها لا جرم كان دأبه في جهاده التضرّع والالتفات إلى الله بهذا الفصل وأمثاله مع ما يستلزمه من طلب النصر والإعداد له؛ فأشار بإفضاء القلوب إلى الإخلاص له في تلك الحال، وبمدّ الأعناق، وشخوص الأبصار إلى ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنيّة، وبنقل الأقدام، وإنضاء الأبدان إلى أنّ ذلك السفر، وما يستلزمه من المتاعب إنّما هو لوجهه وغاية الوصول إلى مرضاته، وأشار إلى علّة قتالهم له في معرض الشكاية إلى الله تعالى وهى تصريحهم بما كان مستقرّاً في صدورهم في حياة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من العداوة والبغضاء وجيش أضغانهم السابقة بمّا فعل بهم ببدر واحد وغيرهما من المواطن. فلفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان دماء قلوبهم عن الأحقاد كغليان المراجل، ولفظ الجيش ترشيح. ثمّ لمّا كانت غيبة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وفقده هو السبب الّذي استلزم تصريح الشنئان وظهور الأضغان وكثرة العدوّ وتفرّق الأهواء لا جرم شكى إلى الله من تحقّقها وما يستلزمه من هذه الشرور. ثمّ سأله أن يحكم بينه وبينهم بالحقّ اقتباساً من القرآن الكريم، لما أنّ إيقاع الحكم الحقّ بينهم يستلزم نصرته عليهم وظفره بهم؛ إذ كان هو المحقّ في جهاده وبالله التوفيق.

«**لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ**»: رجعة «**ولَا جَوْلَةٌ**»: دورة «**بَعْدَهَا حَمْلَةٌ**»: أي إذا رأيتم في فراركم مصلحة في خدعة العدوّ كالجذب له بذلك حيث يتمكّن منه ويقع الفرصة فتكرّوا عليه حينئذ فلا تشتدّنّ عليكم الفرّة، ووجه الشدّة هنا أنّ الفرار بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار والسّبة. فأشار إلى وجه

تسهيله عليهم بأنّه إذا كان بعده كرّة فلا بأس به لما فيه من المصلحة، ويحتمل أن يريد أنّكم إذا اتّفق لكم إن فررتم فرّة عقّبتموها بكرّة فلا تشتدّنّ عليكم تلك الفرّة فتنفعلوا وتستحيوا فإن تلك الكرّة كالماحية لها. وفيه تنبيه على الأمر بالكرّة على تقدير الفرّة، وكذلك قوله: ولا بجولة بعدها حملة.

ويحتمل أن يريد فلا تشتدّنّ عليكم فرّة من عدوّكم بعدها كرّة منه عليكم فإنّ تلك الكرّة لمّا كانت عقيب الفرّة لم تكن إلّا عن قلوب مدخولة ونيّات غير صحيحة، وإنّما قدّم الفرّة في هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحقير تلك الكرّة بذكر الفرّة، وكان ذكرها أهمّ فلذلك قدّمت، وكذلك قوله: ولا جولة بعدها حملة.

ثمّ أمرهم بأوامر:

«**وأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا**»: وهو كناية عن الأمر بفعل ما ينبغي أن يفعل. ولفظ العطاء مستعار لما تصل إليه السيوف من الأفعال الّتي ينبغي أن تفعل بها.

«**ووَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا**»: اتّخذوا مصارع جنوبهم أوطانا لها، وهو كناية عن الأمر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والإقدام على أهوال الحرب، إذ كان اتّخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلك العزم والإقدام وروى: ووطَّئوا بالياء.

«**واذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ**»: منسوب على الدعس وهو الأثر.

«**والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ**»: الشديد أي حثوها على الطعن الذي يظهر أثره أي أحملوها على ذلك وابعثوها بالدواعي الصادقة الّتي فيها رضى من تذكّر ما وعد الله عباده الصالحين.

«**وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ**»: أكثر طرداً «**لِلْفَشَلِ**»: ويكثروا الصياح من علاماته وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ثمّ أقسم بما يعتاده من القسم البارّ أنّ القوم لم يسلموا بقلوبهم حين أظهروا الإسلام في زمن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بألسنتهم، ولكنّهم استسلموا خوفاً من القتل فقال: «**فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ**»: وذلك إشارة إلى المنافقين من بنى أُميّة كعمرو بن العاص ومروان ومعاوية وأمثالهم، وروى مثل هذا الكلام لعمّار بن ياسر رضي الله عنه وبالله التوفيق.

روى أنّ معاوية استشار بعمرو بن العاص في أن يكتب إلى عليّ كتاباً يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ قال: ألسنا بنى عبد مناف قال: بلى ولكن لهم النبوّة دونك، وإن شئت أن تكتب فاكتب.

فكتب معاوية إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة: أمّا بعد فإنّي أظنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا، لم يحبّها بعض على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما يندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقي، وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني منك طاعة ولا بيعة وأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ولا أخاف من القتل إلّا ما تخاف، وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلّا حشاشات أنفس بقيت، وإنّا في الحرب والرجال سواء، ونحن بنو عبد مناف، وليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستذلّ به عزيز ولا يسترّق به حرّ والسلام.

فلمّا قرء عليّ عليه السّلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ثمّ دعا عبد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له: اكتب إليه: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحبّها بعض على بعض وأنا وإيّاك في غاية لم نبلغها بعد.

«**وأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ**»: الفصل وأعلم أنه عليه السّلام قد أجاب عن أمور أربعة تضمّنها كتاب معاوية:

أحدها: أنّه استعطفه إلى البقيّة واستدرجه لوضع الحرب بقوله: إنّك لو علمت. إلى قوله: ما بقي وفيه إشعار بالجزع من عضّ الحرب والخوف من دوامها فأجابه عليه السّلام بقوله: وأنا وإيّاك في غاية لم نبلغها بعد، ويفهم منه التهديد ببقاء الحرب إلى الغاية منها وهي الظفر به وهلاكه وهو مستلزم لتخويفه والتهويل عليه، ومنع ما طلب من وضع الحرب.

الثاني: أنّه سأل إقراره على الشام مع نوع من التشجّع الموهم لعدم الانفعال والضراعة، وذلك في قوله: وقد كنت سألتك الشام إلى قوله: أمس.

وقوله: فإنّك لا ترجو. إلى قوله: ما نخاف.

إشارة إلى كونهما سواء في رجاء البقاء والخوف من القتل، ومقصود ذلك أن يوهم أنّه لا انفعال له عن تلك الحرب أيضاً.

وقوله: وأنا أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس.

أي من طلب إقراره على الشام، وذلك أنّه عليه السّلام حين بويع بالخلافة كان معاوية سأل منه إقراره على إمرة الشام، ونقل عن ابن عبّاس أنّه قال له

عليه السّلام: وله شهرا وأعز له دهراً؛ فإنّه بعد أن يبايعك لا يقدر على أن يعدل في إمرته ولا بدّ أن يجور؛ فتعز له بذلك. فقال عليه السّلام: كلّا وما كنت متّخذ المضلّين عضدا. وروى: أنّ المغيرة بن شعبة قال له عليه السّلام: إنّ ذلك حقّ الطاعة والنصيحة، وأقرّب معاوية على عمله، والعمّال على أعمالهم حتّى إذا أتتك طاعتهم وتبعة الجنود استبدلت أو تركت؛ فقال عليه السّلام: حتّى أنظر فخرج من عنده؛ ثمّ عاد إليه من الغد فقال: إنّي أشرت عليك أمس برأي، وإنّ الرأي أن تعاجلهم بالنزع فيعلم السامع من غيره ويستقلّ أمرك ثمّ خرج من عنده. فجائه ابن عبّاس؛ فأخبره بما أشار إليه المغيرة من الرأيين؛ فقال: أمّا أمس فقد نصحك وأمّا اليوم فقد غشّك، وقد كان الرأي الدنياويّ الخالص في حفظ الملك ذلك لكنّه عليه السّلام لمّا لم يكن ليتساهل في شيء من أمر الدين أصلاً وإن قلّ وكان إقرار معاوية، وأمثاله على الأعمال يستلزم العدول في كثير من تصرّفاتهم عن سبيل الله لا جرم لم ير إقراره على العمل، ومنعه ما سأل.

ولمّا كان منعه أوّلاً ممّا سأل منعاً خالصاً لله عن مشاركة الهوى، والميول الطبيعيّة لم يكن سؤاله ثانياً، واستعطافه إيّاه مقرّباً له إلى إجابته خصوصاً، وقد أخذت تلك الحروب الشديدة من العرب ما أخذت، وقتل من المهاجرين، والأنصار وسائر العرب من قتل، بل أجابه بعين ما أجابه أوّلاً من الردّ، والمنع في قوله: فلم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس؛ إذ العلّة في المنع قائمة في كلّ حين وزمان وهي المحافظة على دين الله.

«**وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ**»: بقيت الروح «**بَقِيَتْ**»: وفيه حفظ الرجال، والتبقية على الأجناد لحفظ الإسلام وتقويمه أمر واجب فلا جرم استعطفه واستدرجه إلى التبقية عليهم والتنبيه على ذلك بقوله:

قد و الله إلى قوله: بقيت؛ فأجابه عليه السّلام بقوله: «**ألا ومن كَلَّمَ**[1] **الحق فإلى النار**»: وهو كبرى قياس حذفت صغراه للعلم بها، وتقديرها: أنّ هؤلاء الأجناد الَّذين قتلناهم إنّما قتلهم الحقّ: أي كان قتلهم بحقّ لبغيهم وتقدير هذه الكبرى: وكلّ من قتله الحقّ فمصيره إلى النار فينتج أنّ مصير من قتل من هؤلاء إلى النار. ثمّ هذه النتيجة تنبيه على الجواب وهي في قوّة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه: وكلّ من كان من أهل النار فلا يجوز التبقية عليه ولا الأسف لفقده.

الرابع: أوهم بقوله: وإنّا في الحرب والرجال سواء، على أنّه ممّن لا ينفعل عن هذه الحروب وإن اشتدّت، وأنّ الضعف والهلاك إن جرى فعلى العسكرين. وفيه نوع تخويف، وتهويل فأجابه عليه السّلام بقوله:[2] «**وأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَي عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ولَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ**»: ويفهم من ذلك أنّه يقول: بل أنا أمضى في أمري وأولى بالغلبة لكوني على بصيرة ويقين، وحينئذ تكذب المساواة بينهما لكون المتيقّن أرجح في فعله من الشاكّ، ووجه كون الثاني جواباً أنّه يقول: إنّ أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا، وأهل العراق يطلبون بقتالهم الآخرة وليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الدنيا من أهل العراق على مطلوبهم من الآخرة، ويفهم من ذلك أنّه يقول: بل أهل العراق أحرص على الآخرة من أهل الشام على الدنيا لشرف الآخرة ولتيقّنهم حصولها، وانقطاع الدنيا وشكّ أهل الشام في حصولها كما قال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وتَرْجُونَ مِنَ الله ما لا يَرْجُونَ﴾ وحينئذ تكذب المساواة في الحرب والرجال لشرف أهل الآخرة على

(١) كَلَّمَ الحق: بمعنى ثَلَمَ: فنقص منه.

(٢) ورد في بعض متون النهج: أَلاَ ومَنْ أَكَلَهُ الحَقُّ فَإِلَى الجَنَّةِ ومَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ.

أهل الدنيا ولكون الأحرص أولى بالغلبة والقهر.

الخامس: أنّه نبّه بقوله: ونحن بنو عبد مناف. إلى آخره على مساواته له في الشرف والفضيلة وهو في قوّة صغرى قياس ضمير من الأوّل وتقدير كبراه: وكلّ قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر. فأجابه عليه السّلام بالفرق بينهما بعد أن سلم له الاشتراك بينهما في كونهما من بنى عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بدء فيها بالأمور الخارجة أوّلا من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه متدرّجاً منها إلى الأقرب فالأقرب قال عليه السلام: «**وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ولَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ**»: هذا شرفه من جهة الآباء المتفرّعين عن عبد مناف، وذلك أنّ سلك آبائه عليه السّلام أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وسلك آباء معاوية أبو سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد مناف، وظاهر أنّ كلّ واحد من أولئك الثلاثة أشرف ممّن هو في درجته من آباء معاوية. وقد ذكرنا طرفاً من فضلهم على غيرهم.

الثاني: شرفه من جهة هجرته مع الرسول صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم وخسّة خصمه من جهة كونه طليقاً وابن طليق قال:

«**ولَا الْمُهَاجِرُ**»: يعنى نفسه القدسية «**كَالطَّلِيقِ**»: و الطليق: من يؤسر ثم يُمن عليه فيطلق[1] وهذه فضيلة وإن كانت خارجيّة إلاّ أنهّا تستلزم فضيلة نفسانيّة وهي حسن الإسلام والنيّة الصادقة الحقّة.

«**ولَا الصَّرِيحُ**«: الخالص النسب:«**كَاللَّصِيقِ**»: هو من ينسب إلى قوم ولم يكن

(١) و الطليق: الأسير يطلق عنه إساره؛ يُنظر العين للخليل الفراهيدي: ج ٥ ص: ١٠٥.

منهم إشارة إلى شرفه من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعي.

الرابع شرفه من جهة كونه محقاً فيما يقوله ويعتقده، ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلاً فقال: «**وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ**»: وهذان الاعتباران أقرب لكونهما من الكمالات والرذائل الذاتيّة دون ما قبلهما.

الخامس: شرفه من جهة كونه مؤمناً والمؤمن الحقّ هو المستكمل للكمالات الدينيّة النفسانيّة، وخسّة خصمه فقال:

«**وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ**»: أي خبيث الباطن مشتملاً على النفاق والرذائل الموبقة. وظاهر أنّ هذين الاعتبارين أقرب الكمالات والرذائل إلى العبد، وإنّما بدء بذكر الكمالات والرذائل الخارجيّة لكونهما مسلَّمة عند الخصم وأظهر له وللخلق من الأمور الداخلة.

ثمّ لمّا ذكر الرذائل المتعلَّقة بخصمه أشار إلى كونه في أفعاله ورذائله خلفاً لسلف سقط في النار فقال: «**وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»: ثم رتّب ذمّه على ذلك.

في قوّة كبرى قياس استغنى بمفهومها عن صغراه.

وتقديرها: فأنت خلف تتبع سلفاً، وكلّ خلف تتبع في أفعاله ورذائله سلفاً هوى في نار جهنّم فهو كذلك، وكلّ من كان كذلك فبئس به.

السادس: أنّ معاوية لمّا أكّد ما به علَّق من المساواة في الفضل في قوله: وليس لبعضنا على بعض فضل واستثنى من ذلك فقال: إلَّا فضلاً لا يستذلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ. أشار عليه السّلام إلى كبرى هي كالجواب لذلك وهو قوله:

«**وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ**»: أي بعد ما ذكرت من الفضائل.

«**فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ ونَعَشْنَا**»: أنهضنا ورفعنا «**بِهَا الذَّلِيلَ**»: وظاهر ان هذا الفصل الذي حصل في هذا البطن من هاشم هو سبب أذلا لهم الأعزاء وإنعاشهم وتقويتهم الأذّلاء واسترقاقهم الأحرار، وذلك فضلٌ غريب عنه بنو أُميّة وغيرهم؛ فإذن قوله: وليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستذّل به عزيز إلى آخره قول باطل؛ ثمّ أردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة إلى فضيلة شملت كثيراً من العرب، وتلك هي دخولهم في الإسلام لا لله بل إمّا لرغبة أو رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم إلى الله وحصل المهاجرون والأنصار على ما حصلوا عليه من الفضائل المسعدة.

«**ولَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً**»: فوجاً بعد فوج «**وأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ**»: ثمّ لمّا أظهر هذه القرون من فضائله ورذائل خصمه نهاه عن أمرين: أن لا يتبع الهوى وكنى عنه بقوله:

«**فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً**»: والثاني: «**ولَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا**»: وهو كناية عن النهى عن انفعاله عنه.

وفتح باب الوسوسة عليه، وهذا النهى يفهم منه أنّه قد جعل للشيطان في نفسه نصيباً وله عليه سبيلاً وأنّ ذلك النهى في معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق.

أقول: روى أنّ ابن العبّاس كان قد أخبرّ ببني تميم حين، ولّى البصرة من قبله عليّه السّلام للّذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة

والزبير وعائشة؛ فحمل عليهم ابن عبّاس؛ فأقصاهم وتنكَّر عليهم وعيّرهم بالجمل حتّى كان يسمّيهم شيعة الجمل وأنصار عسكره وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان.

فاشتدّ ذلك على نفر من شيعة عليّ عليه السّلام من بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره؛ فكتب بذلك حارثة إليه عليه السّلام يشكو إليه ابن عبّاس. فكتب عليه السّلام إلى ابن عبّاس: أمّا بعد فإ نّ خير الناس عند الله غداً أعلمهم بطاعته فيما عليه وله وأقواهم بالحقّ وإن كان مرّاً؛ ألا وإنّه بالحقّ قامت السماوات والأرض فيما بين العباد؛ فلتكن سريرتك فعلاً؛ وليكن حكمك واحداً؛ وطريقتك مستقيمة.

«**واعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ**»: كناية عن إثارة الفتنة وكثرتها لأن مهبط إبليس ومستقره محل لذلك وأراد مهبط من الجنة.

«**ومَغْرِسُ الْفِتَنِ**»: وجه الاستعارة كونها محلّاً ينشأ فيه الفتن الكثيرة كما أنّ مغرس الشجر من الأرض محلّ لنشؤه ونمائه، قال بعضهم: وفي قوله: مهبط إبليس نوع لطف فإنّ الوهم الَّذي هو إبليس النفس العاقلة إذا انفرد بحكمه عن تدبيرها العقليّ وخرج عن موافقة العقل العمليّ فيما يراه ويحكم به فقد هبط من عالم الكمال وموافقة العقل، وتلقّى أوامره العالية الَّتي هي أبواب الجنّة إلى الخيبة السافلة، ومشاركة الشهوة والغضب في حكمه بأصلحيّة الآراء الفاسدة، ولمّا أحاط القضاء الإلهيّ بما يجرى من أهل البصرة من نكث بيعته عليه السّلام ومخالفته وكانوا ممّن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحيّة رأسا وهبط إبليس وجنوده بأرضهم فأروهم الآراء الباطلة في صور الحقّ فلحقوا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط

إبليس ومغرس الفتن الناشئة عن وسوسته وآرائه الفاسدة؛ ثمّ أمره أن يحادثهم بالإحسان إليهم فقال:

«**فَحَادِثْ أَهْلَهَا**»: أي اصقلهم «**بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ واحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ**»: استعار العقدة لما ألزمهم به من المخالفة بالغلظة عليهم وكثرة الأذى لهم، ووجه المشابهة كون ذلك الخوف ملازماً لهم معقوداً بقلوبهم كالعقدة للحبل ونحوه، ورشّح بلفظ الحلّ وكنّى به عن إزالة الخوف عنهم وغرض هذه الأوامر أن لا ينفر قلوبهم منه وتثور أضغانهم فيعاودوا الخروج عن طاعته وإثارة الفتن.

ثمّ أعلمه بما يريد إنكاره عليه ممّا بلغه من تنمّره له وهو نكير الأخلاق بغيرها قال:

«**وقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وغِلْظَتُك عَلَيْهِمْ**»: ثم أردف ذلك بذكر أحوال لهم يجب مراقبتهم وحفظ قلوبهم لأجلها، استعار له النجم من حيث كون السيد الجماعة قدوة يهتدون به ويقتدن برأيه في المصلحة كالنجم ورشح بذكر المغيب والطلوع.

«**وإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ**»: أي سيد «**إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ**»: أي قام مقامهم «**وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ**»: حقد فِي «**جَاهِلِيَّةٍ ولَا إِسْلَامٍ**»: ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنّه لم يسبقهم أحد إلى الثوران والأحقاد وحيث كانوا، في جاهليّة أو إسلام لشرف نفوسهم وقلّة احتمالهم للأذى، وذلك أنّ المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد ممّا يفعل من الأذى، وإن غضب في الحال إلّا أنّه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقدا.

الثاني: يحتمل أن يريد أنّهم لم يسبقوا بشفاء حقد من عدوّ وذلك لقوّتهم ونجدتهم.

«**وإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً**»: قرابة« **مَاسَّةً**» قريبه «**وقَرَابَةً خَاصَّةً**»: قيل: تلك لاتّصالهم عند إلياس بن مضر لأنّ هاشم ابن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن حزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وتميم ابن مراد بن طانجة بن إلياس بن مضر، وزاد ترغيباً في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة الرحم مستلزمة للأجر في الآخرة، وتركها مستلزم للوزر فقال: قيل: تلك لاتّصالهم عند إلياس بن مضر لأنّ هاشم ابن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن حزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وتميم ابن مراد بن طانجة بن إلياس بن مضر، وزاد ترغيباً في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة الرحم مستلزمة للأجر في الآخرة، وتركها مستلزم للوزر فقال:

«**نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا ومَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا**»: والأصل مؤزورون فقلّب ليجانس قوله: مأجورون. وفي الحديث لترجعنّ مأزورات غير مأجورات.

ثمّ أردف ذكر تلك الأحوال الّتي يقتضى الرفق بهم بالأمر بالتوقّف والتثبّت فيما يجرى على يده ولسانه من فعل هو خير أو شرّ فقال:

«**فَأُرْبَعْ**»: توقف «**أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ ويَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ**»: لأنّ التثبّت في الأمور أولى بإصابة وجه المصلحة، وأراد بالشرّ ما يجريه على رعيّته من عقوبة فعليّة أو قوليّة.

«**فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ**»: كالتعليل لحسن أمره له بالتثبّت في ذلك لأنّه لمّا كان والياً من قبله فكلّ حسنة أو سيّئة يحدثها في ولايته فله عليه السّلام شركة في إحداثها. إذ هو السبب البعيد لمسبّبها القريب، وأبو العبّاس كنية عبد الله بن

العبّاس، والعرب تدعو من تكرمه بالكنى قال: أكنّية حين أناديه لا كرمه، ولمّا كان عليه السّلام قد استصلحه للولاية ورآه أهلا لها أمره أن يلازم ظنّه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الرأي وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه بقوله: «**وكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ولَا يَفِيلَنَّ**»: ولا يضعفن «**رَأْيِي فِيكَ والسَّلَامُ**».

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ**»: جمع دهاقين يحتمل الصرف[1] وعدمه.

«**أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ**[2] **وقَسْوَةً**»: غلظة القلب «**وَغِلظة واحْتِقَاراً وجَفْوَةً ونَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ولَا أَنْ يُقْصَوْا**»: سعدوا «**ويُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ**»: يختلطه «**بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ ودَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ والرَّأْفَةِ وامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والإِدْنَاءِ والإِبْعَادِ والإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللهُ**»: توضيح هذا الكلام وتنقيح هذا المرام بأن يقال: المنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوساً ولمّا شكوا إليه غلظة عامله فكّر في أمورهم فلم يرهم أهلاً للإدناء الخالص لكونهم مشركين ولا إقصائهم لكونهم معاهدين فإنّ إدنائهم وإكرامهم خالصاً هضم ونقيصة في الدين، وإقصائهم بالكليّة ينافي معاهدتهم.

فأمره بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدّة كلّ في موضعه، وكذلك استعمال القسوة مرّة والرأفة أخرى والمزج بين التقريب والإبعاد لما في طرف اللين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في أعمالهم وزراعاتهم الّتي بها صلاح المعاش وما في مزاجها بالشدّة والقسوة والإبعاد من كسر عاديتهم ودفع شرورهم وإهانتهم المطلوبة في الدين، واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدّة والقسوة والإبعاد في حقّهم دائما واللين والرأفة والإدناء خالصا، واستعار لفظ

(١) يحتمل الصرف: لأنه معرب.

(٢) في متون النهج: غِلْظَةً.

الجلباب لما أمره بالاتّصاف به وهو تلك الهيئة المتوسّطة من اللين المشوب بالشدّة بين اللين الخالص والشدّة الصرفة، ورشّح بذكر اللين وبالله التوفيق.

ابن سميّة أُمّ أبي بكره، وروي أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عائشه حين سئلت لمن يدعى، وكان كاتباً لمغيرة بن شعبة ثمّ كتب لأبي موسى ثمّ كتب لابن عامر ثمّ كتب لابن عبّاس، وكان مع عليّ عليه السّلام فولّاه فارس، فكتب إليه معاوية يهدّده.

فكتب إليه: أتوعّدني وبيني وبينك ابن أبي طالب أما والله لئن وصلت إليّ لتجدني أحمز ضرابا بالسيف.

وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة: وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان.

«**وإِنِّي أُقْسِمُ بِالله قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً**»: الشدة الحملة «**تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ**»: المال «**ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الأَمْرِ**»: حصره «**والسَّلَامُ**».

حاصل الفصل تحذير زياد من خيانة ما يليه من مال المسلمين ووعيده إن وقعت منه بالعقوبة عليها.

وكنّى عنها بالشدّة ووصف شدّة تلك الشدّة باستلزامها أمورا ثلاثة فيها سلب الكمالات الدنيويّة والأُخرويّة: أحدها: نقصان ماله وقلّته. والثاني: نقصان جاهه. وكنّى عنه بقوله: ضئيل الأمر وهما سالبان للكمال الدنيويّ.

الثالث: ثقل ظهره بالأوزار والتبعات. وهو دالّ على سلب كماله الأُخرويّ.

فإن قلت: كيف يريد ثقل الظهر بالأوزار وليس ذلك بسبب شدّته عليه السّلام وإنّما الأوزار من اكتساب نفسه.

قلت: إنّ مجموع هذه الأمور الثلاثة وهى سلب ماله وجاهه مع ثقل الظهر بالأوزار حالة يدعه عليها وهي حالة مخوفة مكروهة خوّفه بها. ولا شكّ أنّ تلك الحالة من فعله وإن لم يكن بعض أجزائها من فعله، أو نقول: الثلاثة أحوال متعدّدة والحال لا يلزم أن تكون من فعل ذي الحال، ويحتمل أن يكون ثقل الظهر كناية عن التضعّف وعدم النهوض بما يحتاج إليه ويهمّه: أي يدعك ضعيف الحركة في الأمور، والله أعلم.

«**فَدَعِ الإِسْرَافَ**»: وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الاقتصاد المتوسّط بينه وبين الإجحاف بالنفس والإصرار بها.

«**مُقْتَصِداً**»: أوسط الأمور والأمر بترك الإسراف مستلزم للأمر بهذه الفضيلة لأنّ الأمر بالشيء على حالة أمر بتلك الحالة أيضاً.

«**واذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً**»: أي أذكر في حاضر أوقاته مستقبلها من يوم القيامة فإنّ في ذلك زجراً للنفس وانكساراً عن الإشراف على الدنيا والاشتغال بها.

«**وأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ**»: وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها.

«**وقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ**»: وهو يوم القيامة وما بعد الموت.

وفيه استدراج لإنفاق المال في سبيل الله فإنّ كلّ عاقل يعلم أنّ إسلاف ما لا يحتاج إليه من فضول المال في سبيل الله وتقديمه لما يحتاج إليه في وقت حاجته من

أكبر المصالح المهمّة.

ثمّ استفهم على سبيل الإنكار عن رجائه أن يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب في علمه من المتكبّرين تنبيهاً منه على أنّ ثواب كلّ فضيلة إنّما ينال باكتسابها والتخلّق بها لا بالكون على ضدّها بقوله:

«**أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ**»: فمن الواجب إذن التخلّق بفضيلة التواضع لينال ثوابها.

ولن يحصل التخلّق بها إلّا بعد الانحطاط عن درجات المتكبّرين فهو إذن من الواجبات، وكذلك استفهمه عن طمعه في ثواب المتصدّقين حال اقتنائه للمال وتنعّمه به ومنه الضعيف والأرملة بقوله: «**وتَطْمَعُ وأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ**: متنعم **فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ**»: المرأة التي لا زوج لها «**أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ**»: فإنّ ثواب كلّ حسنة بقدرها ومن لوازمها، وجزاء كلّ حسنة بحسبها ومن لوازمها. ونبّه على ذلك بقوله:

«**وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ والسَّلَامُ**».

فإنّ ثواب كلّ حسنة بقدرها ومن لوازمها، وجزاء كلّ حسنة بحسبها ومن لوازمها، ونبّه على ذلك بقوله: وهو خبر في معنى النهي، ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيويّة، ونبّه بقوله: ما لم يكن ليفوته.

على أنّ ما يحصل من مطالب الدنيا أمر واجب في القضاء الإلهيّ وصوله إلى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي أن يشتدّ فرحه عند حصوله، وبقوله: ما لم يكن ليدركه على أنّ ما يفوت منها فهو أمر واجب فوته فالأسف عليه ممّا لا يجدي نفعاً بل هو ضرر عاجل. ثمّ خصّصه بالخطاب على سبيل الوصيّة وفصّل

لـه ممـا ينبغـي أن يـسرّ وتأسـف عليـه بقولـه:

«**أَمَّـا بَعْـدُ فَـإِنَّ الْمَـرْءَ قَـدْ يَـسُرُّهُ دَرْكُ مَـا لَمْ يَكُـنْ لِيَفُوتَـهُ وَيَسُـوؤُهُ فَـوْتُ مَـا لَمْ يَكُـنْ لِيُدْرِكَـهُ**»: وهـو خـبر في معنـى النهـي، ولفـظ مـا في الموضعـين مهمـل يـراد بـه المطالـب الدنيويّـة، ونبّـه بقولـه: مـا لم يكـن ليفوتـه.

عـلى أنّ مـا يحصـل مـن مطالـب الدنيـا أمـر واجـب في القضـاء الإلهـيّ وصولـه إلى مـن يحصـل لـه فهـو كالحاصـل فـلا ينبغـي أن يشـتدّ فرحـه عنـد حصولـه، وبقولـه: مـا لم يكـن ليدركـه. عـلى أنّ مـا يفـوت منهـا فهـو أمـر واجـب فوتـه فالأسـف عليـه ممّـا لا يجـدي نفعـاً بـل هـو ضرر عاجـل. ثـمّ خصّصـه بالخطـاب عـلى سـبيل الوصيّـة وفصّـل لـه ممـا ينبغـي أن يـسرّ وتأسـف عليـه بقولـه:

«**وَلْيَكُـنْ سُرُورُكَ بِـمَا نِلْـتَ مِـنْ آخِرَتِـكَ وَلْيَكُـنْ أَسَـفُكَ عَـلَى مَـا فَاتَـكَ مِنْهَـا وَمَـا نِلْـتَ مِـنْ دُنْيَـاكَ فَـلَا تُكْثِـرْ بِـهِ فَرَحـاً**»: لمـا عرفـت مـن وجـوب فنائهـا وكـون القـرب منهـا مسـتلزماً للبعـد عـن الآخـرة.

«**وَمَـا فَاتَـكَ مِنْهَـا فَـلَا تَـأْسَ**»: لا تحـزن «**عَلَيْـهِ جَزَعـاً**»: وكأني بـك تقـول: كيـف قـال: عليـه السـلام: مـا نلـت مـن آخرتـك ومعلـوم أنّـه لا ينـال شيء مـن الآخـرة إلّا بعـد المـوت.

أقـول: يحتمـل وجهـين: احدهمـا لا يسـلم أم مطالـب الآخـرة لا تحصـل إلا بعـد المـوت فـأن الكـمالات النفسـانية مـن العلـوم والأخـلاق الفاضلـة والفـرح بهـا مـن الكـمالات الآخرويـة وأن كانـت الإنسـان في الدنيـا الثـاني أنـه يحتمـل أن يريـد فليكـن سرورك بـما نلـت مـن أسـباب آخرتـك فحـذف المضـاف وأقـام المضـاف إليـه وكذلـك مـا بـين مـا ينبغـي أن يكـون همـه متوجهـاً إليـه بقولـه:

«**ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»: من أحوال الآخرة من سعادة دائمة يسعى في تحصيلها أو شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها وبالله التوفيق.

في بعض أيام مرضه، **قال قبيل موته لما ضربه بن ملجم لعنه الله على سبيل الوصية**: وسيأتي شرح حال مقتله ووصيّته في فصل أطول من هذا وأليق بذكر الحال عنده إنشاء الله.

«**وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً**»: أوّل مطلوبي بلسان الشريعة كما سبق بيانه.

«**ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه واله وسلم، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ**»: وقد علمت أنّ من سنّته وجوب اتّباع كلّما جاء والمحافظة عليه فإذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات المأمور بها بالالتزام وظاهر أنّ إقامة هذين الأمرين مستلزم للخلوّ عن الذمّ.

«**أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ**»: لفظ العمود مستعار لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين الإسلام وعليهما مداره كالبيت على عمود الدين.

«**وخَلَاكُمْ ذَمٌّ**»: كالمثل أي وقد أعذرت وسقط عنك الذمّ؛ ثمّ نعى نفسه إليهم، وأشار إلى وجه العبرة بحاله بذكر تنقّلها وتغيّرها في الأزمان الثلاثة بقوله:

«**أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ**»: الّذي يعرفونه بالقوّة والشجاعة وقهر الأعداء وعليه مدار أمور الدنيا والدين.

«**والْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ**»: أي محل غيره «**وغَداً مُفَارِقُكُمْ**»: ثمّ أردف ذلك ببيان

أمره مع قاتله على تقديري فنائه وبقائه.

«**إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ﴾**[1] **والله مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ولَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ**»: وصدقه في ذلك ظاهر فإنّه عليه السّلام كان سيّد الأولياء بعد سيّد الأنبياء ومن خواصّ أولياء الله شدّة محبّة الله والشوق البالغ إلى ما أعدّ لأوليائه في جنّات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الَّذي هو باب وصوله إلى محابّه وأشرف مطالبه الَّتي قطع وقته في السعي لها وهي المطالب الحقّة الباقية وكيف ينكره وهو دائم الترصّد والاشتغال والذكر له. ثمّ شبّه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه إلى ما أُعدّ له من الخيرات الباقية بالقارب الَّذي ورد الماء قال:

«**ومَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ**»: من يكون بينه وبين الماء ليلة «**وَرَدَ**»: دخل **الماء**: ووجه الشبه استقرا به لتلك الخيرات ووثوقه بها واستسهاله بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدّة العطش وتعب الطريق، وفيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء. وكذلك شبّه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه، ووجه الشبه كونه قرّا عينا بما ظفر به من مطالبه الأُخرويّة كما يطيب نفس الطالب للشيء به إذا وجده، وظاهر أنّ طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها ممّا يتفاوت لتفاوت المطالب في العزّة والنفاسة، ولمّا كانت المطالب الأُخرويّة أهمّ المطالب وأعظمها قدرا وأعزّها جوهرا أوجب أن يكون بهجة نفسه بها وقرّة عينه بما أصاب منها أتمّ كلّ بهجة بمطلوب. ثمّ اقتبس الآية في مساق إشعاره بوجدان مطلوبه منبّها بها على أنّ مطلوبه في الدنيا لم يكن إلَّا ما

(١) سورة النور: الآية ٢٢.

عند الله الَّذي هو خير لأوليائه الأبرار من كلّ مطلوب: فقال عليه السلام:

«**وطَالِبٍ وَجَدَ وما عِنْدَ الله**»: خير للأبرار وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه ها هنا زيادة أوجبت تكرره.

أعلم أن هذه الوصية رويت هذه الوصيّة بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيّد منها فصولاً ولنوردها برواية يغلب على الظنّ صدقها: عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: بعث إليّ بهذه الوصيّة أبو إبراهيم عليه السّلام. هذا ما أوصى به وقضى في ماله عبد الله عليّ ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنّة ويصرفني به عن النار يوم تبيّض وجوه وتسوّد وجوه، إنّ ما كان لي بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة، ورقيقها غير أبي رباح وأبي يبر وعتقاء ليس لأحد عليهم سبيل. فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق أهاليهم. ومع ذلك ما كان بوادي القرى كله مال بني فاطمة رقيقها صدقة وما كان لي لبنى وأهلها صدقة غير أنّ رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم، وما كان لي بادنية وأهلها صدقة، والقصد كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وإنّ الَّذي كتبت ومن أموالي هذه صدقة واجبة ببكَّة حيّا أنا كنت أو ميّتا ينفق في كلّ نفقة أبتغي بها وجه الله في سبيل الله وجهة ذوى الرحم من بني هاشم وبني المطَّلب والقريب والبعيد، وإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف، وينفقه حيث يريد الله في كلّ محلَّل لا حرج عليه فيه، وإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل إنشاء لا حرج عليه فيه، وإن شاء جعله من الملك، وإنّ ولد عليّ أموالهم إلى الحسن بن عليّ وإن كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له أن يبيعها فليبعها إن شاء لا حرج عليه فيه فإن باع فإنّه يقسمها ثلاثة أثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله، ويجعل ثلثا في بنى هاشم وبنى المطَّلب، ويجعل الثلث في آل أبي طالب وأنّه

يضعهم حيث يريد الله؛ ثمّ يتّصل بقوله: وإن حدث بحسن حدث، وحسين حيّ فإنّه إلى حسين بن عليّ وإنّ حسيناً يفعل فيه مثل الَّذي أمرت به حسناً، له مثل الَّذي كتبت للحسن وعليه مثل الَّذي على الحسن؛ ثمّ يتّصل بقوله: وإنّ الَّذي لبنى فاطمة. إلى قوله: وتشريفاً لوصلته. ثمّ يقول: وإن حدث بحسن وحسين حدث فإنّ للآخر منهما أن ينظر في بنى عليّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته منهم فإنّه يجعله إليه إنشاء وإن لم ير فيهم بعض الَّذي يريد فإنّه يجعله في بنى ابني فاطمة ويجعله إلى من يرضى بهديه واسلامه وأمانته منهم، وإنّه شرط على الَّذي جعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبنى المطَّلب والقريب والبعيد، وأن لا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى إلى آخره؛ ثمّ يقول: ليس لأحد عليها سبيل هذا ما قضى عليّ أمواله هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كلّ حال، ولا يحلّ لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيّر شيئا ممّا أوصيت به في مال ولا يخالف فيه أمري من قريب ولا بعيد وشهد هذا أبو سمر بن أبرهة وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهيّاج بن أبي الهيّاج، وكتب عليّ بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين.

ولنرجع إلى شرح باقي الكتاب بعون الملك الوهاب:

هذا ما يولجني: يدخلني. والأمنة: الأمن. وحرّرها: جعلها حرّة.

وأكثر هذه الوصيّة واضح عن الشرح غير أنّ فيها نكتا: الأولى: جواز الوصيّة والوقف على هذا الوجه، وتعليم الناس كيفيّة ذلك. الثانية: قوله: يأكل منه بالمعروف:

«**هَـذَا مَـا أَمَـرَ بِـهِ عَبْـدُ الله عَـلِيُّ بْـنُ أَبِي طَالِـبٍ أَمِـيرُ الْمُؤْمِنِـينَ فِي مَالِـهِ ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ الله لِيُولِجَـهُ**: ليدخلـه بِـهِ **الْجَنَّـةَ وَيُعْطِيَـهُ بِـهِ الأَمَنَـةَ مِنْهَـا فَإِنَّـهُ يَقُـومُ بِذَلِـكَ الْحَسَـنُ بْـنُ عَـلِيٍّ يَـأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ**»: أي على وجه الاقتصاد الَّذي يحلّ له من غير إسراف وتبذير ولا بخل وتقتير.

«**وَيُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ**»: أي في وجوه البرّ المتعارفة غير المنكرة في الدين.

«**فَـإِنْ حَـدَثَ بِحَسَـنٍ حَـدَثٌ وحُسَـيْنٌ حَـيٌّ قَـامَ بِالأَمْـرِ بَعْـدَهُ وأَصْـدَرَهُ مَصْـدَرَهُ**»: يحتمل أن به أمره عليه السلام: وقيامه به تنفيذه وإجراؤه في موارده، ويحتمل أن يريد به جنس الأمور الَّتي أُمر بالتصرّف فيها وبها والضمير في بعده للحسن وفي أصدره للأمر الَّذي يقوم به.

وأمّا الضمير الَّذي في مصدره فيحتمل وجهين: أحدهما: عوده إلى الحسن، وتقديره وأصدر الحسين الأمر كإصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه.

والمصدر بمعنى الإصدار كقوله ﴿والله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً﴾[1] أي إنباتا، ويحتمل أن يكون المصدر محلّ الإصدار: أي وأصدره في محلّ إصداره.

ويحتمل أن يعود إلى الأمر الَّذي وصيّ به عليه السّلام ويكون المعنى ووضع كلّ شيء موضعه.

«**وإِنَّ لِابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ وإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ الله ص وتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ**».

---

(١) سورة نوح: الآية ١٧ .

«**وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ**»: كناية عن عدم إخراجه ببيع أو هبة أو بوجه من وجوه التمليكات.

«**وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً**»: والحكمة في ذلك وجهان:

أحدهما: أنّ الأرض قبل أن تشكل غراساً ربّما يموت فيها ما يحتاج إلى أخلاف فينبغي أن لا يباع من فسيلها شيء حتّى تكمل غراسا وثبت بحيث لا يحتاج إلى شيء.

الثاني: أنّ النخلة قبل أن يشكل أرضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا مشتدّة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعف جدّا حتّى لا تكاد نتجت فأمّا إذا قويت واشتدّت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير مضرّة وذلك حين يشكل أرضها ويتكامل غراسها وتلتبس على الناظر حسب ما فسّره السيّد رضي الله عنه.

«**وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ**»: كنّى بالطواف على إمائه عن نكاحهنّ وكنّ يومئذ سبع عشرة منهنّ أُمّهات الأولاد أحياء معهنّ أولادهنّ، ومنهنّ حبالى، ومنهنّ من لا ولد لها فقضى فيهنّ إن حدث به حادث الموت أنّ من كانت منهنّ ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لأحد أي يلزمه بحسب ثمنها من حصته وتتعلق عليه.

«**فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ**»: لا سبيل لأحد عليها.

«**قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ**»: العبودية «**وَحَرَّرَهَا**»: أعتقها «**الْعِتْقُ**»: أو قضاؤه عليه

السّلام بكون أُمّ الولد الحيّ محسوبة من حظّ ولدها وتعتق من مات ولدها من إمائه بعد موته بناء على مذهبه عليه السّلام في بقاء أُمّ الولد على الرقّ بعد موت سيّدها المستولد قال: السيد رضي الله عنه.

فالودية السنبلة وجمعها: ودي.

وقوله: حتى تشكل أرضها غرساً هو من أفصح الكلام والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى كراها الناضر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

ومن هذه الوصية يعلم جواز وصية الوقف على هذا الوجه وتعليم كيفية ذلك وبالله التوفيق.

مائتان وسبع وستون: وصيته صلوات الله كتبها لعامله على الصدقات .**ومن وصيّه له عليه السّلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرنا منها جملاً هاهنا ليعلم بها انه عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنما ذكر منها جملاً ها هنا ليعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل: في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها:** واعلم أنّ الرفق بالرعيّة وإن كان من أهمّ المطالب للشارع صلَّى الله عليه -وآله -وسلَّم لاستلزامه تألّف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحقّ إلّا أنّه هاهنا أهمّ والحاجة إليه أشدّ، وذلك أنّ الغرض هنا أخذ بعض ما هو أعزّ المطالب عند الناس من أيديهم وهو المال ومشاركتهم فيه فقلوبهم هنا أقرب إلى النفار ممّا يدعون إليه من سائر التكاليف وهم إلى المداراة والرفق أشدّ حاجة فلذلك أكّد عليه السّلام وصيّة العامل بالرفق بهم والمساهلة منهم حفظاً لقلوبهم. وفي الوصيّة مواضع:

«**انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»: أي معتمداً عليه غير مشرك في تقواه غيره ولا موجّه نيّته في انطلاقه إلى سواه لأنّ حركته هذه حركة دينيّة من جملة العبادات فيجب توجيهها إليه بالإخلاص.

«**ولَا تُرَوِّعَنَّ**»: راعه أفزعه **مُسْلِماً**: حال من الضمير في عليه «**ولَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً**»: أي لا تختار شيئا من إبله أو ماشيته وهو كاره لاختياره، وروى ولا يجتازنّ بالجيم: أي ولا يمرّنّ على أرض إنسان ومواشيه وهو كاره لمرورك عليها.

«**ولَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ فَإِذَا قَدِمْتَ**»: دخلت «**عَلَى الْحَيِّ**»: القبيلة «**فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ**»: فأن من عادة العرب ان يكون مياههم بارزة من بيوتهم.

«**مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ**»: لما في ذلك من المشقّة عليهم والتكلّف له.

«**ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ**»: بالسكون «**والْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ولَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ**»: أي لا تنقصها «**ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ**»: أي قال لك نعم «**فَانْطَلِقْ**»: أذهب.

«**مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ**»: بظلمه «**أَوْ تُرْهِقَهُ**»: تكلفه عسراً.

«**فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ**»: والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل يستلزم حسن هذا النهي.

وتقدير كبراه: وكلّ من كان أكثر المال له فهو أولى بالتصرّف والحكم والمال

فيلزم أن لا يصحّ تصرّف غيره فيه ودخوله إلّا بإذنه.

«**فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ**»: متغلب عليه ولا عنيف به الذي ليس له الرفق بالأنعام ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعها «**وَلَا تَسُوأَنَّ**»: تُحزن «**صَاحِبَهَا فِيهَا**»: أدبه عليه السلام بهذا الكلام بما ينبغي أن يفعله في حقهم ما يستلزم المصلحة وعلمه أسباب الشفقة عليهم من الأفعال، كالسّكينة والوقار والقيام فيهم من الأقوال كالسلام وأداء الرسالة وأحوال الأقوال كإتمام التحية والرفق في القول ومن النزول كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسراً ولا يدخل ابله ولا ماشيته من غير إذنه ولا يدخلها دخول.

(١) بضرب ونحوه لما في ذلك كله من أذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد لمطلوب الشارع.

«**واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ**»: أي أقسمه قسمين «**ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَن اخْتَارَهُ** (٢) **فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ ثُمَّ اخْلِطْهُمَا**»: ثم اخلطها: وفي النسخ اخلطها.

«**ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ**»: تعليم لكيفيّة استخراج الصدقة الّتي في الإبل والماشية، وهو أن يفرّق الإبل والماشية عند اختلاط الكلّ فرقتين ثمّ يخيّره فإن اختار قسما فلا ينازعه فيه وليس له أن يستأنف فيه نظراً آخر، وكذلك يقسّم الصدع الباقي بنصفين ولا يزال يفعل كذلك حتّى ينتهي أحد الصدعين إلى مقدار الواجب من حقّ الله تعالى في ذلك المال أو فوقه

(١) ورد في بعض متون النهج هذه الزيادة ببعض المفردات «مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ولاَ عَنِيفٍ بِهِ ولاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولَا تُفْزِعَنَّهَا ولَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا»

(٢) ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ.

بقليل فيؤخذ منه مقدار الواجب أو دونه بيسير فيتمّم ويجعل لربّ المال اختيار أحد الصدعين والإقالة إن استقال من أخذ تلك القسمة تسكيناً لقلبه وجبراً من تنقّص ماله.

«**ولَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً**»: هو الذي جاوز في السن النازل «**ولَا هَرِمَةً**» كبير السن «**ولَا مَكْسُورَةً**»: التي إنكسرة أحد قوائمها «**ولَا مَهْلُوسَةً**»: التي قد هلسها المرض وذهب لحمها والهلاس الشدة.

«**ولَا ذَاتَ عَوَارٍ**»: أي معينة، مراعاة لحقّ الله تعالى وجبراً لحال مصارفه وهم الأصناف الثمانية الَّذين عدّدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم. وقيل الظاهر من كلامه عليه السّلام أنّه كان يأمر بإخراج كلّ واحد من هذه الأصناف المعيّنة من المال قبل أن يصدع نصفين

«**ولَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ به**»[1]: أي لا توكل بحفظها وسوقها إلا من يثق بدينه وامانته أتقاء من نفسه بحفضه.

«**رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ**»: يعني نفسه المقدسة عليه السلام «**فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ولَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً**»: لله ولرسوله أي على ما يقوم عليه.

«**وأَمِيناً حَفِيظاً غَيْرَ مُعْنِفٍ ولَا مُجْحِفٍ**»: أجحف به ذهب أي غير الذي يسوق المال سوقاً عنيفاً تذهب بلجمه «**ولَا مُلْغِبٍ: اللغوب**»[2]: أي المتعب

«**ولَا مُتْعِبٍ**»: وذلك من الأمور اللازمة في حفظ الواجب في حقّ الله تعالى.

---

(١) ورد في بعض متون النهج: بِدِينِهِ.

(٢) اللغوب: بضمتين التعب والاعياء: مختار الصحاح: ص: ٣٠٧ لمحمد بن ابي بكر الرازي.

«**ثُمَّ أُحْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ**»: أي أنحدر بها إلينا.

«**نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ**»: أمره أن يحمل إليه ما يجتمع معه ولا يؤخّره لأمرين:

أحدهما: الحاجة إلى صرفه في مصارفه.

الثاني: الخوف من تلفه بأحد أسباب التلف قبل الانتفاع به.

ثم عاد إلى الوصيّة بحال البهائم بقوله:

«**فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ**»: أمره **أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وبَيْنَ فَصِيلِهَا ولَا يَمْصُرَ**: تميّز وتخصّصها به دون صواحباتها لأنّ ذلك ممّا يضرّ بنا.

لا تحلب «**لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا ولَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً**»: تميّز وتخصّصها به دون صواحباتها لأنّ ذلك ممّا يضرّ بنا.

ولْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ: مما يقل منه ضرب الركوب.

وبَيْنَهَا: وهو أيضاً من الشفقة الطبيعية **ولْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ ولْيَسْتَأْنِ**: ليرفق.

بِالنَّقِبِ: البعير الذي رق أخفافه لكثرة المشي **والظَّالِعِ**: طلع البعير غمز في مشيته **ولْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ ولَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ**[1] **ولْيُمْهِلْهَا فِي السَّاعَاتِ**: ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهي أن يأتي بحال السّمن والراحة.

ولْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ: المياه القليلة **والأَعْشَابِ**: جمع عشب وهي البنات **حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللهِ بُدَّناً**: سماناً **مُنْقِيَاتٍ**: التي من سّمنها يصير لها **غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ ولَا**

(١) ورد في بعض متون النهج: ولْيَرُوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ.

مَجْهُودَاتٍ: التي أجهدت أو تعبت.

لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه -وآله- وسلم: أنما قال ذلك وأن كان أمراً معلوماً من حاله عليه السّلام لأنّه لمّا بالغ في الوصيّة بحالها فربّما سبق إلى بعض الأوهام الفاسدة أنّ ذلك لغرض يختصّ به يخالف الكتاب والسنّة.

ثمّ رغّبه في ذلك بكونه أعظم لأجره عند الله وأقرب لهداه ورشده لطريق الله بقوله:

فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ: لكونه أكثر مشقّة وأكثريّة الثواب تابعة لأكثريّة المشقّة.

وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ: لسلوكه في ذلك على أثره عليه السّلام واقتدائه بهداه الّذي لم يكن عارفا به. **إِنْ شَاءَ اللهُ**: ذكره للتبرك.

آمُرُهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لَا شَاهِدَ غَيْرُهُ ولَا وَكِيلَ: ولا حفيظ **دُونَهُ**: أعلم أنه أمره عليه السّلام بأوامر بعضها يتعلّق بأداء حقّ الله تعالى وبعضها يتعلّق بأحوال الرعيّة والشفقّة عليهم لغاية نظام حالهم وتدبير أمورهم. فالّذي يتعلّق بحقّ الله تعالى أمران:

أحدهما: أن يتّقيه فيما يسرّ من أموره ويخفى من أعماله وهى التقوى الحقّة المنتفع بها.

وقوله: حيث، إشارة إلى موضع أسرار العمل وإخفاء الأمور. وأتى بقوله: لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد له والتخويف باطّلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيّات أعمالهم وتولّيه لها دون غيره. ونبّه بكونه هو الشهيد

دون غيره على عظمته مع الردّ لما عسى أن يحكم به الوهم مطلقا من أنّ السرائر والأمور الخفيّة لا يطّلع عليها غير من هي له.

الثاني: أن يوافق في طاعته لله تعالى بين ما أظهره وما أبطنه، ويخلص أعماله الظاهرة من الرياء والسمعة، وذلك قوله: **وَآمُرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَظْهَرَ**: من حاله **التخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ**: و [ما] في فيما بمعنى: الَّذي ويحتمل أن تكون مصدريّة. وفيما ظهر: أي للناس من طاعة الله.

ثم رغيب فيما أمره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بقوله:

ومَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلَانِيَتُهُ وفِعْلُهُ ومَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ: الَّتي كلَّفها عباده على ألسنة رسله وأئمّة دينه، وظاهر كون ذلك مستلزماً لثواب الله والأمن من سخطه.

وأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ: وجه الملازمة ظاهر وأما ما يتعلق بأحوال الرعية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال أرباب الأموال التي يتسحق عليهم، وجه الملازمة ظاهر وأمّا ما يتعلَّق بأحوال الرعيّة والشفقّة عليهم فمنه ما يتعلَّق بحال أرباب الأموال الَّتي يستحقّ عليهم الصدقة، ومنه ما يتعلَّق بأرباب الصدقة المستحقّين لها: أمّا الأوّل فقوله:

وآمُرُهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ: يزجرهم **ولَا يَعْضَهَهُمْ**: لا يرميهم ببهتان وكذب.

ولَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ: أي وأن لا ينقبض عنهم ويترفّع عليهم تفضيلا لنفسه بالإمارة. وانتصب تفضيلاً على المفعول له.

فَإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ والأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ: قياس ضمير من الشكل الأوّل يستلزم حسن الانتهاء عمّا أمر بالانتهاء عنه ووجوبه، والمذكور في قوّة صغرى، وتقدير الكبرى: وكلّ من كان أخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فيجب أن لا يفعل في حقّه شيء ممّا أمرت بالانتهاء عنه، وأمّا أنّهم الأعوان على استخراج الحقوق فلأنّ الحقوق المطلوبة منهم إنّما تحصل بواسطتهم، وحصولها منهم إنّما يتمّ بالشفقّة عليهم وأن لا يفعل معهم شيء ممّا نهى عنه عليه السّلام فإنّ كلّ تلك الأمور ممّا ينفّر طباعهم ويشتّت نظام شملهم ومنه يكون قلّة مال الصدقة المستحقّة عليهم، ويحتمل أن يدخل في هؤلاء الجند أيضاً، وأمّا ما يتعلّق بالمستحقّين للصدقة فأن يوفّيهم حقوقهم منها، وأشار إلى الحجّة على وجوب ذلك عليه بقوله: **وإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وحَقّاً مَعْلُوماً وشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ**: الحجة على وجوب وهو في قوّة صغرى ضمير من الشكل الأوّل، وتقدير كبراه: وكلّ من كان له نصيب مفروض وحقّ معلوم في شيء.

فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ: وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقّه منه فواجب عليه أن يوفّي شركاؤه حقوقهم: أمّا الصغرى فظاهره. وأمّا الكبرى فأشار إلى بيانها بقياس آخر من الشكل الأوّل مركّب من متّصلين. فأشار إلى الصغرى بقوله والكبرى:

وإِلَّا فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وبُؤْسَي لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ والْمَسَاكِينُ والسَّائِلُونَ والْمُدْفُوعُونَ والْغَارِمُونَ وابْنُ السَّبِيلِ: وصار تقدير القياس وإن لا توفّهم حقّهم فإنّك ممّن خصومه أكثر الناس: أي الفقراء والمساكين وسائر الأصناف يوم القيامة، وكلّ من كان خصومه أكثر الناس وهم الأصناف

المذكورة فبؤساً له عند الله يوم القيامة، وينتج متّصلة مركّبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي إن لا توفّهم حقوقهم فبؤساً لك، وهو في معرض التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة، وشركاء عطف على قوله: حقّاً معلوماً. وأهل المسكنة صفة له، وبؤساً نصب على المصدر. وأمّا الأصناف المستحقّين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ إلى قوله ﴿وابْنَ السَّبِيلِ﴾[1] فأمّا الفقير فقال: ابن عبّاس وجماعة من المفسرين: إنّه المتعفّف الَّذي لا يسأل، والمسكين هو الَّذي يسأل وعن الأصمعي أنّ الفقير هو الَّذي له ما يأكل والمسكين هو الَّذي لا شيء له، وأمّا العاملون عليهم فهم السعاة في جباية الصدقات. ويعطيهم الإمام منها بقدر أجور أمثالهم، وأمّا المؤلَّفة قلوبهم فكانوا قوماً من أشراف العرب يتألَّفهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مبدأ الإسلام ويعطيهم سهماً من الزكاة ليدفعوا عنه قومهم ويعينوه على العدوّ كالعبّاس بن مرداس وعيينة بن الحصن وغيرهما ثمّ استغنى المسلمون عن ذلك عند قوّتهم، وأمّا في الرقاب: أي في فداء الرقاب. فقال ابن عبّاس: يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهماً ليعتقوا به، وأمّا الغارمون فهم الَّذين لزمتهم الديون في غير معصية ولا إسراف، وأمّا في سبيل الله فهم الغزاة والمرابطون، وأمّا ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة. وإن كان غنيّاً في بلده. وقد ذكر عليه السّلام هاهنا في معرض إيجاب الشفقّة والرحمة له خمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون ثمّ المدفوعون ويشبه أن يريد بهم العاملين عليها وسمّاهم مدفوعين باعتبار أنّهم يدفعون لجباية الصدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاة عليه فسألوه هل عليه زكاة أم لا دفعهم عن نفسه.

(١) سورة التوبة: الآية ٦٠ .

ذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذلّ وانقهار وكونه عليه السّلام في معرض الأمر بالشفقّة عليهم.

وقيل أراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال. ثمّ الغارم وابن السبيل. وإنّما ذكر هؤلاء الخمسة أو الأربعة لكونهم أضعف حالاً من الباقين.

«**ومَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَى**»: يشبه أن يكون كبرى قياس ضمير احتجّ به في معرض الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذلّ والخزي له في الدارين على تقدير أن لا يوفّيهم حقوقهم وتقدير القياس وإن لا توفّهم حقوقهم تكن مستهينا بالأمانة راتعا في الخيانة غير منزّه نفسك ودينك عنها، وكلّ من كان كذلك فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الذلّ وهو في الآخرة أذلّ وأخزى، وروى أخلّ بنفسه: أي ترك ما ينبغي لها، وروي أحلّ نفسه: أي أباحها. والذلّ على هاتين الروايتين مبتدأ خبره في الدنيا، والخيانة أعمّ من الغشّ وهى رذيلة التفريط من فضيلة الأمانة. والغشّ رذيلة تقابل فضيلة النصيحة وهما داخلتان تحت رذيلة الفجور «**وإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ وأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ والسَّلَامُ**»: تنبيه على عظم الخيانة هنا.

إذ كانت خيانة كلّيّة عامّة الضرر لأكثر المسلمين، ومستلزمة لغشّ الإمام الّذي هو أفضل الناس وأولاهم بالنصيحة فإذا كان مطلق الخيانة ولو في حقّ أقلّ الخلق وأحقر الأشياء منهيّاً عنها ويستحقّ العقاب والخزي عليها فبالأولى مثل هذه الخيانة العظيمة وكلّ ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالأمانة وبالله التوفيق.

هذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على أمور: الأوّل: وصيّته محمّداً بمكارم الأخلاق في حقّ رعيّته، وذكر أوامر: أحدها قوله: «**فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ**»: وأصله أنّ الطائر يمدّ جناحيه ويخفضهما ليجمع فراخه تحتها إيهاما للشفقّة عليها. فاستعمل كناية عن التواضع الكائن عن الرحمة والشفقّة كما قال تعالى ﴿واخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقد بيّنا أنّ التواضع ملكة تحت فضيلة العفّة.

«**وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ**»: كناية عن الرفق في الأقوال والأفعال وعدم الغلظة عليهم والجفاوة في حقّهم في كلّ الأحوال. وهو قريب من التواضع.

«**وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ**»: كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس. وهو من لوازم التواضع أيضاً.

«**وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ**»: اللحظة أخفّ من النظرة، وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الأمور وحقيرها وقليلها وكثيرها.

«**حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ**»: بيان وجه الحكمة في أمره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما.

فإن قلت: فلم خصّص العظماء بالطمع في الحيف والضعفاء باليأس من العدل.

قلت: لأنّ العادة أنّ الولاة والأمراء إنّما يخصّصون بالنظرة والإقبال بالبشاشة الأغنياء والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم أن يحاف لهم،

(١) سورة الحجر: الآية ٨٨ .

والإعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل في حقّهم. والضمير في قوله: عليهم. يرجع إلى العظماء الثاني: الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير أعمالهم وكبيرها قال:

«**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ والْكَبِيرَةِ والظَّاهِرَةِ والْمُسْتُورَةِ فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ**»: قيل المراد الظلم يحتمل أن يكون قد سميّ ما يجازيهم به من العدل ظلما مجازا لمشابهة الظلم في الكميّة والصورة كما سميّ في القصاص اعتداء كقوله ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾[1] ثمّ نسب إليه فعلهم فصدق إذن أفعل التفضيل باعتبار كونهم بدؤا بالمعصية.

«**وإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ**»: ثم اعلمهم بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفيّة استعمالها الواجب بقوله: «**واعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ولَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ**»: يقال خطبت المرأة عند زوجها أي لها دولة الخطوة المنزلة الشريفة.

«**وأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ والْمَتْجَرِ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ الله غَداً فِي آخِرَتِهِمْ لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ولَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ**»: وصف المتّقين فيها ليقتدوا، وخلاصة حالهم المذكورة أنّهم أكثر فايدة من أهل الدنيا إذ حصلوا من اللذّة في دنياهم على أفضل ما حصل لأهلها من لذّاتهم بها مع زيادة الفوز الأكبر في الآخرة بما

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤ .

وعد فيها المتّقون، واعلم أنّ الّذي يشير إليه من عاجل الدنيا في حق المتّقين الّذين شاركوا أهلها فيها وحظوا به منها ممّا حظى به المترفون وأخذه الجبابرة المتكبّرون هو ما حصلوا عليه من لذّات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روى عنه في صفتهم بلفظ آخر: شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم أباحهم في الدنيا ما كفاهم وبه أغناهم قال الله عزّ اسمه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1] الآية سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون وشربوا من طيّبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وتزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون وركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا وهم فيها جيران الله يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون لا يردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذّة. فأمّا وجه كونهم أكلوها على أفضل ما أكلت وسكنوها بأفضل ما سكنت فلأنّهم استعملوها على الوجه الّذي ينبغي لهم وقد أمروا باستعمالها عليه وظاهر أنّ ذلك الوجه أفضل الوجوه، وأمّا أنّهم شاركوا أهل الدنيا في طيّباتها فظاهر، بل نقول: إنّ لذّتهم بما استعملوا منها أتمّ وأكمل، وذلك أنّ كلّ ما استعملوه منها من مأكول ومشروب ومنكوح ومركوب إنّما كان عند الحاجة والضرورة إليه، وقد علمت أنّ الحاجة إلى الشيء كلّما كانت أشدّ وأقوى كانت اللذّة به عند حصوله أتمّ وأعلى وذلك من الأمور الوجدانيّة. فثبت إذن أنّهم حظوا منها بما حظى به المترفون وأخذوا منها أخذة الجبابرة المتكبّرين مع ما فضّلوا به من الحصول على آجل الآخرة الّذي لم يشاركهم أهل الدنيا فيه كقوله تعالى ﴿ومَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وما لَهُ فِي الآخِرَةِ

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

مِنْ نَصِيبٍ﴾[1] وأمّا الزاد المبلّغ لهم إلى ساحل العزّة وحضرة الجلال فهو التقوى الّذي اتّصفوا به كما قال تعالى ﴿وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾[2] وقد علمت معنى كونه زادا غير مرّة واستعار للتقوى والطاعة لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الله المشبه للثمن، ورشّح بذكر المربح: أي المكسب للربح، وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله في الآخرة على ما بذله العبد من نفسه من العمل.

وقوله: أصابوا لذّة زهد الدنيا. إشارة إلى بعض ما يزود به من اللذّات في الدنيا وهو لذّة الزهد. إذ كان لهم بطرح الدنيا عن أعناق نفوسهم ووصولهم بسببه إلى ما وصلوا إليه من الكمالات العالية ابتهاجات عظيمة أجلّ وأعلى ممّا يعده المترفون والمتكبّرون لذّة وخيراً.

وهم الّذين يحقّ لهم أن يتكبّروا على المتكبّرين؛ إذ كان الكمال الّذي به تكبّر المتكبّرون أمرا خاليا ضعيفا بالقياس إلى الكمال الحقّ الّذي حصل عليه هؤلاء.

وقوله: وتيقّنوا أنّهم جيران الله غدا أي يوم القيامة، وهو إشارة إلى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم به المضاف إلى ما أصابوه من لذّة زهد الدنيا وتلك الجهة هي ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التامّ إليه بعد مفارقة الأبدان، وذلك معنى جواره.

وقوله: لا تردّ لهم دعوة. إشارة إلى بعض فضائلهم الّتي انفردوا بها أيضاً المتفرّعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم

(١) سورة الشورى: الآية ٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

مجابي الدعوة مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذّة في الدنيا وانفردوا به من تمامها في الآخرة.

الرابع: تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على غايته قال:

«**فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وقُرْبَهُ وأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ**»: يعني أنّ ذلك الأمر قد يكون خيراً خالصاً دائماً وقد يكون شرّاً خالصاً دائما لتشتدّ الرغبة وتقوى في إكمال العدّة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير ولدفع ذلك الشرّ، ثمّ نبّه على أنّ ذلك الخير الَّذي يأتي به الموت هو الجنّة وذلك الشرّ هو النار وأنّ المقرّب إلى كلّ منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله: «**فَإِنَّهُ**»: الموت «**يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً**»: يعني أن ذلك الأمر قد يكون خيراً خالصاً وإيماً وقد يكون شر ثم أشار إلى أن ذلك الخير الذي يأتي به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وأن المقرب إلى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله:

«**فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ومَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا وأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ**»: الموت جمع طريدة وهي ما يطرد من صيد.

«**إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ والدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ**»: فيه تنبيه على أنّ هذا الأمر المستعقب لإحدى هاتين الغايتين العظيمتين، وهو الموت لا بدّ من لقائه ليتأكّد الأمر عليهم بالاستعداد له. واستعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه بالفارس المجدّ في الطلب الَّذي لا بدّ من إدراكه الطريدة، وظاهر أنّه ألزم لكلّ أمرء من ظله؛ إذ كان ظلّ المرء قد ينفكّ عنه حيث لا ضوء والموت

أمر لازم لا بدّ منه.

وقوله: والموت معقود بنواصيكم؛ كناية عن لزومه وكونه لا بدّ منه من اقتضاء: أي مشدود ومربوط بنواصيكم وذلك الربط إشارة إلى حكم القضاء الإلهي به وكونه ضروريّاً للحيوان، وإنّما خصّ الناصية لأنّها أعزّ ما في الإنسان وأشرف، واللازم لها أملك له وأقدر على ضبطه؛ ونحوه قوله تعالى ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ﴾ واستعار لفظ الطيّ لتقضّي أحوال الدنيا وأيّامها الّتي يقطعها الإنسان وقتاً فوقتاً ملاحظة لشبه أحوالها بما يطوى من بساط ونحوه، وظاهر أنّ ذلك الطيّ من خلفهم خلفاً خياليّاً بالنسبة إلى ما يستقبلونه من أحوالها بوجوه هممهم؛ ثمّ لمّا كرّر ذكر الموت وأكّد لزومه بطيّ الدنيا رجع إلى التحذير من غايته بقوله: «**فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وحَرُّهَا شَدِيدٌ وعَذَابُهَا جَدِيدٌ**»: وصف أوصافها ليشتدّ الحذر منها وهي بعد قعرها، وممّا ينبّه عليه ما روى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم سمع هدّة فقال: لأصحابه: «هذا حجر ألقى من شفير جهنّم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفاً والآن حين وصل إلى قعرها»[1]، وكان ذلك إشارة إلى منافق مات في ذلك الوقت، وعمره سبعون سنة، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

وشدّة حرّها كقوله تعالى ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾[2] وحدّة عذابها كقوله تعالى ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾[3].

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي الجرجاني: ج٢ ص٢٤٧؛ شرح النهج: لأبن ميثم البحراني: ج٣ ص٣٦٤؛ عوالي الئالي لابن أبي جمهور الإحسائي: ج١ ص٢٨٠؛ في التخويف من النار: لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي البغدادي الدمشقي: ص٤٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨١.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٦ .

«**دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ولَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ**»: لقوله تعالى ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1].

«**ولَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ**»: لقوله تعالى ﴿فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[2] وقوله ﴿ونادَوْا يا مالِكُ﴾ إلى قوله ﴿ماكِثُونَ﴾[3].

«**وإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ وأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا**»: أمر لهم بالجمع من شدّة الخوف من الله وحسن ظنّ به وهما بابان عظيمان من أبواب الجنّة كما علمته فيما سلف؛ ثمّ أشار إلى أنّهما متلازمان بقوله:

«**فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ وإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للهِ**»: أراد أنّ مقدار حسن ظنّ العبد بربّه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وإنّ زيادته مع زيادته ونقصانه مع نقصانه.

واعلم أنّه عليه السّلام لم يجعل أحدهما علّة للآخر بل هما معلولا علّة واحدة مساوياً بها وهي معرفة الله.

ثمّ لمّا كانت معرفة الله تعالى مقولة بحسب الشدّة والضعف كان حسن الظنّ به ورجاؤه وشدّة الخوف منه أيضاً ممّا يشتدّ ويضعف بحسب قوّة المعرفة وضعفها إلّا أنّ كلّ واحد منها يستند إلى ضعف من المعرفة واعتبار خاصّ يكون هو مبدأ القريب أمّا في حسن الظنّ والرجاء فأن يلحظ العبد من ربّه ويعتبر جميع أسباب نعمه على خلقه حتّى إذا علم لطائفها في حقّهم ممّا هو ضروريّ لهم كآلات

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف: الآية ٧٧.

الغذاء، وما لهم إليه حاجة كالأظفار، وما هو زينة كتقويس الحاجبين واختلاف ألوان العينين، وبالجملة ما ليس بضروريّ علم أنّ العناية الإلهيّة إذا لم يقصر في أمثال هذه الدقائق حتّى لم يرض لعباده أن يفوتهم الموائد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم إلى الهلاك الأبديّ بل إذا أراد اعتبارا في هذا الباب علم أنّه تعالى هيّأ لأكثر الخلق أسباب السعادة في الدنيا حتّى كان الغالب على أكثرهم الخير والسلامة سنّة الله الّتي قد خلت في عباده وعلم أنّ الغالب في أمر الآخرة ذلك أيضا لأنّ مدبّر الدنيا والآخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور الرحيم، وحينئذ تكون الملاحظات والاعتبارات مستلزمة لحسن الظنّ وباعثة على الرجاء، ومن هذه الاعتبارات النظر في حكمة الشريعة وسببها ومصالح الدنيا، ووجه الرحمة على العباد بها، وبالجملة أن يعتبر صفات الرحمة واللطف. وأمّا في الخوف فأقوى أسبابه أن يعرف الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وتعاليه وسطوته واستغناه، وأنّه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، وكذلك ساير اعتبارات الصفات الّتي يقتضي العنف وإيقاع المكاره كالسخط والغضب، ولذلك قال تعالى ﴿إِنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[1] وقال صلّى الله عليه -وآله- وسلّم: «أنا أخوفكم لله»[2].

وبحسب اشتداد المعرفة بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف واحتراق القلب؛ ثمّ يفيض أثر ذلك على البدن فيحصل التحوّل والصغار والغشية والزعقة والرعدة على الجوارح فيكفّها عن المعاصي ويقيّدها بالطاعات استدراكاً لما فرّط منه في الصفات فيفيد قمع الشهوات وتكدير اللذّات، ولاحتراق القلب

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) أحياء علوم الدين للغزالي: ج١٢ ص٤؛ جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): ص٥٧٨؛ وشرح النهج لابن ميثم البحراني: ج٤ ص٤٢٧.

بالخوف يحصل له ذبول، وذلّة يفارقه معها كثير من الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها. ثمّ إنّ الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضائل، وذلك أنّ معرفة الله تعالى واليقين به إذ حصل هيّج الخوف من عقابه والرجاء لثوابه بالضرورة، وهما يفيدان الصبر إذ حفّت الجنّة بالمكاره فلا صبر على تحمّلها إلّا بقوّة الرضا، وحفّت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها إلّا بقوّة الخوف، ولذلك قال عليّ عليه السّلام: من اشتاق إلى الجنّة سلّي عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات. ثمّ يؤدّى مقام الصبر إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهى مؤدّية إلى كمال المعرفة المؤدّى إلى الأُنس المؤدّى إلى المحبّة المستلزمة لمقام الرضا والتوكّل، إذ من ضرورة المحبّة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته. ولمّا ثبت أنّهما معلولا علّة واحدة ثبت أنّهما متلازمان وليسا بمتضادّين وإن ظنّ ذلك في ظاهر الأمر بل ربّما غلب أحدهما على الآخر بحسب غلبة أسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الآخر فيظنّ أنّه يعانده وينافيه، ولذلك أتى عليه السّلام هنا بأن المقتضية للشكّ في استطاعتهم للجمع بينهما؛ ثمّ نبّهه على إحسانه إليه بتوليته أعظم أجناده ليتبنى عن التذكير بتلك النعمة ما يريد أن يوصيه به فقال:

«**واعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي**»: جمع جند «**فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ**»: بدل من أعظم ثم نبه على ما ينبغي له يقوله:

«**فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ**»: جدير «**أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ**»: الأمّارة فيما تأمر به من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله إلى ما يحكم به العقل والشرع من طاعته.

«**وأَنْ تُنَافِحَ**»: يخاصم «**عَنْ دِينِكَ**»: ويجاهد شياطين الأنس والجن عنه «**ولَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ولَا تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**»: أي لا تجعل الله ساخطاً «**فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً**»: عوضاً «**مِنْ غَيْرِهِ، ولَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ**»:

احتجاج على وجوب مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الأوّل المذكور في قوّة صغرى. وتقدير الكبرى: وكلّما كان في الله خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب اتّباع رضاه وأن لا يسخط برضا غيره.

«**صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ**»: المعين «**لَهَا**»: واللام للتخصيص عنها بغيرها فأنها أسم من كل شغل وأولى.

[1]«**واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ**»: والمراد أنّ الإنسان إذا حافظ على صلاته وأتى بوظائفها في أوقاتها يوشك أن يكون على غيرها أولى بالمحافظة وإذا تساهل فيها فهو في غيرها أكثر تساهلا، وذلك أنّها عمود الدين وأفضل العبادات كما روى عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد سئل عن أفضل الأعمال فقال: «الصلاة لأوّل وقتها»[2]، وقال صلىَّ الله عليه وآله وسلَّم: «أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمّت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلاته فإنّه يحاسب عليها وعلى غيرها»[3]. واعلم أنّه ذكر أمر الصلاة في هذا العهد بكلام طويل هذّه السيّد رحمه الله وفيه بيان حال الصلاة ولواحقها وأوّله أنّه قال: وانظر إلى صلاتك كيف هي فإنّك إمام لقومك إن تتمّها أو تخفّفها. فليس من إمام يصلَّى بقوم يكون في صلاتهم نقصان إلَّا كان عليه ولا

---

(١) ورد في بعض متون النهج: ولاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ولاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص٣٧٤؛ سنن الترمذي: ج١ ص١١١؛ غريب الحديث: لأبن قتيبة الدينوري ج١ ص٨٣؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج١ ص١٨٩؛ السنن الكبرى لاحمد بن الحسين البيهقي: ج١ ص٤٣٤؛ سنن الدارقطني: ج٥ ص٣٣٦؛ والدعوات (سلوة الحزين): ص٢٨.

(٣) سنن النسائي: ج١ ص١٤٤؛ المقنعة للشيخ الصدوق: ص٧٣؛ منتهى المطلب للعلامة الحلي: في ج١ ص١٩٣؛ عوالي اللئالي لأبن أبي الجمهور الأحسائي: ص٣١٨.

ينقص من صلاتهم شيء وإن تتمّها بحفظ فيها يكن لك مثل أجورهم ولا ينقص به ذلك من أجورهم شيئا. وانظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصلاة تمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا، واغسل وجهك، ثمّ يدك اليمنى، ثمّ اليسرى، ثمّ امسح رأسك ورجليك فإنّي رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصنع ذلك.

واعلم أنّ الوضوء نصف الإيمان. ثمّ ارتقب وقت الصلاة فصلها لوقتها ولا تعجّل بها قبله لفراغ ولا تؤخّرها عنه لشغل فإنّ رجلا سأل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أوقات الصلاة فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أتاني جبرئيل فأراني وقت صلاة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الأيمن، ثمّ أراني وقت العصر وكان ظلّ كلّ شيء مثله، ثمّ صلَّى المغرب حين غربت الشمس، ثمّ صلَّى العشاء الأخيرة حين غابت الشمس، ثمّ صلَّى الصبح فأغلس بها والنجوم مشتبكة»[1]. فصلّ بهذه الأوقات والزم السنّة المعروفة والطريق الواضح. ثمّ انظر ركوعك وسجودك فإنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أتمّ الناس صلاتهم وأخفّهم عملا فيها، واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك فمن ضيّع الصلاة فإنّه لغيرها أضيع. أسأل الله الَّذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا وإيّاك ممّن يحبّ أن يرضى حتّى يعيننا وإيّاك على شكره وذكره وحسن عبادته وأداء حقّه وعلى كلّ شيء اختار لنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا.

«ومن هذا العهد أيضاً فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وإِمَامُ الرَّدَى ووَلِيُّ النَّبِيِّ وعَدُوُّ النَّبِيِّ»: أراد بالأولين نفسه القدسية وبالآخرين معاوية **ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه -وآله- وسلم «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ**

(١) الغارات لمحمد الثقفي: ج١ ص٢٤٦؛ الأمالي للشيخ المفيد: ص٢٦٨؛ وكذلك الأمالي للشيخ الطوسي في أماليه: ص٣٠؛ و شرح نهج البلاغة: لأبن ميثم البحراني: ج٤ ص٢٤٩.

فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ» ما دام مشركاً متظاهراً وخاف لظهور الإسلام وغلبة المسلمين واتفاقهم على مجانبته ومعاداته وعدم ألإصغاء إلى ما يقول:

«**ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**»: ووجه المخافة منه أنّ مخالطته لأهل الإسلام مع إظهاره له يكون سبباً لإصغائهم إليه ومجالستهم له والاغترار بما يدّعيه من صدق صداقه.

وعلمه اللسانيّ وقدرته على الشبه المضلَّة وتنميقها بالأقوال المزّوقة يكون سبباً لانفعال كثير من عوامّ المسلمين وفتنتهم عن الدين واعلم أن هذا الفصل متصل بقوله: حدثنا من فضل الصلاة وأوله: وأنتم يا أهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسرّكم علانيتكم.

ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم إنّه لا يستوي. إلى قوله: تنكرون؛ ثمّ يتّصل به يا محمّد بن أبي بكر اعلم أنّ أفضل العفّة الورع في دين الله والعمل بطاعته وإنّي أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيتك وعلى أيّ حال كنت عليه: الدنيا دار بلاء ودار فناء، والآخرة دار الجزاء ودار البقاء؛ فاعمل لما يبقى واعدل عمّا يفنى، ولا تنس نصيبك من الدنيا: إنّي أوصيك بسبع هي جوامع الإسلام: أخش الله عزّ وجلّ في الناس ولا تخش الناس في الله، وخير العلم ما صدّقه العمل، ولا تقض في أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرك وتزوغ عن الحقّ وأحبّ لعامّة رعيّتك ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّة وأصلح للرعيّة، وخض الغمرات إلى الحقّ ولا تخف في الله لومة لائم وأنصح المرء إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودّتنا في الدين وخلّتنا إيّاكم وخلّة المتّقين وأبقى لكم حتّى يجعلنا بها

إخواناً على سرر متقابلين.

أحسنوا أهل مصر موازرة أميركم وأثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعاننا الله وإيّاكم على ما يرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قوله: واخش الله في الناس أي فيما تفعله بهم من شر تعصيه به ولا تخش الناس في الله أي لا تخف أحداً منهم ولا تراقبه فيما تفعله من طاعة الله فيعتدل عن طاعته لخوفك منهم وبالله التوفيق.

واعلم أن هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيّد منه فصلاً سابقاً، وهو قوله: فأراد قومنا إهلاك نبيّنا، وقد ذكرنا كتاب معاوية الَّذي هو هذا الكتاب جواب له، وذكرنا الكتاب له بأسره هناك، وإن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيرة بين الروايات.

«**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ الله مُحَمَّداً لِدِينِهِ؛ وتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَّأَ**» ستر «**لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً**»: استعار الجنى لما ستره الدهر في وجود معاوية من العجب ثم فسره فقال:

«**إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ الله تَعَالَى عِنْدَنَا ونِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ**»: اعلم أن وجه العجب ها هنا أنّه أخبر أهل النبيّ بحال النبيّ وما أنعم الله به عليه من اصطفائه له لدينه وتأييده بأصحابه مع علمهم البالغ بحاله وكونهم أولى بالإخبار عنها. وضرب له في ذلك مثلين:

أحدهما: قوله: كنا قل التمر إلى هجر، وأصل هذا المثل أنّ رجلا قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشترى بماله تمرا وحمله إلى هجر، وادّخره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلّا رخصا حتّى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه، ووجه مطابقة المثل هنا أنّ معاوية حمل الخبر بما أخبر به إلى معدنه الّذي هو أولى به منه كحامل التمر إلى معدنه. وهجر معروفة بكثرة التمر حتّى أنّه ربما يبلغ خمسين جلّة بدينار ووزن الجلّة مائة رطل، فذلك خمسة ألف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلاد أخرى.

ثم شبّه بداعي مستندّة أولى به منه كما يدعوا الإنسان مسدده، واستناده في الرمي إلى المراماة، ومسدده أولى بأن يدعوه إليه، ولما كان معاوية اقتصّ حال أصحابه وذكر الأفضل؛ فالأفضل منهم تعرّضاً بأفضليّتهم عليه لعدم مشاركتهم له في الفضل أجابه بأنّ ذلك التفضيل والترتيب إنما يتمّ أولاً؛ فإن تمّ فهو بمعزل عنك.

إذ ليس لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الإسلام فيكون إذن خوضك فيه خوضاً فيما لا يعنيك، وإن نقص فليس عليك من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن. فخوضك فيه أيضاً فضول.

وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله:

«**وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ**»: ثم استفهم على سبيل الاستحقار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور الكبار بقوله:

«**ومَا أَنْتَ والْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ والسَّائِسَ**»: المدبر للأمور «**والْمُسُوسَ ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ**»: والمنقول أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حين فتح مكة قال يا معشر قريش ما ترون إني فاعل فيكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم قال أذهبوا فأنتم الطلقاء وقد كان فيهم معاوية وأبوه سفيان فهو طليق وابن طليق.

«**هَيْهَاتَ**» استبعاد لأهليّته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل.

ثمّ ضرب له في حكميه ذلك مثلين:

أحدهما: قوله: «**لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا**»: (ها) راجعة إلى القداح وأصله أنّ أحد قداح الميسر.

إذ كان ليس من جوهر باقي القداح؛ ثمّ أجاله المقصر خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف به أنّه ليس من جملتها فضرب مثلاً لمن يمدح قوماً ويطريهم ويفتخر بهم مع أنّه ليس منهم الثاني قوله: «**وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا**»: فضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو من أراذلهم، وليس للحكم بأهل بل هم أولى منه؛ إذ شأن الأشراف أن يكونوا حكّاما. ومراده أنّ معاوية ليس من القوم الّذين حكم بتفضيل بعضهم على بعض في شيء، وليس أهلا للحكم فيهم.

«**أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ**»: استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجة السابقين والتقريع له على ادّعائه لها: أي أنّه فليترفّق بنفسك ولا يكلّفها عليه وليقف بها عن مجاراة أهل الفضل حال ظلعك.

إشارة إلى مرتبة النازلة إلى حرى القدر بها أن يكون نازلة عن مراتب السابقين

وقد أمره بالتأخّر فيها والوقوف عندها تقريعاً وتوبيخاً بها؛ **فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ولَا ظَفَرُ الظَّافِرِ**[1]: في قوّة احتجاج على وجوب تأخّره بحسب هذه المرتبة بقياس ضمير من الشكل الأوّل، والمذكور في قوّة صغراه وتقديرها: فغلب المغلوب في هذا الأمر الكبير ليس عليك منه شيء، وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب تأخّره عنه واعتزاله إيّاه وإلّا لكان سفيها بدخوله فيما لا يعنيه.

«**فإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ كبير الذهاب**»: والتوغّل في الضلال عن معرفة الحقّ.

«**رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ**»: أي كثير العدول عن العدل والصراط المستقيم في حقّنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضائلنا ورذائلكم؛ ثمّ نبّهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من المهاجرين والأنصار بذكر أفضليّة بيته الّتي انفردوا بها دونهم في الحياة وبعد الممات بعد أن قرّر أنّ لكلّ من الصحابة فضلا لتثبت الأفضليّة لبيته بالقياس إليهم، وذلك قوله:

«**أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً**»: منصوب على الحال وذو الجار مقدر وهو هو عليه السلام أي لا تعلم ولا يتخذ في هذه الحال أن قوماً.

«**مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ اسْتُشْهِدُوا**»: فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى «**ولِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ص بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ أَولَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ولِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ**»: وشهيدهم الّذي أشار إليه عمّه حمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه وأشار إلى وجه أفضليّته بالنسبة إلى ساير الشهداء من وجهين:

---

(١) ورد في بعض متون النهج: وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ.

أحدهما: قوليّ وهو تسميته الرسول صلَّى الله عليه- وآله- وسلَّم سيّد الشهداء.

والثاني: فعليّ وهو أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خصّه بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه في أربع عشرة صلاة، وذلك أنّه كان كلَّما كبّر عليه خمسا حضرت جماعة أخرى من الملائكة فصلَّى بهم عليه أيضا، وذلك من خصائص حمزة رضى الله عنه وشرف بنى هاشم في حياتهم وموتهم، ومنه أفضليّتهم لما فعل ببعضهم من التمثيل به كما فعل بأخيه جعفر بن أبي طالب من قطع يديه فسمّاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك الاعتبار ذا الجناحين والطيّار في الجنّة. ومن المنقول عن عليّ عليه السّلام من الشعر فيه والفخر إلى معاوية:

وجعفر الَّذي يضحى ويمسي يطيرمع الملائكة ابن أُمّي

وقد ذكرنا مقتلهما وقاتلهما من قبل. ثمّ أشار إلى أنّ له فضائل جمّة تعرفها فيه قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذانهم، وإنّما ترك تعديدها في الفخر بها قال:

«**ولَوْ لَامَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً**»: يعنى بالذاكر نفسه وإنّما نكّره ولم يأت بالألف واللام ولم ينسبه إلى نفسه لأنّ في ذلك صريح الدلالة على تزكيته لنفسه.

«**تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ولَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ**»: استعار المجّ لكراهيّة النفس لبعض ما تكرّر سماعه وإعراضها عنه فإنّها تصير كالقاذف له من الأُذن كما يقذف الماجّ الماء.

«**فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ**»: أي فدع عنك أصحاب الأغراض والمقاصد المفسدة ولا تلتفت إلى ما يقولون في حقّنا كعمرو بن العاص، ويحتمل أن تكون

الإشارة إليه بعينه على طريقة قولهم: إيّاك أعني فاسمعي يا جارة. واستعار لفظ الرميّة، وكنّى بها عن الأمور الّتي تقصدها النفوس وترميها بقصودها، ونسب الميل إليها لأنّها هي الجاذبة للإنسان والمائلة الحاملة على الفعل.

«**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**»: تنبيه من وجه آخر على أفضليّتهم من جهة اختصاص الله سبحانه إيّاهم بالنعمة الجزيلة، وهى نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتّى كان الناس عيالا لهم فيها، إذ كانت تلك النعمة ولوازمها إنّما وصلت إلى الناس بواسطتهم ومنهم. وأكرم بها فضيلة وشرفا على ساير الخلق. وهذا التشبيه في قوّة صغرى من الشكل الأوّل في معرض الافتخار والاحتجاج على أنّه لا ينبغي لأحد أن يعارضهم في شرف أو يفاخرهم وينافسهم في فضيلة وبواسطته فلا ينبغي لأحد من الناس أن يعارضه في فضل أو يجاريه في شرف، ويجوّز المَجَاز [1]، يقال: فلان صنيعة فلان. إذا اختصّه لموضع نعمته كقوله تعالى ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[2].

«**لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ولَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ ولَسْتُمْ هُنَاكَ**»: امتنان في معرض الافتخار أيضاً.

وعاديّ منسوب إلى عاد قوم هود، والنسبة إليه كناية عن القدم، ووجه الامتنان هو أنّهم لم يمتنعوا على فضلهم عليهم من خلطهم إيّاهم بأنفسهم في مناكحتهم، وفعل الأكفاء منصوب على المصدر عن فعل مضمر.

وقوله: هناك كناية عن مرتبة الكفاءة في النكاح: أي ولستم أهلا لتلك المرتبة،

---

(١) بمعنى يجوز اللفظ على نحو المجاز لا على نحو الحقيقة.

(٢) سورة طه: الآية ٤١.

والـواو في ولستم للحال والعامل خلطناكم. ثمّ أشار إلى بيان ما ادّعاه من نفى كونهم أهلا لمخالطتهم بالمقابلة بين حال بنى هاشم وحال بنى أُميّة ليظهر من تلك المقابلة رذيلة كلّ واحد ممّن ذكر من بنى أُميّة بإزاء فضيلة كلّ واحد ممّن ذكر من بني هاشم قال:

«**وأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ المُكَذِّبُ**»: أبو جهل بن هشام. وقيل: ابو سفيان وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ الآية[1] قيل نزلت في المطلبين ببدر، وكانوا عشرة وهم:

أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحرث، والحرث بن عامر، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود؛ فذكر النبيّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم بفضيلته وهي النبوّة وذكر أبا جهل برذيلته وهي تكذيبه أنما جعله منهم لاشتراكهم في الشرك ومقابلة الإسلام في أوله.

«**ومِنَّا أَسَدُ الله**»: وهو حمزة بن عبد المطَّلب وسمّاه رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم بذلك لشجاعته وذبّه عن دين الله.

«**ومِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ**»: هو أسد بن عبد العزّى والأحلاف هم عبد مناف وزهرة وأسد وتيم والحرث بن فهر، وسمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصيّ أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدي بنى عبد الدار من اللواء والنداوة والحجابة والرفادة وهى كلّ شيء كان فرضه قصيّ على قريش لطعام الحاجّ في كلّ سنة ولم يكن لهم إلَّا السقاية فتحالفوا على حربهم وأعدّوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلك ناكصين وأقرّوا

(١) سورة المزمل: الآية ١١ .

ما كان بأيديهم.

«**ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»: الحسن والحسين عليهما السّلام.

«**ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ**»: وقيل: هم صبية عقبة بن أبي معيط حيث قال: له ولك ولهم النار.

وقيل: هم ولد مروان بن الحكم الَّذين صاروا أهل النار عند البلوغ وكانوا صبية حين أخبر عليه السّلام بذلك.

«**ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**»: فاطمة عليها السّلام «**ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ**»: وهي أُمّ جميل بنت حرب عمّة معاوية كانت تحمل حزم الشوك فتنشرها بالليل في طريق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لتعقره.

وعن قتادة أنّها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقى بينهم العداوة وتهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة المذكورة.

«**فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ**»: أي هذا الذي ذكرناه من فضائلنا ورذائلكم قليل في كثير ممّا لنا من الفضائل وعليكم من الرذائل. قال: عليكم من الرذائل. لأنّ الأمور بثمراتها وما تستلزمه وثمرة الرذائل على الشخص مضرّتها وتبعاتها.

«**فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ**»: فيه إشارة إلى أنّ شرف بيته لا يختصّ بالإسلام فقط فإنّ شرف بني هاشم في الجاهليّة أيضاً مشهور ومكارم أخلاقهم لا يدفعها دافع، وقد نبّهنا على ذلك في المقدّمات، وكما نقل عن جعفر بن أبي طالب لمّا أسلم قال له النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنّ الله شكر لك

ثلاث خصال في الجاهليّة فما هي قال: يا رسول الله ما زنيت قطّ لأنّي قلت في نفسي: إنّ ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي أن يرضاه لغيره تكرّماً، ولا كذبت كذبة قطّ تأثّما، ولا شربت الخمر قطّ تذمّما لأنّه يذهب العقول»[1].

«**وكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ**»: ذهب وتفرق. «**عَنَّا**»: أي يوجب لنا تصريح حكمه ويجمع لنا ما شذّ عنّا من هذا الأمر وسبلنا وهو قوله تعالى ﴿**وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ**﴾[2] ووجه الاستدلال أنّه عليه السّلام من أخصّ أولى الأرحام بالرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكلّ من كان كذلك فهو أولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك أمّا الصغرى؛ فظاهرة، وأمّا الكبرى فللآية.

الثانية: وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[3]؛ ووجه الاستدلال أنّه عليه السّلام كان أقرب الخلق إلى اتّباع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأوّل من آمن به وصدّقه وأفضل من أخذ عنه الحكمة، وفصل الخطاب كما بيّناه، وكلّ من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاء به الآية؛ فظهر إذن أنّه عليه السّلام أولى برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتّباعه.

وإلى ذلك أشار بقوله:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج ٤ ص ٤٤١؛ كذلك شرح النهج لقطب الدين الراوندي: ص ٧٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٨ .

(١) «فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ»: ثم الجمهم بلجام لا الزام بقوله:

«ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه -وآله- وسلم فَلَجُوا»: ظفروا «عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ»: أي بالمهاجر «فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ»: وصورته أنّ الأنصار لمّا طلبوا الإمامة لأنفسهم وقالوا للمهاجرين: منّا أمير ومنكم أمير. احتجّت المهاجرون عليهم برسول الله صلَّى الله عليه- وآله -وسلَّم وأنّهم من شجرته الَّتي أشار إلى كون الأئمّة منها بما رووه عنه من قوله: الأئمّة من قريش؛ فسلَّموا لهم ذلك وغلبوا عليهم؛ فلا يخلو ذلك الغلب إمّا أن يكون لكونهم؛ أقرب إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الأنصار أو لغير ذلك، فإن كان الأوّل فأهل بيته أولى بذلك الحقّ لأنّهم أقرب إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممّن عداهم وهم ثمرة تلك الشجرة وغايتها وإن كان بغيره فحجّة الأنصار قائمة ودعواهم للإمامة باق، إذ لم يكن ما رووه من الخبر دافعا لقولهم إلَّا من جهة كونهم من قريش الموجب لهم لقربهم وبعد الأنصار عنه وقد فرض أنّ جهة الأقربيّة غير معتبرة هاهنا.

ثم أجابه عمّا ادّعاه بزعمه من حسده عليه السّلام لساير الخلفاء وبغيه عليهم بقوله:

«وزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ

(١) وهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله﴾: سورة الأنفال: الآية ٧٥، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا والله وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران: الآية ٦٨ .

فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ؛ (وتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا)[1]»: تقرير هذا الجواب أنّه لا يخلو إمّا أن تكون هذه الدعوى صادقة أو كاذبة فإن كانت صادقة كما زعمت فليست جنايتي عليك حتّى يكون عذري عنها إليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك، وأكّد ذلك بالمثل. والبيت لأبي ذويب وأوّله: وعيرها الواشون أني أحبها ويضرب لمن ينكر أمراً ليس منه في شيء ولا يلزمه انكاره؛ ثم اجابه عما أدعاه توبيخاً له وعضاضة من منصبه وهو قوده إلى البيعة للخلفاء قبله كما يعاد الجمل المخشوش قهراً وكرهاً وذلالاً.

بقوله: «إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ»: أي الذي جعل في خشاش وهو يدخل في أنفه البعير .

[2]**«ولَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ»**: قلت عليه السّلام تلك الدعوى وبيّن أنّ ذلك ليس ذمّاً له بل مدحاً، ولا فضيحة بل على مدّعيها، وأشار إلى كونها مدحا وليست ذمّا بقوله:

«ومَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ ولَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ»: وجه ذلك أنّه عليه السّلام لمّا كان ثابتاً على اليقين التامّ في علومه مبرّء عن الريب والشبهة في دينه فكان ذلك هو الكمال الحقّ والفضل المبين الّذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم غيره له ولم يلحقه بذلك نقصان ولا ذمّ بل كان انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجتماع على ظلمه فضيلة تخصّه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه وتعظيمه، وكذلك ليس في ذكرها فضيحة

---

(١) ما بين هلالين عجز بيت من الشعر وصدره:

وعيّرها الواشون أنّي أُحبّها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

(٢) ورد في بعض متون النهج: حَتَّى أُبَايِعَ.

عليه، إذ الفضيحة هي إظهار عيب الإنسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة، وأمّا أنّها فضيحة لمعاوية فلظهور نقصانه في عدم الفرق بين ما يمدح به ويذمّ.

«**وهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ولَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ لِي**»: أي حجّتي هذه على كوني مظلوماً في أخذي لبيعة لست أنت المقصود بها إذ لست في هذا الأمر في شيء فتخاطب فيه بل القصد بها غيرك، وأراد الَّذين ظلموا وإنّما ذكرت لك منها بقدر ما دعت الحاجة إليه وسنح لي أن أذكره في جوابك ثم أشار إلى جواب ما أدعاه عليه في أمر عثمان في قوله: «**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ**»: مع إنكاره عليه ما سبق من الكلام فإنّ فيه إرشاداً عظيماً لوضع الكلام مواضعه، وتنبيه على أنّه لا يجوز أن يخوض الإنسان فيما لا يعنيه. وقرب رحمه منه لكونه من بني أُميّة، وحاصل جوابه أنّه عكّس عليه ما ادّعاه وبيّن أنّه هو الَّذي كان عدوّه وخاذله فإنّه عليه السّلام كان ناصره ومعرض نفسه للذبّ عنه ثم استفهم فقال: أيّهما كان أعدى عليه وأهدى كمقاتله: أي إلى وجوه قتله من وراء الجند استفهام توبيخ له.

(١)«**أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ**»: طلب قعوده في بيته «**واسْتَكَفَّهُ**»: طلب كفه ودفعة أراد بمن نفسه القدسية وذلك أن عثمان كان متّهماً له عليه السّلام بالدخول في أمره. فلمّا اشتدّ عليه الحصار بعث إليه وعرض عليه نصرته.

فقال: لا أحتاج إلى نصرتك لكن اقعد عنّي وكفّ شرّك. وذكر نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه ممّا نسب إليه من دمه وهو في قوّة صغرى قياس ضمير تقديرها: إنّي بذلت له نصرتي وتقديرها: أني قد بذلت له نصرتي لغيره

(١) ورد في بعض متون النهج: فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ.

نصرته فليس من شأنه أن يتّهم بخذلانه وينسب إلى المشاركة في دمه، وأشار إلى دخول معاوية في دمه بقوله:

«**أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ**»: تأخر عن نصرته.

«**وبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ**»: وذلك أنّه بعث حال حصاره إلى الشام مستصرخاً بمعاوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الأمر إلى أن قتل. وذكر القدر ونسبة القتل إليه هاهنا مناسب لتبرّيه من دمه، والكلام أيضاً في قوّة صغرى قياس ضمير احتجّ به على أنّ معاوية هو الساعي في قتله، وتقديرها أنّك ممّن استنصره واستعان به فسوّفه وقعد عنه وبثّ المنون إليه وعوّق وعنه وثبّط عن نصرته، وأشار إلى ذلك بعد أن رد دعواه عن نفسه بقوله: «**كَلَّا**»: بقوله[1] «**والله لقد علم الْمُعَوِّقِينَ**»: المنافقين مِنْكُمْ «﴿**والْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ**﴾»[2]: لا تحصرون القتال في سبيل الله «**إِلاَّ قَلِيلاً**»: مقصوده كلاَّ: أي كلاَّ لم أكن أنا أعدى عليه ولا أهدى لمقاتله منك. وتقدير الكبرى: وكلّ من كان كذلك فهو أولى بالنسبة إلى دمه والسعي في قتله. والآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبّطون أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عنه.

«**ومَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً**»: إشارة إلى ما عساه كان سببا لتوهّم كثير من الجهّال أنّه دخل في دمه وهو إنكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من أحداثه الَّتي أشرنا إليها قبل، وبيان أنّ ذلك ليس ممّا يعتذر عنه لأنّ ذلك كان إرشادا له وهداية فإن يكن ذلك هو الَّذي توهّمه ذنباً إليه فلا منى عليه فربّ ملوم لا ذنب له وأنا ذلك الملوم، إذ لم يكن ما فعلته ذنباً وهذا معنى قوله:

(١) ورد في بعض متون النهج: واللهِ قَدْ يَعْلَمُ الله.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٨ .

«**فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وهِسدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ وقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ**»: يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتّى يتّهم أنّه غاش. وأول البيت:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد الظنّة المتنصّح

«**ومَا أَرَدْتُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**»: أي إصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة؛ ثم أجاب عن وعيده له بالحرب التي كنى بالسيف عنها مذكر له بقوله: «**وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي ولأَصْحَابِي**[1] **إِلاَّ السَّيْفُ فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ**»: كناية عن أنّ وعيده لمثله عليه السّلام من أبلغ الأسباب المستلزمة لأبلغ عجب.

إذ كان الضحك بعد البكاء إنّما يكون لتعجّب بالغ غريب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل: معناه لقد أضحك من سمع منك هذا تعجّباً بعد بكائه على الدين لسوء تصرفك فيه يا معاوية.

«**مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ**»: استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطّلب بصفة النكول عن الحرب والخوف من السيف استفهام إنكار لوقت وجدانهم كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل.

«**لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ**»: تنبيه لا بأس بالموت إذ الموت نزل وهذا مثل تضرب للوعيد بالحرب واصله أن حمل بن زيد رجل من قشير أغير على إبل

(١) ورد في بعض متون النهج: عِنْدَكَ.

في الجاهليّة في حرب داحض والغبراء واستنقذها وقال: لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل.

وقيل: أصله أنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر:

فقال حمل هذا البيت:

لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذ الموت نزل

فأرسل مثلاً. ثم قتل مالكا، فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة ففتلهما وقال:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

ثم شرع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد إليه في الجيش العظيم، ووصفه بأوصاف تزلزل أركان العدوّ من شدّة الزحام وسطوح القيام.

فقال: عليه التحية والإكرام.

«**فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ويَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وأَنَا مُرْقِلٌ**»: متسرع **نَحْوَكَ** «**فِي جَحْفَلٍ**»: جيش عظيم «**مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ**»: مرتفع غبارهم **مُتَسَرْبِلِينَ**: لا بسين **سَرَابِيلَ الْمَوْتِ**: ثيابه كناية إمّا عن الدرع أو العدّة الّتي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته، وإمّا عن ملابسهم من الثياب أو الهيئات والأحوال الّتي وطّنوا أنفسهم على القتل فيها كالأكفان لهم.

«**أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ**»: وإنّما كان أحبّ لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ وثقتهم بالوعد الإلهيّ الصادق.

«**وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ**»: إشارة إلى أولاد من كان من المسلمين مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم بدر.

«**وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ**»: آثار «**نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ**»: حنظلة بن أبي سفيان «**وخَالِكَ**»: وليد بن عتبة «**وجَدِّكَ**»: وجدّك عتبة بن ربيعة إذ هو أبو هند أُمّ معاوية «**وأَهْلِكَ**» ﴿**وما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾[1]: كنّى بالظالمين في الآية عن معاوية وأصحابه.

وجميع ما ذكره من أوصاف الجحفل وما يصحبه من الذرّية البدريّة والسيوف الهاشميّة والتذكير بمواقعها بمن وقعت به من أهله ووعيده أن يصيبه منها ما أصابهم من أبلغ ما يعدّ به الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق.

«**وقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ**»: بدء في هذا الفصل بوضع ذنوبهم وتقريرها عليهم ليحسن عقيبها العفو أو المؤاخذة واستعار لفظ الحبل لبيعتهم إيّاه، ولفظ الانتشار لنكثهم. وجه الاستعارة الأولى كون البيعة سبباً جامعاً لها وناظماً لأمورهم ومتمسّكاً يوصل إلى رضاه الله كالحبل الناظم لما يربط به، ووجه الثانية ظاهر.

«**وشِقَاقِكُمْ**»: خلافكم: «**مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ**»: فيه تنبيه على علمهم بما فعلوه وتعهّدهم لفعله ليتأكّد عليهم الحجّة. ثمّ لمّا قرّر ذنوبهم أردفها بذكر أمور قابلها بها كرماً فقال: «**فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ورَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ**»: ورضيت عنه ثمّ أردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدّاً لقتالهم وإيقاعه

(١) سورة هود: الآية ٨٣ .

بهم وقعة يستصغر معها وقعة الجمل إن لو عادوا إلى الفتنة ثانياً فقال: «**فَإِنْ خَطَتْ**»: تجاوز «**بِكُمُ الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ**»: المهلكة «**وسَفَهُ الْآرَاءِ**»: ضعفها «**الْجَائِرَةِ**»: المائلة عن الصواب «**إِلَى مُنَابَذَتِي وخِلَافِي**»: وعدتم إليه «**فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي**»: الأفراس العربية.

«**ورَحَلْتُ رِكَابِي**»: شدّدت الرحل عليها كنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعداً للكرة عليهم ويكفي ذلك في وعيدهم على خلافه لأنه مجرد خلافهم عليه ولا يستلزم وجوب إيقاع الواقعة بهم لاحتمال أن ترجع وتتوب بوعيده أو يعلمهم بتقاته على الاستعداد لحربهم والإيقاع بهم فلذلك قال:

«**ولَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ**»: كناية عن غاية شدّة إيقاعه بهم ووجه تشبيه وقعة الجمل بالنسبة إليها باللعقة هو الحقارة والصغر جعل الشرط في وعيده بالإيقاع بهم أن يلجأ إلى المسير إليهم، ومحاربتهم وذلك بأن يعلم أن الأمر لا يستقيم إلا بالإيقاع بهم فيحمله ضرورة حفظ الدين على ذلك ثم لما توعدهم بما يخشى من الوعيد أردفه بما يرجي معهم من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وبحق ذي النصيحة إلى غير بقوله:

«**مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ ولِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ ولَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ**»: لئلّا تشتدّ عليهم وطأته فيئسوا من رحمته فيشتدّ نفارهم منه، ويكون ذلك داعية فسادهم وبالله التوفيق.

هذ الفصل المذكور أوله أمّا بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح موازرتي وتزعمني متجبّراً وعن حقّ الله مقصّراً.

فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة[1].

إنّي لم أُشاغب إلّا في أمر بمعروف أو نهي عن المنكر ولم أتجبّر إلّا على مارق أو ملحد أو منافق ولم آخذ في ذلك إلّا بقول الله ورسوله ﴿ولَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ﴾[2] وأمّا التقصير في حقّ الله فمعاذ الله جلّ ثناؤه من أن أُعطّل الحقوق المؤكّدة وأركن إلى الأهواء المبتدعة وأخلد إلى الضلالة المحيّرة. ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان وأن تخالف البرهان وتنكث الوثائق الّتي هي لله عزّ وجلّ طلبت وعلى عباده حجّة مع نبذ الإسلام وتضييع الأحكام وطمس الأعلام والجري في الهوى والتهوّس في الردى.

«**فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ وانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ**»: فقابلة بالشكر والطاعة «**وارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ**»: من وجوب طاعة الله ورسوله وطاعة الإمام الحقّ.

«**فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ**»: طاعة الله «**أَعْلَاماً وَاضِحَةً**»: استعار الأعلام لما يدلّ على الطريق إلى الله من الكتاب والسنّة القوليّة والفعليّة ومن جملتها أئمّة الحقّ والهدى فإنّهم أصل تلك الأعلام وحاملوها.

«**وسُبُلًا نَيِّرَةً ومَحَجَّةً**»: جادة «**نَهْجَةً**»: واضحة عنى بهما الطرق إلى الله المدلول عليها بأعلامها المذكورة.

«**وغَايَةً مُطَّلَبَةً**»: المطلوبة جداً من الخلق وهي وصولهم إلى حضرة قدس الله طاهرين مجرّدين عن الهيئات البدنيّة المستجمعين للكمالات الإنسانيّة النفسانيّة.

واعلم أنّ الطاعة اسم لقصد تلك الأعلام وسلوك تلك المحجّة طلبا لتلك الغاية.

---

(١) العضة والعضة والعضيهة: الكذب والبهتان.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

«**يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ**»: في الخبر الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

«**ويُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ**»: وظاهر أنّ العقلاء هم الَّذين يختارون ورود تلك المحجّة ويقصدون أعلامها وأنّ أدنياء الهمم يخالفون إلى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحقّ ويحبطون في تيه الجهل، حول قوله: «**مَنْ نَكَبَ**»: مال وعدل «**عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وخَبَطَ فِي التِّيهِ وغَيَّرَ اللهُ**»: بذلك «**نِعْمَتَهُ وأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ**»: لمّا أشار عليه بما أشار وأوضح له سبل السلامة وما يلزم مخالفها من تغيير نعمة الله وحلول نقمته أمره أن يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عمّا يلزم مخالفتها والعدول عنها من الأمور المذكورة فقال: «**فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ**»: أي أحفظ نفسك من بلاء الدنيا ونار جهنم ثم أعلمه بأن الله بين له سبيل طاعته المأمور بسلوكها بقوله:

«**فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ**»: وهو في قوّة قياس صغرى ضمير من الشكل الأوّل أوجب عليه به سلوكها وكلّ من بيّن الله له سبيله الَّتي أوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها.

«**وحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ**»: فحسبك ما تناهت بك إليه.

ثمّ فسّر ذلك الحيث الَّذي أمره بالوقوف عنده بقوله:

«**فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ومَحَلَّةِ**»: منزله «**كُفْرٍ**»: أخبره أنّه قد أجرى إليها وكفى بها غاية شرّ. وإجرائه إلى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله إليها.

يقال: أُجرى فلان إلى غاية كذا: أي قصدها بفعله. وأصله من إجراء الخيل للسباق. ولفظ الخسر مستعار لفقدان رضوان الله والكمالات الموصلة إليه، وإنّما جعل تلك الغاية الَّتي أُجرى إليها منزلة كفر لأنّ الغايات الشرّيّة المنهيّ عن

قصدها من منازل الكفّار ومقاماتهم فمن سلك إليها قصدا وبلغها اختيارا فقد لحق منازل الكفر ومحاله.

«**فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْجَتْكَ شَرّاً**»: أي أدخلتك في شرّ الدنيا والآخرة، وأراد نفسه الأمّارة بالسوء بما سوّلت له من معصية الله ومخالفة الإمام الحقّ، ويروى: قد أو حلتك: أي ألقتك في الوحل، وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن الجهل.

«**وأَقْحَمَتْكَ غَيّاً**»: أي أدخلتك في الغيّ والضلال عنفاً

«**وأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ**»: الموارد المهلكة من الشبهات والمعاصي.

«**وأَوْعَرَتْ**»: صعبت «**عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ**»:مسالك الهدى وطرق الخير لأنّ النفس الأمّارة بالسوء إذا أوردت الإنسان سبل الضلالة وسهّلت عليه سلوكها بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة لزمه بسبب ذلك البعد عن طرق الهدى ومسالك الخير، واستصعاب سلوكها، وبالله التوفيق والعصمة.

موضع وقيل اسم بلد **عند انصرافه من صفين**: كأنه لَمَعٌ من الكتاب المبين على نفسه القدسية أن حان وقت اتصاله بحضرة الجلال وقرب أون سعته سلسال الوصال من كأس الأفضال فنظم كما هو دأبه الحَسن غرر درر الكلام وَصيته لمن قال النبي عليه الصلاة والسلام في حقه أن «ابني هذا سيد اللهم أني أحبه فأحبه»[1] وعنونها بأنها من أب ووصه بسبع صفات وذلك قوله:

(١) مناقب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ص٢٤٤؛ كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٨٢؛ شرح الأخبارللقاضي النعمان المغربي: ج٣ ص١٠٦؛ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٤٩؛ الأحتجاج للشيخ الطبرسي: ج١ ص٢٠٨؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣ ص١٥٩؛ وفي جميعاً ورد الحديث بلفظ مختصر.

«**مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ**»: على الوقف ولذلك قربه بقوله:

«**الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ**»: يعنى هذه الوصية من والد سيبقى عن قليل وأنه مقر بتغير الزمان وانقضائه واختلاف أحواله وفنائه.

«**الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ الْمُسْتَسْلِمِ للدهر**»: الذي ادبر عمره وانقاد للحوادث الدهر.

«**الذام لِلدُّنْيَا**»: وأهلها الذين اشتدوا إليها وإلى عمارتها.

«**السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى**»: الذي يسكن دار قوم كانوا فيها وتركوها لغيرهم.

«**والظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً**»: أي الراحل عن هذه الدنيا عن قريب وقوله غداً كناية عن القريب ثم وصف الموصي بأربعة عشرة صفة، وفي كل واحد من هذه الدنيا عن قريب وقوله غداً كناية عن القريب ثم وصف الموصي بأربعة عشر صفة وفي كل واحد من هذه الصفاة، والأوصاف قبلها بصيرة لمن استبصر وعبرة لمن اعتبر فقال عليه السلام:

«**إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ**»: أي كثير الأمل لما يدركه من طيب العيش في الدنيا إذ هي دار البلاء والبتلاء.

«**السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ**»: ووصفه بهذه الأوصاف والله اعلم بعد الصفات المذكورة لتصير نصيباً لعينه المكحل بمثله إلا مِثله لاقتفاء أثره ومزيد ترفيه إلى معارج القدسية ومن نضر إلى من كان نجماً سطع من أفق سماء النبوة والولاية لا يحجبه غيم ما هو رأس كل خطيئة من محبة الدنيا وزينتها قال: في معناه أن رجا أن يعمر الدين فلا يدركه إذ لا يجد له ناصراً أو يسلك طريق والده بأن يعيش مثله أو بعضه ويقتل أيضاً.

«**غَـرَضِ الأَسْـقَامِ ورَهِينَـةِ الأَيَّـامِ**»: قـد سـبق وجـه هاتـين الاسـتعارتين «**ورَمِيَّـةِ الْمَصَائِـبِ**»: الرُمِيـة: الصيـد، أراد أن كل حـي في الدنيـا يصطـاده المصيبـات.

«**وعَبْدِ الدُّنْيَـا**»: يعنـي أن ابنـاء الدنيـا كالعبيـد لهـا إدلاء لشـدائدها ومحنهـا، كالعبيـد لأَحكام السـادة.

«**وتَاجِرِ الْغُرُورِ**»: أي المنصرف في متاع الغرور يمكن أن يغره أن لم يحيط.

«**وغَرِيـمِ الْمَنَايَـا**»: الغريـم المديـون وسـمي المـوت بالمنيـة لأنـه مقـدر أي يطالـب الحـي في الدنيـا أسـباب المـوت يمـوت فيـه كل يـوم عضـوا مـن أعضائـه إلى أن يفنـى وأشـار إلى هـذا بجميعـه المنيـة.

«**وأَسِيرِ الْمَوْتِ**»: أذلا يمكن دفعه لأنهم أسراؤه.

«**وحَلِيـفِ**»: مـلازم «**الْهُمُـومِ وقَرِيـنِ**»: مصاحـب «**الأَحْـزَانِ**»: وجـه امتثـال هـذه الاسـتعارة ظاهـر ممـا سـلف.

«**ونُصُـبِ**»: هـدف «**الْآفَـاتِ**»: قريـب ممـا تقـدم «**وصَرِيـعِ الشَّـهَوَاتِ**»: مصروعهـا أراد أن أهلهـا تضطـرب أدامهـم في بيـداء الحيّرة والغفلـة ومـن لم تأخـذ العنايـة الإلهيـة صبغتـه ألقـي في نـار جهنـم «**وخَلِيفَـةِ الأَمْـوَاتِ**»: الخليفـة مـن يجـيء خلـف الغـير يلزمـه مـا لزمـه صاحبـه ثـم بـين عـذره في فراغـه لوصيـة الغـير فقـال:

«**أَمَّـا بَعْـدُ فَـإِنَّ فِيـمَا تَبَيَّنْـتُ**»: علمـت «**مِـنْ إِدْبَـارِ الدُّنْيَـا عَنِّـي وجُمُـوحِ الدَّهْـرِ عَـلَيَّ**»: هـو مصـدر جمـع الفـرس أذا أعتـبر فارسـه، وغلبتـه: اسـتعارة للدهـر ووجههـا الأغـرار والاسـتيلاء.

«**وإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي**»: أي الذي يكفني ويزجرني.

«**عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ والِاهْتِمَامِ**»: أي الاعتماد «**بِمَا وَرَائِي**»: بل شغلني بي ثم استثنى على الانقطاع منها على أنه قد وضح لديه لون الانقطاع والاشتغال بأمور نفسه التي هي موصلة إلى جنات النعيم ووصول الرب الكريم فقال عليه السلام.

«**غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَقَنِي رَأْيِي وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي**»: أي ظهر أو بيَّن «**فَأَفْضَى بِي**»: وأوصلني

«**إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ**»: أراد أنه يبين بحيث لا يحوم حوله مجلس على وجهه غبار الجفاء ولا هو كالغيب يرى فيه السراب الشراب.

«**وصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ**»: لا يخلطه «**كَذِبٌ**»: وأن كان الأمر كذلك لكن .

«**ووَجَدْتُكَ بَعْضِي**»: في الخبر: أولادنا أكبادنا «**بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي**»: فيه إظهار غاية المحبة والعطوفة.

«**حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً**»: مستعيناً «**بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ ولُزُومِ أَمْرِهِ وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ**»: استعار العمارة للقلب ملاحظة لشبه بالبيت وقيل الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء والدرجة الثانية الذكر الخفي وهو الخلاص من الفتور والتقاء الشهود ولزوم المسافرة الدرجة الثالثة الذكر الحقيقي وهو شهود ذكر الحق.

وإياك والتخلص من شهود ذكرك ومعرفة افتراء الذكر في بقائه مع ذكره.

«**والِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ**»: حبل طاعته ثم رغبته في طاعته بقوله: «**وأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ**»: أحكم «**مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ**»: أي لا سبب أوثق من ذلك ولا مساوي

لـه في الوثـوق «**إِنْ أَنْـتَ أَخَـذْتَ بِـهِ**»: ثـم فصلـه إلى أن عـد نيفـاً وعشريـن وصايـة: فقـال: مـن غـير عطـف.

«**أَحْـيِ قَلْبَـكَ بِالْمَوْعِظَـةِ وأَمِتْـهُ بِالزَّهَـادَةِ**»: أي اجعلـه حيـاً لأحـوال لآخـرة غـير غافـل عنهـا وميتـاً عـن طمـع الدنيـا.

وقـد قيـل: قـال لقـمان لأبنـه يـا بنـي أوصيـك بسـت خصـال يدخـل فيـه علـم الأولـين والآخريـن:

لا يشـغل قلبـك في الدنيـا إلا بقـدر مقامـك فيهـا وأعمـل لآخرتـك بقـدر بقائـك فيهـا، واطمـع[1] ربـك بقـدر حوائجـك إليـه، وليكـن شـغلك في فـكاك رقبتـك مـن النـار وليكـن جرأتـك عـلى المعـاصي بقـدر صـبرك عـلى عقوبتهـا، وإذا أردت أن تعـصي مـولاك فاطلـب مكانـاً لا يـراك.

«**وقَـوِّهِ بِالْيَقِـينِ**»: فـان مـن عـلى اليقـين يـرى مـا لا يـرى الشـاك وبقـدر مـا ليـس في قوتـه وفي خـبر العلـم حيـاة القلـب مـن العمـى ونـور الأبصـار مـن الظلـم وقـوة الأبدان مـن الضعـف ولـكل وجهـة.

«**ونَـوِّرْهُ بِالْحِكْمَـةِ**»: قـال بعـض الحكـماء الحكمـة: شيء يجعـل الله تعـالى لـه للقلـب فينـوره حتـى يفهـم المشروعـات، والمحظـورات، ويعلـم المعقـولات والمسـتحيلات كـما يثـور البـصر ورأي المحوسوسـات وفي التنزيل ﴿يُـؤْتِي الْحِكْمَـةَ مَـنْ يَشَـاءُ وَمَـنْ يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَـيْرًا كَثِـيرًا﴾[2]، قـال بعـض المفسريـن الحكمـة فعلـة مـن الحكـم

(١) وأطمـع ربـك: بمعنـى فاليكـن طمعـك فيـما عنـد ربـك مـن قبيـل: قولـه تعـالى ﴿وَادْعُـوهُ خَوْفًـا وَطَمَعًـا﴾ سـورة الأعـراف: الآيـة ٥٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

والأحكام وأنه ينبئ عن التوثيق من قولهم نبأ محكم ومن ذلك حكمة اللجام فإذا الحكمة تنبئ عن الحالة كالقعدة والجلسة وهو أن يكون في حالة وثيقة من القول والفعل والاعتقاد ولا يرد عليه الانتقاض ولا يعتريه الأعراض مجلي بالحجة قوي بالدليل وقيل غير ذلك.

«**وذَاللهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ**»: وفي الخبر أنه خرج النبي صلى عليه وسلم فرأي الناس كأنهم يكشرون والكشر الضحك السهل قال: أما أنكم لو أكثرتم ذكرها ذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هادم اللذات قال: الداراني: نخاف العام أربعة أشياء الموت والقبر والقيامة والعرض.

ويحبها الخاص أما حبة العرض فطمعاً للوصلة.

«**وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ**»: قيل تقرير الإنسان بالشيء جملة على الإقرار أي قرر قلبك بفناء كل ما سِوا الله حتى يقر ويعترف بذلك.

«**وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا**»: أي عرفة الأمراض والأعراض التي تفجع وتوجع فأنها المانعة عما يفعل وقفت عدمها.

«**وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ**»: حملته «**وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ**»: أي حذر قلبك سرعة تقلب الليالي والأيام وبغيرها بينما تكون صحيح المزاج فإذا أنت مريض وبينما انت في غنى وسعة أذا دخل عليك الفقر والضيق وبينما انت حي فإذا الموت وذكر الله وأن يعتصم بحبل الله وقيل هو القرآن وقد سبق مثل ذلك في كلامه عليه السلام غير مرة قال عز من قائل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾[1] روي أن رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: التبس علي معنى

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

آية من القرآن فسرها لي؟ وتلا هذه الآية فقال: ما هذه الآية الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به وكان عليه السلام إلى جنبه صلى الله عليه [وآله] فوضع النبي يده على كتف أمير المؤمنين وقال: هذا حبل الله فاعتصموا به فولى الأعرابي وخرج يقول أمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبل الله فلقياه أعرابيان فسمعا منه هذه المقالة وضحكا منه ودخلا على رسول الله وذكر ما سمعا من الرجل فقال: النبي هو رجل من أهل الجنة فانصرفا إلى الرجل وقالا له ان لك عندنا بشارة ولنا عند ذنب فاغفر ذنبنا حتى نذكر بشارتك أن الرسول قال أنت منى أهل الجنة، قال: الحمد لله فما ذنبكما قالا: رأيناك تتكلم بهذا الكلام ولم يكن شيئاً سمعناه كلان عندنا ضحكه: فقال: أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1] تركتما رسول الله وجئتما إلي لأستغفر لكما اذهبا ان كنتما مؤمنيَّن بالله وبرسوله وتعتصمان بحبله غفر الله لكما فحبل الله هو حجة الله بعد رسوله ووصيه على أمته وحافظ سره، قرنا فقرنا إلى الأبد، وهو علي وأحد عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام.

والقرآن وأن كان أيضاً سبباً بين الله وبين عباده، فهو كلام يحتاج منه إلى التأويل، فيفسر كل أحد على ما يؤدي إليه مذهبه، فلا بد له من مبين يثق بقوله الناس لعصمته.

«**واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا**»: بنوا الدور العاليات وعرشوا الجنات ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ

(١) سورة النساء الآية ٦٤.

كَانُـوا فِيهَـا فَاكِهِـينَ﴾[1].

«**وأَيْـنَ حَلُّـوا ونَزَلُـوا فَإِنَّـكَ**»: إذا نـضرت كـما أُمـرت «**تَجِدُهُـمْ قَـدِ انْتَقَلُـوا عَـنِ الأَحِبَّـةِ وحَلُّـوا دِيَـارَ الْغُرْبَـةِ**»: وإذا وجدتهـم كذلـك خطـر ببالـك انـك عـن قريـب مثلهـم فتـبرد قينـات الدنيـا في نظـرك فتتركهـا وتكـون مـن المهتديـن وإلى ذلـك أشـار بقولـه:

«**وكَأَنَّـكَ عَـنْ قَلِيـلٍ قَـدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِـمْ فَأَصْلِـحْ مَثْـوَاكَ**»: موضـع إقامتـك وهـو القـبر بـما وعضتـك بـه.

«**ولَا تَبِـعْ آخِرَتَـكَ بِدُنْيَـاكَ**»: فأنـك تكـون حينئـذٍ مفسـداً واللـح لا يحـب المفسـدين والنهـي عـن الـشيء أمـر بضـده فيكـون المـراد هنـا أمـره ببيـع الدنيـا بالأخـرة ﴿إِنَّ اللهَ اشْـتَرَى مِـنَ الْمُؤْمِنِـينَ أَنْفُسَـهُمْ وَأَمْوَالَهُـمْ بِـأَنَّ لَهُـمُ الْجَنَّـةَ﴾ صـورة هـذه المبادلـة شـبيهة بصـورة البيـع والـشراء فاسـتعمل فيهـا عـلى سـبيل الاسـتعارة وقـد سـبق مثـل ذلـك.

«**ودَعِ الْقَـوْلَ فِيـمَا لَا تَعْـرِفُ**»: فـأن رسـول الله صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم قـال: «مـن أفتـى بغـير علـم كان أثمـه عـلى مـن أفتـاه ومـن أشـار عـلى أخيـه بأمـر يعلـم أن الرشـد في غـيره فقـد خانـه»[2].

«**والْخِطَـابَ**» أي المباحثـة« **فِيـمَا لَمْ تُكَلَّـفْ**»: فأنـه يفـوت الوقـت ولا يحصـل الاسـم «**فَأَمْسِـكْ عَـنْ طَرِيـقٍ إِذَا خِفْـتَ ضَـلَالَتَـهُ**»: أي الظـلال فيـه ثـم عللـه بقولـه:

---

(١) سورة الدخان الآية ٢٥ – ٢٧.

(٢) سـنن أبي داود: لسـليمان بـن الأشـعث السجسـتاني: ج٢ ص١٧٨؛ دعائـم الإسـلام للقـاضي النعـمان المغـربي: ج١ ص٩٦؛ المسـتدرك للحاكـم النيسـابوري: ج١ ص١٠٣؛ السـنن الكـبرى لأحمـد بـن حسـين البيهقـي:ج١٠ ص١١٦؛ جامـع بيـان العلـم وفضلـه لابـن عبـد الـبر في: ج٢ ص٦٣.

«**فَـإِنَّ الْكَـفَّ**»: والإمساك «**عِنْـدَ حَـيْرَةِ الضَّـلَالِ خَـيْرٌ مِـنْ رُكُـوبِ الأَهْـوَالِ**»: وكما يستعلي الراكب على المركوب، وربما لا اختيار له يستعلي صاحب الأهوال عليها وهي غالبة عليه وهذا وجه هذه الاستعارة وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة»[1].

«**وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ**»: قيل هو أسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمتفجعات «**تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ**»: أي أن الناس لكم تبع وأن رجالاً يأتوكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرى أي فمروهم بالخير.

«**وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ**»: أن قدرت فأن لم تستطع فبقلبك وذلك اضعف الإيمان.

«**وبَايِنْ**»: وباعد «**مَنْ فَعَلَهُ**»: المنكر «**بِجُهْدِكَ**»: قال عز من قائل ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2] «**وجَاهِدْ**»: نفسك في معرفة الله: وعبادته واخلاقه ومقامات قربه وأحواله «**حَقَّ جِهَادِهِ**»: الذي أمر به على السنن رسله وأوليائه.

«**ولَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ**»: فان الجهاد في سبيل الله وعدم المبالات للوم اللئام فضل الله به أوليائه يؤتيه من يشاء.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص ٢٣٣؛ مجمع الزوائد لأورده الهيثمي: ج٢ ص٢٣؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري: ص٢١٩؛ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) لأبن كثير: ج٢ ص ٣٥٤.

(٢) سورة هود: ص١١٣.

«**وخُضِ الْغَمَرَاتِ**»: الشدائد «**إِلَى الحَقِّ**» أي قاصداً أليه.

«**حَيْثُ كَانَ**»: وفي الخبر «من جائه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة»[1].

«**وتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ**»: فأن رسول الله يمر بمجلسين فقال: «كلاهما على خير واحدهما افضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فأن شاء أعطاهم وأن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلماً ثم جلس فيهم»[2] «**وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ**»: استعار التعويد للصبر وكنى به عن اللزوم ملاحظة لشبهة به في أن كلاً منهما يجعل وسيلة دفع المكروهات وفي الخبر أن أعظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله تعالى إذا أحب قوماً أبتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وللترغيب فيه قال عليه السلام:

«**ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ**»: أي هو محمود لدى الخَلق، ومشكور عند الحَقِّ.

«**وأَلْجِئْ**»: أعد «**نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ**»: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[3]، وإذا الجأت نفسك فيها كلها إليه تعالى.

«**فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ**»: ملجأ عظيم.

---

(١) سنن الدارمي لعبد الله بن الرحمن الدارمي: ج١ ص١٠٠؛ جامع بيان العلم وفضله لأبن عبد البر: ج١ ص٤٦: تفسير الرازي لفخر الدين الرازي ج٢ ص١٨٠.

(٢) مسند ابن المبارك لعبد الله بن المبارك: ص٤٢؛ سنن الدارمي لعبد الله بن الرحمن الدارمي: ج١ ص١٠٠

(٣) سورة الطلاق: الآية ٣ .

«**حَرِيزٍ**»: حافظ «**ومَانِعٍ عَزِيزٍ**»: منيع قوي لا يتطرق إلى سرادقات حفظه إقدام إلا من حفظه.

«**وأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ**»: ولا تسأل من غيره

«**فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ والْحِرْمَانَ**»: فكما أن من بيده شيء يتصرف فيه كما يشاء كذلك الله أن أراد أعطى، وأن أراد لا مانع لما أعطاه ولا راد لقضائه ولا معطي لما منعه.

«**وأَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ**»: في أمر يخفى عليك فعله وتركه فأن من هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخيرة في تركه أو الأقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقول هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فأنك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب اللهم أن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله فقدره لي؛ ثم يسره لي وأن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في دني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وأجله فاصرفني عنه وأصرفه عني وقدر لي الخير حيث كان ثم رضيني به يا ارحم الراحمين.

قال: جابر كان رسول الله -وآله- وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا الستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال إذا هم أحدكم بأمر فليصلي ركعتين ثم يسمي الأمر ويدعوا.

«**وتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ولَا تَذْهَبَنَّ**»: أي تعرضن «**عَنْكَ صَفْحاً**»: أعراضاً أي أعرض يقال: ضربت عنه صفحاً إذا عرضته وتركته والأصل فيه أن من أعرض من

صاحبه ولاه صفحة عنقه وجهه ثم يذب إلى تفهمه وعدمه الأعراض عنه بقوله:

«**فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ**»: وهذا مما هو نافع «**واعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا ينفع**»: أي صاحبه غيره بل فيه مضرة فان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[1] ويحتمل أن يقال: معناه لا خير في علم لا ينفع العالم بعد الانتقال وفي الخبر يوم القيامة يعنى ريحها والأصوب أن يقال: أي لا خير في علم لا ينفع ذلك من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها والأصوب أن يقال: لا خير في علم ذلك العلم صاحبه وبين ذلك بقوله:

«**ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه**»: أي لا يجب ولا يجوز الشروع فيه وما سوى الله العلوم الشرعية الحديثة والتفسير والفقه ومقدماتها وعلم الكلام بالنسبة إلى بعض الأذهان فأن الناس كما قال خير الناس صلى الله عليه [وآله] وسلم «معادن كمعادن الذهب والفضة»[2] وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوته فمنها قابلة لفيض الله تعالى على مراتب المعادن ومنها غير قابلة لها ولا يسع خلق المحصلين هذه اللقمة بم عقب ذلك وصيته فقال: «**أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً ورَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً**»: ضعفاً «**بَادَرْتُ**»: سارعت «**بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ**»: عملاً

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٠٥؛ سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني ج٢ ص١٧٩؛ سنن الترمذي: ج ٤ ص ١٣٨؛ المبسوط للشيخ الطوسي: ج٨ ص١٦٥؛ السرائر لأبن أدرسي الحلي: ج٢ ص١١٤؛ الرسالة السعدية للعلامة الحلي: هامش: ص٦؛ الأمالي: للشيخ الطوسي: ص٣٧٧؛ عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي في ج٤ ص٧١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٥٣٩؛ والكافي للكليني: ج٨ ص١٧٧؛ والخبر عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إلا أن العامة روته عن النبي صلى الله عليه وآله؛ ورواه الشيخ الصدوق في من لا يحضرة الفقيه: ج٤ ص٣٨٠.

بقوله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفوراً له»[1] «**وأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا**»: حسب ما يقتضيه المقام.

«**قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى**»: أراد أن غلبات الهوى «**وفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُور**»: أي البعير الذي صار فحلاً صعباً لا يطاق ويُقع راكبه في المهلكة.

«**وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ**»: الشاب «**كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ**»: كنى به عن كونه محلاً قابلاً للنصيحة والوصية.

«**فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ**»: يصير شديداً صلباً كالحجر الصلب يمر عليه الماء ولا يقف فيه وفيه إشارة إلى أن مرآة قلب القاسي لا يصقل بمصقال النصيحة فلا يرى فيها وجه ما ينبغي أن يفعل أو يترك والشيطان يوسوسه فيتبع الهوى ويضل عن سبيل الله وفي الخبر مثل ما ينبغي الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها أخذات أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلم وعُلم.

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يبق لهدى الله الذي أرسلت به أنتهى وإنما

---

(١) سنن أبن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني: ج٢ ص٩٠١؛ الكامل لعبد الله بن عدي الجرجاني: ج٥ ص٢٦؛ سنن أبن ماجة لعبد العظيم المنذري: ص٣٢٦.

هـو لقسـوة قلبـه.

«**ويَشْـتَغِلَ لُبُّـكَ**»: عقلـك عـما يليـق بـك بـما لا يليـق بـك وإنـما بادرتـك بالوصيـة المذكـورة «**لِتَسْـتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِـكَ**»: تثبـت قوتـه «**مِـنَ الأَمْـرِ مَـا قَـدْ كَفَـاكَ أَهْـلُ التَّجَـارِبِ بُغْيَتَـهُ وتَجْرِبَتَـهُ**»: ضمـير هـو فيهـما عائـد إلى الأمـر ومـا قـد كفـاك مفعـول بـه ليسـتقبل جعلـه كالصديـق المسـتقبل في أن أنـه يرغـب فيـه ويتوجـه إليـه.

«**فَتَكُـونَ قَـدْ كُفِيـتَ مَئُونَـةَ الطَّلَـبِ وعُوفِيـتَ مِـنْ عِـلَاجِ التَّجْرِبَـةِ**»: حاصلـة أنـك إذا قبلـت قـولي واقتفيـت أثـري حـال في سـاحته قلبـك الـرأي الزريـن وتبـين لـك الأمـور والأحـوال فيجـدب أليـك أهـداب المـرام عـلى مـا أمـره بـه الملـك العـلام وسـنة سـيدي الأنـام عليـه الصـلات السـلام ويتحصـل لـك مـا يتحصـل لأهـل التجـارب في الأعـوام ولا يفتقـر إلى التجربـة ولا الاسـتغاثة بأهلهـا وعوفيـت مـن عـلاج التجربـة أي عنـك عـلاج الجربـة أسـتعير لاشـتراكها في الإزالـة.

«**فَأَتَـاكَ مِـنْ ذَلِـكَ**»: الـرأي «**مَـا قَـدْ كُنَّـا نَأْتِيـهِ واسْـتَبَانَ لَـكَ مَـا رُبَّـمَا أَظْلَـمَ عَلَيْنَـا فيـه**»: أي حصـل لنـا الاشـتباه فيـه وأمـا أذا كشـفنا القنـاع عـن وجـه وأريناكـه كـما هـو فـلا يحـوم حولـه شـأنه الالتبـاس ثـم كـرر بـدأ الشـفقة وعقبـه بـما يـدل عـلى كـمال تجربتـه واطلاعـه عـلى الأحـوال السـالفة كـما هـي بقولـه: «**أَيْ بُنَـيَّ إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُـنْ عُمِّـرْتُ عُمُـرَ مَـنْ كَانَ قَبْـلِي فَقَـدْ نَظَـرْتُ فِي أَعْمَالِهِـمْ وفَكَّـرْتُ فِي أَخْبَارِهِـمْ وسِرْتُ فِي آثَارِهِـمْ حَتَّـى عُـدْتُ**»: تحسـب ذلـك «**كَأَحَدِهِـمْ بَـلْ كَأَنِّي بِـمَا انْتَهَـى إِلَيَّ مِـنْ أُمُورِهِـمْ**»: أي بسـببه «**قَـدْ عُمِّـرْتُ مَـعَ أَوَّلِهِـمْ إِلَى آخِرِهِـمْ**»: أي كشـف لـدى الغطـاء عـن وجـوه أحوالهـم فكـما كان أحدهـم يعلـم مـا صـدر عنـه وجـرى عليـه علمتـه كذلـك، وهـذا وجـه التشـبيه.

وكأني عمـلًا بقولـه عـز وجـل ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَـمْ أَهْلَكْنَـا مِـنْ قَبْلِهِـمْ مِـنْ قَـرْنٍ مَكَّنَّاهُـمْ

فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الآية[1] وأشرقت قلبه من نور ربه فرأى بعين بصيرة أحوال الرجال السالفة كما كانت فرغبت نفسه القدسية عن قينات الدنيا ودانت إلى حضرة الجلال وسقيت كأس الوصال «**فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ**»: بحيث لم يبق مع ورد يقيني شيء ما يثير الشك. وتحرك فيّ عرق الأبوة.

«**فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ**»: خلاصته «**وَتَوَخَّيْتُ**»: طلبت «**جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي**»: حملني على العناية «**مِنْ أَمْرِكَ**»: من ثنائك.

«**مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ**»: المشفق: أشفقت خفت ويوصف به الوالد لأنه يخاف على الولد «**وَأَجْمَعْتُ**»: عزمت «**عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ**»: مفعول رأيت ومن أدبك للتبين والواو للحال في «**وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ**»: محل تأثره: الجوهري: رجل مقتب الشباب أذا لم يبن في أثر كثير.

«**ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ**»: بريئة من العيوب، لم يتكدر بتراب الأخلاق الذميمة وجه هذا الوصف ملاحظة شبهها بالماء الصافي في الصفاء وعدم التكدر أو بالذهب المصفى.

«**وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ**»: معطوف على أن يكون «**بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»: فأنه منبع عيون العلوم يجري منه إلى رياض أرباب الفهوم.

«**وَتَأْوِيلِهِ**»: فيما يفتقر إلى التأويل وينبغي أن يحمل على ظاهره مثل قوله عز

(١) سورة الأنعام: الآية ٦ .

وجل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾[1] ﴿اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[3] وكأني بك تقول: روي عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال «نزل القرآن على خمسة أوجه: الحلال والحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاحلوا الحلال وحرموا الحرام وأعملوا بالمحكم وأمنوا بالمتشابه واعتبروا بالمثال» فكيف أوله وقد نهي عن التأويل، وأمر بالإيمان بالمتشابه؟ فأقول وبالله التوفيق المراد بالمتشابه في الحديث المكتوم الذي لا يفسر[4].

وأعلم أن القرآن أما محكم معلوم بالمراد به من كل وجه وهو المقصود إليه مساق الكلام لأن المقصود من الكلام الأفهام وليخرج السامع م ظلمات الشك والشبهة إلى نور الحق واليقين وأستفيد به ما هو مفتقر إليه وليلزمه الحجة وأما متشابه مما لا يعلم مراده وأنه مذكور لمقاصد لم يوضع لها الكلام لأن للأفهام لا للإبهام ولكن الحكمة البالغة إلى أيرادها في التنزيل ولم يجد لها كتاباً في الحكمة من الحكماء ألا والخفي فيه أكثر من الظاهر.

ولذلك قل ما ينظر في كلام الفصحاء إلا والمحلى بالاستعارة والتشبيه أكثر وكذلك النكت السالفة.

وهذا ظاهر لمن تأمل وأما مكنون لا يعلمه إلا الله كالحروف المقطعة في أوائل السور ولما كان القرآن مائدة الله تعالى للأحمر والأسود والغني والزكي والصور

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٢ .

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٤) البرهان: للزركشي: ج١ ص٤٥٤؛ الأمالي: للشيخ الطوسي: ص٣٥٧، الإرشاد القلوب: للحسن بن محمد الديلمي: ج١ ص٧٨؛ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي ج١ ص٣٩.

والألسن والطباع على غاية اختلاف أساليب الكلام ليحمل كل احد ما هو بصدده ولأن المعنى لو صار الخلق فيه سواء ليتسنى لقدم الداعية إلى الذكر والبيان لتساوي الناس فيه فلاسم الداعية إلى التحفظ والذكر ألا لغرض البيان وذلك عند تفاصيل العقول وتفاوت الأوهام في إدراكه ولهذا كان الخبر الغريب والبيت النادر والكلام العجيب اشهر وإلى أقاصي البلاد أسير.

«**وشَرَائِعِ الإِسْلَامِ وأَحْكَامِهِ وحَلَالِهِ وحَرَامِهِ**»: الشريعة لغة مشرعة الماء وهي المورد الشاربة ثم ينقل إلى ما شرعه الله لعباده من الدين.

«**لَا أُجَاوِزُ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ**»: فأن تعلمها واجب عليك وفي الخبر من طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد[1] الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب.

«**ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِس عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ**»: قيل اختلف من إيقاع الماضي موقع المضارع لحقق الوقوع وقد اخبر المخبر الصادق بأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله.

«**فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهُلَكَةَ**»: أسلمه إلى عد وإذا تركه في أيديهم والهلكة فان الحقيق بالطبيب أن يداوي المريض وأن كرهه ولا تذهبن إلى أن الحسن عليه السلام كره تنبيهه عليه السلام فأنه كلام فرضى.

---

(١) كمقلد: والقَلْدُ: لِيُّ الشيءِ على الشيء؛ وسوارٌ مَقْلُودٌ وقَلْدٌ: مَلْوِيٌّ.

والقَلْدُ: السِّوارُ المَفْتُولُ من فضة؛ لسان العرب لابن منظور: ج ٣: ص ٣٦٦.

«**ورَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ فيما يبتلى لِرُشْدِكَ**»: راغب خلاف الغي وقال بعضهم الرشد بفتح السين أخص من الرشد بسكونها فأن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والآخروية والرشد في الآخروية.

«**وأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ**»: سواء السبيل.

«**فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ**»: اوصيتك «**وَصِيَّتِي هَذِهِ**»: وما اعجب هذا الترتيب لجذب الموصي إلى الترغيب فأن الأوصاف المذكورة والقضايا السالفة إلى هنا مرغبات إلى قبول ما يوصي به.

«**واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي**»: إلي بمعنى من الابتدائية.

«**تَقْوَى الله**»: قال: بعض المحققين هي على ثلاث أنواع تقوى اللسان: إثار ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من يكن فكان وتقوى الأركان إيثار طاعة من لم يزل ولا يزال على خدمته من لم يكن فكان [1]، وتقوى الجنان إيثار محبة من لم يزل على محبة من لم يكن فكان ويحتمل أن يقال قوله: «**والِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»: عطف عليها تفسير لها كما قال: عمرو بن عبد العزيز: ليس التقوى النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى أداء ما أفترض الله تعالى وترك ما حرم الله تعالى فمن رزق بعد ذلك فضلاً فهو خير إلى خير وكلامه عليه السلام يشتمل المأمورات والمنهيات ومصداق ذلك أن أعرابياً أتى إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: دلني على عمل ان انا

(١) بمعنى يجب طاعة من لم يزل ولا يزال وهو الله تعالى: ومن لم يكن فكان هي المخلوقات التي لو لا خلق الله تعالى لها لم تكن، فاستحق من لم يزل ولا يزال أن يعبده من لم يكن فكان بفضله ومنه وجوده تعالى.

عملته دخلت الجنة؟ قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال: والذي نفس محمد بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا انقص منه فلما ولى قال: النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر»[1] «**والأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا**»: لم يتركوا «**أَنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ وفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ**»: ليعرفوا شأنهم وما يليق بهم.

«**ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ**»: النظر «**إِلَى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا والإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا**»: وعدم التفاتهم إليه بحثاً وهذا لأن طلب هذا المقدر من العلم فريضة على كل مسلم فرض عين ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص فالفقير الذي ليس عليه الصلاة والصوم من الأركان يجب عليه معرفة صحة الاعتقاد من كون الله وحده لا شريك له وهو حي قديم ازلي أبدي وغير ذلك مما ذكر تعلمه من العقائد في كتب الاعتقادات ويجب عليه ما يصح به الصوم والصلاة وما يفسد ما يجب عليه معرفة الحلال والحرام والخبيث والطاهر والوضوء والغسل والغني علم الزكاة والحج ويجب على التاجر تعلم علم ما يصح به العقود وما يسفدها وكذلك كل من عملاً يجب عليه تعلمه علم ذلك العلم واما تحصيل العلم بحيث يصير الرجل مجتهداً أو مفتياً ففرض كفاية لا فرض عين وإذا اوجد مجتهداً في بلد أو ناحية سقط الفرض عن الكل وأن لم يكن بكل ناحية أهل تلك الناحية حتى يصير وأحداً منهم مفتياً.

«**فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ**»: الاقتصار.

---

(١) البخاري: ج٢ ص١٠٩؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٤٣؛ عمدة القاري للعيني: ج٨ ص٢٤١.

«**دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا كانوا**»: أي متجاورة عن هذا النوع من العلم نبأ على أنك غصن من أغصان الدوحة النبوة ترى فيك ينبوع الاستعداد يفوز وانك وجدت من منصور على من لاقاه لم يصارع أحد قط في عالمي الصورة والمغني إلا صرعه.

«**فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ**»: معناه الوقوع في الهلاك أستعير للشبهة فأنها هلال القلب.

«**وعُلَوِّ الخُصُوصِيَّاتِ**»: فأنها نتيجة عمل الشيطان وقد سمع صلى الله عليه [وآله] وسلم اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج عليهم يعرف في وجهه الغضب فقال: أنما هلك من كان قبلكم باختلافهم وأعلم أن المخاصمة ممنوعة وأما المجادلة للإظهار الحق فمحمودة قال: عز شأنه ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وبنى دعوة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم ثلاث مراتب كل فرقة بحسب ما يليق بها بالحكمة إيراد البراهين القاطعة لأهل الكمال كالاستدلال أبراهيم عليه السلام بأفول الكواكب على نقصها المنافي لهيئتها والموعظة الحسنة بالكلمات الخطابية المقنعة كقوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾[2].

««**وابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ**»: فأنه ركن شديد لا يتغير وهو حسبك ونعم المعين.

«**والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ**»: والحرص عليه «**وتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ**»: وأحدهُ الشوائب وهي الأقذاء والأدناس.

«**أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ**»: فأن المرآة المصقلة ترى فيها الصور

---

(١) سورة النحل: ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

وتصقيل القلب بما ذكر «**فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ وتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ وكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ**»: من طلبك المقصود بتفهم وتعلم.

«**وإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وفَرَاغِ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ**»: أي تخبط مثل خبط الناقة التي بصرها ضعف تخبط إذا مشيت لا يتوفى ووجه الشبهة الخبط المطلق والعشواء نصب على المصدر على حذف المضاف منه.

«**ولَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ**»: خبط البعير: الأرض بيده ضربها. «**أَوْ خَلَطَ والإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ**»: أفضل حينئذ إذ فيه تضييع أنفس شيء عنده ثم سجل الوصية بقوله: «**فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي هذه**»: ثم أعلمه بأن بيد الله زمام الأحياء والإماتة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال عليه السلام:

«**واعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ وأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ**»: مؤكدة لما قبلها جعله الموت والحياة بمنزلة الملوك ملاحظاً لشبههما به في التصرف فيه «**وأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ وأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي**»: رمز إلى الله النطف أموات ثم خلق فيها الحياة ثم خلق فيهم الموت عند قبض الأرواح ثم خلق فيهم الحياة في القبور للسؤال ثم يميتهم؛ ثم يحيهم في القيامة؛ ثم لا موت بعده أما خلود في الجنة، وأما خلود في النار، وخالف القدرية في هذه الجملة في مواضع منها قولهم أن الحياة تقتضي بنيَة وبلّه[1]، ومنها

(١) وبَلَّةُ الشيء، وبَلَلَتُه: ثَمَرتُه: يُنظر تاج العروس للناس: ج١٤ ص٦٩؛ والمعنى: أن الحياة يقضي وجودها ثمرة وهذا المعتقد عبروا عنه (والحياة تقتضي بنية وبلة) والقدرية: وهم فرقة من فرق المسلين الذي صار لهم اعتقاد خاطئ في تقدير الله تعالى لأحوال الدنيا وما فيها من أحوال العباد.

أنكارهم سؤال القبر، وعذاب القبر وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه المسائل المجاهدة والإيمان حياة القلب بنور الله الموافقة فيكون الموت فناء النفوس والحياة استلاء القلوب ولهذا أقالها لا يصح السماع إلا لمن كان نفسه ميتة، وقلبه حياً فالله تعالى يميت حياة نفوس العابدين ويحيى قلوب العارفين يحيى أحوال أهل الوصال ويميت أحوال أهل الفراق أموات إذاً أذكر؛ ثم أحي فكم أحي عليك وكم أموات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ليس من مات ما ستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحيائي

ثم أشار إلى أن توجه الدنيا إلى صاحبها بحسب تقديره يؤتها من يشاء وينزعها عمن يشاء وأشار إلى حكمة ذلك فقال:

«**وأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ**»: على حال من الأحوال «**إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ والِابْتِلَاءِ والجَزَاءِ فِي المَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ**»: من الحكمة والمصلحة **فَإِنْ أَشْكَلَ**: صار مشكلاً.

«**عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ**»: مما لا تعلم «**فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا**»:

«**أول**»: نصب على الظرف وقيل حال والجملة بتمامها خبر أن ومن لم نذكر خلعت رفع جاهل للخبرية وفيه إيماء إلى قول الله تعالى ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩- ١٧٠.

أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[1].

«**ثُمَّ عُلِّمْتَ**»: وفيه أشاره إلى أن بين زمان الإخراج والعلم التام آونة، ويختلف مراتب الناس في ذلك اختلافاً عظيماً بحسب اختلاف درجات الاستعدادات والقوى «**ومَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ**»: ما الأولى تعجبية والثانية موصولة.

«**مِنَ الأَمْرِ ويَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ويَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ**»: بحسب كمال استعدادات وجذب العناية الإلهية إليك والأصل في ذلك أن الله تعالى خلق خلقه الثقلين من الجن والإنس في ظلمة النفس الأمارة بالسوء المجبولة بالشهوات المدرية والأهواء المضلة قال عز من قائل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[2] فألقى عليهم من نوره ما يصيب من الشواهد والحجج وما أنزل إليهم من الآيات والنذر كما أشار إلى ذلك قوله تعالى ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[3] ومن يشاء هدايته هو الذي اصابه ذلك النور فيخلص من تلك الظلمة وأهتدى، ومن لم يشأ هدايته بقي في ظلمات الطبيعة متحيراً متخبطاً في الظلماء كالأنعام بل أضل مثل حال الكفرة والمنهمكين في الشهوات المعرضين عن الآيات.

«**فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ ورَزَقَكَ وسَوَّاكَ**»: أي سوى مزاج بدنك بتسوية الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لم يتغير الترتيب الخارجي بل كما

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢) سورة البلد: الآية ٤.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

جاء إلى قلبه المنير ألبسه لباس التقرير.

«**وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ ومِنْهُ شَفَقَتُكَ**»: أما التعبد والعبودية فأنهما غاية التذلل ولا يستحقها الأمن هو غاية الأفضال وهو الله تعالى، ولهذا نوعان محمود الحرص على معرفة الله ومذموم وهو على الدنيا بعض العارفين الحرص والطمع يجران إلى مساوئ الخلاق، وارتكاب المنكرات الحاجبة للمروآت.

وللشاعر في ذلك:

يا طالب الرزق في الآفات مجتهدا ... أقصر عنائك فأن الرزق مقسوم

ولا تحرصن على ما لست تدركه ... أن الحريص على الآمال محروم

وأما الشفقة بمعنى الخوف من الله فلما قال أهل المعرفة من أن الحريص على الآمال محروم وأما الشفقة بمعنى الخوف من الله؛ فلما قال أهل المعرفة من أن الخوف نار تحرق الوساوس والهواجس في القلب، وأما اختصاصه بالله فلأن الخوف كما قال بعض أهل الإشارة ضربان خوف من الحق وخوف من الخلق فالخوف من الحق تورث التهذيب والخلق تورث التعذيب، وفي الخبر إذا أقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تجانب عنه ذنوبه كما تتجانب من الشجرة اليابسة ورقها.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة ثم أعلمه بأنه لاحق باقتفاء نبيه في معرفة الله تعالى فأنه لم يعرفه غيره كما عرَفه ولم يعَرفه أحد كما عرفه بقوله وأعلم:

«**واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلّى الله**

عليه وآله وسلّم فَارْضَ بِهِ رَائِداً»: لغة من يجيء ويذهب لمصلحة القوم إذا أرسل في وقع طلب الكلاء استعير له صلى الله عليه [وآله] وسلم لما بينهما من الاشتراك في أعلام الضار والنافع كلٌ بحسب ما يليق به.

«**وإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً**»: يعني أن استمسكت بذيله نجوت عن ضرر رجال أهل الأهواء في شأنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وإذا تمهدت ما ذكر في قلبك اليقظان.

«**فَإِنِّي لَمْ آلُكَ**»: لم اقصر لك «**نَصِيحَةً**»: تميز وقيل من الألوَّ بمعنى الاستطاعة والصحيح ما قلناه «**وإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ وإِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ**»: فأنه كان بمكان من العلم لم يتطرق إليه إقدام العقول أنهار الفظائل في الدنيا من تجوز فضائله ورياض التوحيد والعدل من بساتين خطبه ورسائله من فيه ما في جميع الناس وكلهم وليس في الناس ما فيه الحسن ثم نبهه على الاستدلال على أن الله واحد لا شريك له في الألوهية بقوله:

«**واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِهِ**»: توضيح المرام في هذا المقام بأن نقول: العقلاء أنما أثبتوا للعالم صانعاً لأن حدوثه صح لهم بالدلائل له على كونه موجوداً وعلى ثبوته حاصلاً دليل من أفعال وصفات لأن كل ما يصح من الأفعال أما أن يقدر عليه القادر الممكن أو لم يقدر عليه إلا القادر لذاته فالأول يمكن إسناده إلى كل قادر فلا وجه لأثبات قادر بالذات لإيجاده، وأن لم يدخل تحت قدرته فأنه يصح أن يسند إلى الله وحده فأي حاجة إلى أثبات إله ثان قديم وإلى هذا أشار بقوله: تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾[1] فأما من جوز له، أن يكون له تعالى

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٨.

شريك، فالكلام معه بدليل التمانع عند المتكلمين وبين هذا الأول فرق واضح لأن الجواز والثبوت أمران متخالفان وذكر عليه السلام عل سبيل التقريب وجهاً آخر مما يمكن أن يكون طريقاً إلى الاستدلال على نفي شريك لله ثابت موجود يقال: لوكان للباري شريك لبعث رسولاً وأنزل كتاباً ونصب علماً معجزاً من أفعاله أو أنشاء خارق العادة ليدل على صحة ذلك على وجه لا يمكن رده إلى الله سبحانه فلما لم يكن من هاذين الوجهين دليل قاطع على ثان يشاركه تعالى علمنا أنه سبحانه واحد.

«**ولَكِنَّهُ**»: لم يكن ذلك فهو «**إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ**»: **بقوله**: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1] «**لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ولاَ**»: يخالفه لأن الملك عند أهل التحقيق هو القدرة علة الأبداع والإنشاء ومن سواه لا يقدر عليها.

«**يَزُولُ أَبَداً**»: لأن وجوده لذاته «**ولَمْ يَزَلْ**» لما ذكر «**أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ**»: قد سبق منا كلام في تحقيق ذلك غير مرة فقال:

«**عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ**»: بل تاهت في فيفاء ربوبيته أنضار العقل، دون إدراكه طرق الفكر وأنحاؤه، لأنها موقوفة على إحصاء نعم الله تعالى على سبيل التفضيل ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[2].

«**فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ**»: منزلته «**وقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ وكَثْرَةِ عَجْزِهِ وعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ والخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ والشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ ولَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ**»: وقد

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

تقرر في العقول أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فاسلك الطريق على ما هو بك حقيق ثم تنبه وجه الدنيا بعين بصيرته بأن شبه الدنيا لمن كان مغروراً بها بعامر خرج ساكنه إلى مرعا، ولمن أعتبر بها بحراث تركه نازله إلى عامر فسل على هذا أشده المقام والارتحال وتصعب على الأول المفارقة والانتقال فقال: «**يَا بُنَيَّ**»: تصغير تعظيم.

«**إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وحَالِهَا وزَوَالِهَا وانْتِقَالِهَا وأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ ومَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا وضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ**»: أي وصفت لأجلك في أحوال الدنيا والآخرة الأمثال وتنبيهاً «**تَعْتَبِرَ بِهَا وتَحْذُوَ عَلَيْهَا**»: أي بقدر أمرك عليها ومن حملتها «**إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا**»: تلاها وخربها وعلمها «**كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ**»: جمع سافر بمعنى المسافر.

«**نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ**»: أي صعب عليهم المقام «**جَدِيبٌ**»: محدث.

«**فَأَمُّوا**»: قصدوا «**مَنْزِلًا خَصِيباً**»: محصباً «**وجَنَاباً**»: فنأ «**مَرِيعاً**»: كثير العشب ويقال مرع جناب القوم إذا كثر خصبه.

«**فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ**»: شدته وصعوبته« **وفِرَاقَ الصَّدِيقِ وخُشُونَةَ السَّفَرِ وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ**»: طعام جشب لا أدام معه «**لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً ولَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً ولَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وأَدْنَاهُمْ**»: أقربهم.

«**مِنْ مَحَلَّتِهِمْ ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ ولَا أَفْظَعَ**»: أشد وأعظم «**عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ**»: يدخلون «**عَلَيْهِ ويَصِيرُونَ إِلَيْهِ**»: أراد أن قوماً سطع

على سماء قلوبهم بتباشير صبح الهداية، وإشراق لمعان برق العناية فهم بمعزل عن القرار في الدنيا والآخرة خير في نظرهم من الأولى فيشمرون عن ساق الجد ليجدوا أليهم الجد فهم حين حال الانتقال يطيرون من الفرح، لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يدهشهم الموت الأصغر وأن، وأن قوما ركبوا مراكب القوى في أبتداء الطبيعة ولم يقلدوا أعناق نفوسهم بقلائد أحكام الشريعة وغاصوا في بحار الشهوات وماتوا في مهالك الظلمات، وجعلوا قينات الدنيا مطلوبهم، ومحبوبهم فهم العاشقون لها وأنت خبير بأن العاشق أو أن الأبعاد عن معشوقه، والنفاق الساق بالساق ما يمر عليه من الم الفراق والأظهر في مثل هذا التشبيه أنه مركب ويأتي التفريق أيضاً بأن شبه.

بأن العالمين بها بالمسافرين والدنيا بالنسبة إلى اللبيب بمنزل حديث.

وعكس ذلك بالنسبة إلى الغمر وقطع المنازل بقطع المنازل والشدائد بالشدائد ثم أمر أن يجعل نفسه كالميزان في الاستقامة وإنما يكون كذلك إذا تدبر الأشياء وفصلها.

«**يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا**»: وفي الخبر أن معاذ بن جبل سأل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم عن أفضل الأعمال قال: «أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله قال: وماذا يا رسول الله: أي ماذا أصنع؟ بعد ذلك قال: وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»[1] وفيه فوائد جمة تظهر بالتأمل.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٢٤٧؛ مجمع الزوائد للهثمي: ج١ ص٦١؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري: ص٣٢.

وأراد بالعِير من قدم دائرة الإسلام وكيف لا وقد وصف الله سبحانه الكلمة من أصحابه صلى الله عليه [وآله] وسلم بقوله ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1] وكان شدتهم على الكفار المجاهدة بالسنان واللسان.

«**ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ**»: لقوله صلى الله عليه [وآله] «لتقوا الظلم فأن الظلم ظلمات»[2] وعنه عليه السلام «الظالم له ثلاث: يقهر من دونه بالغلبة، ومن فوقه بالمعصية، ويظاهر الظلمة»[3].

«**وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ**»: فأن الإنسان عبيد الإحسان.

يقال: على وجهين أحدهما الإنعام على الغير يقال: يمكن رجع الثاني إلى الأول باعتبار أنه إحسان إلى نفس الفاعل.

روي أنه جاء احد إليه عليه السلام ليلة يسأله حاجة فقال: أطفي السراج يا غلام كي لا يرى في وجهه ذل السؤال: وعنه أنه قال: لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه أخواني احب إلي من أن أعتق رقبة روي أن رجلاً رفع إلى الحسن عليه السلام رقعة فقال: «حاجتك مقضية فقيل له إلا تنضر في الرقعة قال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حين أقرأ الرقعة»[4].

«**واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ**»: فعظ نفسك فأن اتعظت فعظ الناس.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٢) الكافي: للشيخ الكليني: ج٢ ص٥٠٩؛ السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي: ج٦ ص٩٣؛ فتح الباري: لابن حجر في ج٥ ص٧٣؛ و عمدة القاري: للعيني ج١٢ ص٢٩٣

(٣) تفسير السمرقندي لأبو الليث: ج٢ ص٥٥٩؛ والطبقات الصوفية للسلمي ص٥٠٠.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي: ج١٠ ص٣٠؛ نظم درر السمطين للشيخ محمد الزرندي الحنفي في ص١٩.

«**وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ**»: ومن فعل غير ذلك فأنه أذن من الظالمين «**ولَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ**»: إظهاراً لفضلك فأن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «من أفتى بغير علم كان أثمه على من أفتاه»[1].

«**ولَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ**»: نهى عن الشتم وغيره من الأمور المستقبحة بعض الحكماء اللسان قيمة الإنسان فمن قوّمه زادت قيمته.

وفي الخبر من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت والمعنى أن في ذلك أبرار المنكرات وإظهار المكروهات ثم أعلمه أن استعظام الرجل نسفه خطأ وعقبه بالأمر بالسعي في التكسب لنفسه وعياله على قدر الحاجة فقال:

«**واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ**»: فأن الصواب التذلل والانكسار لأرباب الألباب.

«**وآفَةُ الأَلْبَابِ**»: فأن كمال العقل فيما يليق بذي العقل وهذا مما لا يليق بذي العقل به روي أنه عليه السلام اشترى لحما بدرهم فحمل في ملحفته فقيل له أحمل عنك يا أمير قال: «لا أبو العيال أحق»[2] وأعلم أن العبودية مبنية على ترك التكبر واستعمال التواضع لأن التكبر من صفات الربوبية والتواضع من نعوت العبودية وإذا أيقنت أن الحقيق بك التواضع.

---

(١) سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني في: ج٢ ص١٧٨؛ القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام: ج١ ص٩٦؛ فضل الله الراوندي في النوادر؛ وأبن عساكر الدمشقي في تاريخ مدينة دمشق: ج٥٢ ص٢٠.

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا: ص ١٣٦؛ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ج٢ ص٢٠٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي: ج ٤٢ ص ٤٨٩؛ تهذيب الكمال للمزي: ج١٣ ص١٠٦؛ الكامل لابن الاثير: ج٣ ص٤٠١.

«**فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ**»: في عملك وكسبك فأنه يكسر العجب.

«**ولَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ**»: بل أسع لنفسك وعيالك على قدر الحاجة ولا تطلب فوق الكاف فأنه عليك مضرة ولغيرك منفعة وقال: صلى الله عليه [وآله] وسلم: «أيها الناس أجملوا في الطلب فأنه ليس لعبد إلا ما كتب له»[1] قيل لحكيم رحمة الله أن فلاناً جمع مالاً كثيرا فقال: له هل أعد الحياة على قدر المال قيل لا قال: فلم يعمل شيئاً ما يصنع الموتى بمال.

«**وإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ**»: أي خشوعاً لربك وهو قيام القلب بين يدي الرب بهم مجموع فأن من خشع قلبه يقربه الشيطان ثم رغبة بالرغبة عن الدنيا وقنيياتها بقوله.

«**واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ**»: قدامك «**طَرِيقاً**»: صراطاً «**ذَا مَسَافَةٍ**»: بعد «**بَعِيدَةٍ**»: وأصلها من السهم فكان الدليل إذا أصاب في فلاة أخذه التراب فسمه ليعلم أعلى قصد هوام، أم على حوزتهم كثير استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة ووصفها بكونها بعيدة للتأكيد.

«**ومَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ**»: حكي أن الفضل بن عياض يصف القيامة ويبكي فقال: له بشر بن الحارث أن خوفي أشد من الصراط، صف لي كيف ذاك فأنتحب وقال: ويحك يا بشر هي: سبعة جسور الأول: منها مسيرة ثلاث الآف عام والثاني أطول منه ألف عام وكذلك الثالث والرابع إلى السابع، فيسأل العبد على أولها من الصدق والإخلاص بعد الإيمان فأن لم يوجد في عمله الرياء والشك والنفاق

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ج ١٠ ص ١٦؛ شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٩ ص١٦٣.

والعجب نجا، وإلا ردوا على الثاني، يسال من الوضوء والغسل، وعلى الثالث من الصلاة، وعلى الرابع من الزكاة، وعلى الخامس من الصوم، وعلى السادس من الحج وعلى السابع من بر الوالدين؛ فأن وجد كل واحد كاملاً وإلا رد في النار.

يا بشر إياك والغفلة وإنشاء:

ذا ما كنت متخذا وصيا فكن فيما ملكت وصي نفسك

ستحصد ما زرعت غدا وتجزى إذا وضع الحساب ثمار غرسك

وقد سبق منا كلام في جهة استعارة الطريق والإمام.

«**وأَنَّهُ لَا غِنَى**»: أي لا كفاية «**بَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الِارْتِيَادِ**»: لطب «**وقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ**»: قد سلف تحقيق معنى الزاد وإطلاق هذا الاسم عليه «**مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ**»: الحمل «**وَبَالًا**»: عذاباً «**عَلَيْكَ وإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ**»: يجيء إليك وافياً «**غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ**»: الزاد.

«**إِيَّاهُ وأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ واغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ**»: طلب القرض منك فِي «**حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ**»: فيه ترغيب في الصدقة وإيماء إلى ما قبل من أنها ثمن يغم الجنان وأجره حدم من الولدان وفي الإنجيل:

«لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس والدود ولا يمؤمن عليها نقب السارق ووصول أيدي القطاع ولاكن اجعلوها في السماء فأنه حيث تكون

كنوزكم تكون قلوبكم»[1].

وقوله: فلعلك تطلبه فلا تجد أشارة إلى قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها ويقول: الرجل لوجئت بها أمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها»[2] والأخبار في الصدقة كثيرة وفيه ترغيب أيضاً في القرض الخالي عن الريح.

«**واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً**»: قد سبق بيان معنى بيان معنى العقبة الكود.

«**المُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ المُثْقِلِ**»: أخف الرجل خفت حاله وهو الذي خف ظهره من الأوزار وأعباء الذنوب، والمثقل بخلافه وفيه إشارة إلى ما في الخبر من أن بين أيدينا عقبة كؤداً لا يجوزه إلا المخف «**والمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ المُسْرِعِ**»: الحسن ما ظنكم بأقوام قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكله ولم يشربوا فيها شربة؛ ثم صرف بهم إلى النار يحتمل أن يكون أفعل بمعنى أضل بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3] هذا يومكم الذي كنتم توعدون وأمثاله الناطقة بطيب احواله أريت؛ أن من حرر قلبه عن الأغيار بقلبه، وعلق الإحساس خواطر لبه ورأي من المخلوقين كشف طوارق كربه ولم يرجع الأبعد اليأس من الخلائق إلى ربه لا والله وكيف كان ومرتع ذلك رياض الوصال ومرجع هذا أشد السلاسل

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ج٢ ص٢٩٥.

(٢) مسند ابن الجعد: لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري؛ فتح الباري لابن حجر: ج٣ ص٢٣٣؛ عمدة القاري للعيني: ج٨ ص٢٧١؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٢ ص٤٠؛ وتاريخ مدينة دمشق لأبن عساكر الدمشقي في ج١٣ ص٤٦٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣ .

والأغلال ولله درر من قال من أعرض عن الأسباب ولم يعرج عن الاستقامة بالأحباب، ولم ينفو باعتضاده وإستشاده إلى الأصحاب كفي له المهمات وخير له الخيرات ويكتسيه الآفات، ومن لم يتساو عنده الاحظار ولم يسقط عن قلبه الدنيا الوزن والمقدار لم يزل في سجن حرصه وفي أسر نفسه، وفي رق شهوته وفي ذل طمعه وعلم تقاصر رتبته وخساسة منزلته وبُعده من الله في خصائص حفظه وعصمته، ويحتمل أن يكون على ظاهره فأنه يضل جنسها إلى أولياته وأعدائه. وفي الخبر والذي نفيسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أي عقاب الله للعصاة وشدة مناقشته يوم الحساب للفناء وكشف السرائر بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا؛ فأن البكاء شجرة ثمرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك بالحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي، والتعوذ من القلب الغافل.

«**وأَنَّ مَهْبِطَهَا**»: هبوطها: «**بِك لَا مَحَالَةَ**»: مصدر في موضع الحال.

«**عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ**»: فأن المكلف أما شقي أو سعيد فأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين وأما الذين شقوا ففي النار دائمين وإذا علمت ما تلوت عليك.

«**فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ**»: طلب صلاح نفسك «**قَبْلَ نُزُولِكَ**»: في العقبة «**ووَطِّئِ الْمَنْزِلَ**»: اتخذه وطناً في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

«**قَبْلَ حُلُولِكَ**»: بثمن الأعمال الرضية، والأخلاق الزكية، وقبل وطي المنزل أي جعله وطناً أي ليناً «**فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ**»: مسترضأ.

«**ولَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ**»: رجوع بني أدم في ممر الليل والنهار في أحال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتيه بغتة فمن يزرع خير يحصد سعادة ومن يزع شر

يحصد ندامة فلكل زارع مثل ما زرع.

ولم أرى كالأيام للمرأ واعظاً ولا كصروف الدهر هادياً
لعمرك ما يدري الفتى تتقى أذا هو لم يجعل الله واقيا

واحسن فأن المرء لا بد ميت وأنك مجري بما كنت ساعياً ثم أحصى ألاء الله ونعمائه التي انعمها عليه وعلى غيره ليشكرها، ويصرف جميع الجنان والجوارح والأركان فيما خلقت لأجله فقال:

«**واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ**»: ما خزنة الله فيها من الأرزاق ويقال للغيوب الخزائن لغموضها، واستتارها عن الناس وجعل الفصل مصدرا بهذا الكلام ليكون في قلبه ما يذكره بعد في معرض الأحكام.

«**قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ**»: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[1].

«**وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ**»: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] «**ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ**»: لا كملوك الدنيا فأنهم يجعلون حجاباً وينصتون، وذلك لقصورهم، وتصويرهم في شأنهم وتخيلهم ما ليس لهم من رفعة مكانهم.

«**ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ**»: بل ينزل ملك عن الله تعالى كل ليلة

(١) سورة البقرة: ١٨٦ .

(٢) سورة النور: الآية ١١٨.

إلى سماء الدنيا؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: عن الله تعالى «من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي رواية ثم يبسط يديه يقول «من يقرض غير ظلوم ولا جهول حتى يتفجر الفجر»[1].

واعلم أنه لما ثبت بالقواطع العقلية والنقلية أنه تبارك وتعالى منزه عن الجسمية والتحيز والحلول أمتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه بل المعني به على ما ذكره أهل الحق دنو رحمته ومزيد لطفه على العباد وإجابة دعوتهم وقبول معذرتهم كما هو دأب الملوك والكرماء والسادة الرحماء أذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين فقرأ مستضعفين

«**ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ**»: بل كل وقت تاب العبد فيه توبة نصوحاً تاب الله عليه.

---

(١) حيث يروي القوم في مصادرهم ما هو بعيد عن الله تعالى؛ وقد يخفى عليهم قول النبي صلى الله عليه وآله؛ فعن علي عليه السلام: قال: «ستكون عني رواة يروّون الحديث، فاعرضوه على القرآن، فإن وافق القرآن فخذوه، وإلا فدعوه»، يُنظر: الكافي للشيخ الكليني: ج١ هامش ص٦٦؛ المقنعة للشيخ الصدوق مجملاً في: هامش ص٣١٢؛ كنز العمال للمتقي الهندي: ج١ ص١٧٦؛ وعن ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق حديث آخر عن علي عليه السلام؛ حول عرض الحديث على القرآن؛ وفي مثل حديث نزول الله عز وجل إلى سماء الدنيا؛ نجد الخلاف واضح وذلك لقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ والعجيب أن رواة هذا الحديث، ومصادره ليس بالقليل مع صريح مخالفته للقرآن، فقد روي عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأغر، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه كما ورد في المُصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج١٠ ص٤٤٤؛ وكذلك ورد في مسند أحمد بن حنبل في مسنده: ج٢ ص٢٦٥؛ وفي سنن الدارمي: ج١ ص٣٤٧؛ وعلل بعضهم الحديث بأن النازل هو أمر الله تعالى فقالوا: ينزل ربنا بمعنى ينزل أمره، وهو حسن بعض الشيء ولاكن لا يغطي زيف الحديث، مع مخالفته للنص من قوله تعالى {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} سورة الشورى: الآية ١١، فتأمل.

وفي الخبر أن يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن قبول التوبة هذا على تقدير لم يمنعك من التوبة وقيل معناه لم يمنعك من الرزق بل العبد يذنب والله يعطي والإساءة من التوبة نقصها.

«**ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ**»: العقوبة ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1].

«**ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ**»: أي لم يكشف مساوئك عند الخلق لما يكشف مساويك عند الخلق لما كشفت مساوئك للخالق وأعلم أن الله تعالى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويكشف الكروب ويكفي الخطوب كل ذلك فظلاً وإنعاماً ولطفاً وإكراماً.

[2]«**ولَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ**»: الرجوع كما شدد التوبة على بني إسرائيل.

«**ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ**»: أي لم يستقص في حسابك بالدم.

«**ولَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ**»: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾[3] «**بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ**»: ورجوعك عنه.

«**حَسَنَةً وحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً**»: أي عدها سيئة واحدة.

«**وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً**»: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[4] في الحُسن

---

(١) سورة النحل: ٦١.

(٢) ورد في بعض متون النهج: بِكَ أَوْلَى.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٣ .

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

كما أعطى إلى السلطان عنقود عنب يعطيه ما يليق بسلطنته لا قيمة العنقود ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها في القبح فمن كفر خُلد في النار فأنه ليس أقبح من الكفر كمن ساء إلى سلطان بقصد قتله ومن فعل معصية عُذب بقدرها كمن أساء إلى آحاد الرعية.

«**وفَتَحَ لَكَ بَابَ المُتَابِ**»: التوبة حيث شأت تأتي لك أنى شأت قبل أن يعز عز ويرى بأس الله لقوله تعالى ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[1].

[2] «**فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وإِذَا نَاجَيْتَهُ**»: ناجى الله أي تضرع وتحنن بالدعاء وقيل المناجاة رفع الحاجات بلسان العجز واضطراب.

«**عَلِمَ نَجْوَاكَ**»: سرك ثم أمره بأمور أبرزها في معرض الأخبار وجعلها واقعة للاهتمام بشأنها فقال:

«**فَأَفْضَيْتَ**»: انتهيت.

«**إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ**»: أي أظهرت له حال نفسك يقال: بث الخبر وأبثّه بشره.

«**وشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ**»: جمع الكرب وهو الغم الذي يأخذ بالنفس لشدته.

«**واسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ**»: فاستعينوا بالله من استعان بغير الله في طلب فأن ناصره عجز وخذلان.

---

(١) سورة غافر: الآية ٨٥.

(٢) ورد في بعض النسخ: وبَابَ الِاسْتِعْتَابِ.

«**وسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ**»: فأنها نعم جليلة والمعطي بها هو الله الجليل ثم زاد في عد نعمه عليه فقال:

«**ثُمَّ جَعَلَ اللهَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ**»: جعل الأدعية كالمفاتيح فأنها تفتح بها أبواب الرحمة كما يفتح بالمفاتيح أبواب الخزائن فاستعار له لفظ المفاتيح وجعل استفتاحه بالدعاء كاستفتاح الخزائن متى شاء من يديه مفاتيح الخزائن فالاستعارة في المصدر التصريحية وفي الفعل التبعية.

«**فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ واسْتَمْطَرْتَ**»: طلبت المطر «**شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ**»: جمع شؤب وهو الدفعة من المطر وغيره.

«**فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ**»: فلو غير العبد نيته لا يستجيب دعوته وفي الخبر يستجاب العبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وما لم يستعجل قيل يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال: «يقول العبد قد دعوت وقد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[1].

«**ورُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ**»: وفي الخبر افضل العبادة انتظار الفرج أي افضل الدعاء أن تستبطأ الإجابة فينتظر الداعي الفرج والإجابة فيزيد في خضوعه وخشوعه وعبادته التي يحبها الله تعالى وأعلم أن تأخير الإجابة أما لأنه لم يأتي وقتها فأن وقتها لكل شيء وقتاً وأما أنه لم يقدّر في الأزل قبول دعائه في الدنيا ليعطي عوضه في الآخرة وأما أن

(١) فتح الباري لابن حجر: ج١١ ص١١٩؛ وكذلك في تحفة الأحوذي: للمباركفوري: ج ٩ ص ٢٣٣؛ وأيضاً في تفسير (أبن كثير) لابن كثير:ج: ١ ص: ٢٢٥.

يؤخر القبول ليلح ويبالغ فيها فأن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء وفي كلامه عليه السلام تنبيه على أن الداعي ربه ينبغي أن يكون على يقين بأن الله تعالى يجيبه وذلك لأن رد الدعاء أما لعجز في أجابته وأنه تعالى جلا جلاله عالم كريم قادر لا مانع من الإجابة واعلم أن الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

«**ورُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تؤتياه**»: أي تعطاه «**وأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا**»: في الدنيا «**أَوْ آجِلًا**»: في الآخرة «**أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ**»: أرد أن الله سبحانه عالم بما يليق بعبده يسأل شيئاً ويصرف عنه للذي هو خير له «**فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ**»: فلم تأته لذلك وإذا تبينت أن الدنيا وقيانها في معرض الزوال وينبغي على صاحبها الوبال إذا امسك أو صرف في غير وجه الله كما نبه عليه، عليه السلام في الخطب السابقة ثم نبه على شأنه ليسعى إلى رفعة مكانه ويرغب عن الدنيا وفيناتها وينظر بعين البصيرة عقباتها فقال:

«**فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ ويُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ**»: أي لا يجلس على وجه بقائه غبار الفناء ولا يحوم حوله شائبة الوبال بخلاف قينات الدنيا فأنها تفنى ويبقى على صاحبها الوبال إذا أمسك أو صرف في غير وجه الله كما نبه عليه عليه السلام في الخطب السابقة ثم نبهم على شأنه ليسعى إلى رفعة مكانه ويرغب عن الدنيا وقيناتها وينظر بعين البصيرة عقباتها فقال:

«**واعْلَمْ**[1] **أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا ولِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ ولِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ**»: هذه اللامات لامات العاقبة.

«**وأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ**»: يقال: هو على قلعة أي رحله وهذا منزل قلعة بالضم

(١) ورد في بعض متون النهج: يَا بُنَيَّ.

أي ليس بمستوطن.

«**ودَارِ بُلْغَةٍ**»: البلغة ما تبلغ به العكس أي يكتفي ودار بلغة أي الدنيا تبلغ منها إلى الآخرة «**وطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ**»: قد سبق وجه استعارة الطريق له.

«**وأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ**»: مطروده والطرد الأبعاد والطريدة ما طردت من صيد وغيره.

«**الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ**»: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[1] والهارب ما أعدى مراكب القوى في بيداء المعصية ونام على وسائد الغفلة وترك زمام أمره في يد الشيطان فيتباعد عن الله المنان ويفر عن الموت.

«**ولَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ**»: وهم الذين طهرهم الله عن الأرجاس والأدناس لا يفرون عن الموت بل يفرون من الناس إذا الموت حسر يوصل الحبيب إلى الحبيب كما سبق ذلك مثل.

«**ولَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلِكَ**»: والتحديث شيء فيغير عما حرمت به، أراد أن الشخص يفعل معصيته ثم إلى التوبة له انشراح صدره في الجملة بملاحظة مضرتها ووبالها؛ ثم الشيطان يوسوس ويغفل عن ذلك.

«**فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ**»: إشارة إلى قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «أن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه فأن تاب واستغفر صقل قلبه وأن زاد زادت حتى تعلوا قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ

(١) سورة النساء: الآية ٧٨ .

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1] وتوضيحه أن المعني القصد الأول في التكليف بالأعمال الظاهرة فالأمر بمحاسنها والنهي عن مقابحها هو ما يكتسب النفس منها من الأخلاق الفاضلة، أو الصفات الذميمة، فمن أذنب ذنباً أثر ذلك في نفسه وأورث لها كدورة ما فأن التحقق وتاب عنه زال الأثر وصارت النفس مصقولة صافية وأن أنهمك فيه وأصر عليه زاد الأثر وقسا في النفس وأستعلى عليها وصار من أهل الطبع وذلك الأثر المستعلي ما عبر عنه تعالى بقوله: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[2] أي غلب واستولى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الذنوب وشبه النفس باقتراف الذنوب بالنكت السوداء من حيث أنهما يضادان الجلا والصفا.

«**يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ**»: فأن الذاكر لا يستمر على الركون إلى الشهوات ويستعلي عما يجب عليه من التزود لدار القرار وأنشد الإمام زين العابدين عليه السلام:

فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ... ويا أمناً من أن تدور الدوائر
على خطر تمسي وتصبح لاهياً ... أتدري بماذا لو عقلت بخاطر
تخرب ما يبقى وتعمر فانياً ... فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر[3]

---

(١) سورة المطففين: الآية ١٤: والحديث ورد في مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٢٩٧؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٢ ص٥١٧؛ السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي: ج١٠ ص ١٨٨؛ شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي: ج ٥ ص ٤٤٠؛ إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٣ ص ٦٥٦.

(٢) سورة المطفيين: الآية ١٤ .

(٣) الصحيفة السجادية: ص ٥٠٥.

«**وذِكْرِ**»: وأكثر «**مَا تَهْجُمُ**»: تدخل: «**عَلَيْهِ وتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ**»: أهبتك «**وشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ**»: ظهرك شبه أخذ الأهبة للموت بالمشدد ظهره بأهبته السفر فأستعار في المصدر ثم سرى في الفعل وهو كناية عن كمال الأخذ.

«**ولَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ**»: يغلبك.

«**وإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وتَكَالُبِهِمْ**»: تواثبهم «**عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ**»: خبرك «**اللهُ عَنْهَا**»: دنيا إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

«**ونَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا**»: يعني أخبرتك بفنائها وروي نعت أي كشفت والفاعل حينئذ هو الله «**وتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا**»: عيوبها «**فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ**»: صائحة «**وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ**»: مفقودة للصيد هذا تشبيه بليغ ولقد احسن بهذا التشبيه في مقام التوبيخ ثم بين وجه التشبيه بقوله:

«**يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ويَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ويَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا**»: والهرير كما عرفت صوت الكلب دون نباحه، من قلة صبره أما أستعمل في المطلق مجازاً أو استعير للصوت الصادر من أهل الدنيا لذي المخاصمة والمناقشة وأكل ما حقيقته عزيز عليهم، والمراد به أكل المال.

«**نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ**»: ذات عقال: «**وأُخْرَى مُهْمَلَةٌ**»: أي أهل الدنيا بعضها بمنزلة الكلاب والذئاب لحرصها وقلة حياتها وبعضها كالنعم وهي الإبل والبقر والغنم

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

ويقال: للمواشي النعم أذلاء إذا كان فيها بعير وعقل البعير أن يثنى وظيفه مع ذراعه فيشدهما جميعاً في وسط الذراع وذلك الحبل هو العقال جعل أهل الدنيا على نوعين معقلة هذا الضرب وأخرى مهملة ثو وصفها فقال: «**قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا**»: أي لم تجد عقلاً لأنفسها كأنها ضلت عنه «**ورَكِبَتْ مَجْهُولَهَا**»: أي دخلت في موضع تجهيلها.

«**سُرُوحُ عَاهَةٍ**»: آفة سرج الماشية رعت بالغداة.

«**بِوَادٍ وَعْثٍ**»: سهل كثير الدهس تغيب فيه الأقدام ويشق المشي فيه.

«**لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ولَا مُسِيمٌ**»: راع «**يُسِيمُهَا**»: يرعاها، شبه أهل الدنيا بالنعم على تلك الصفات في أنه يرعى أياماً قليله من مزرع الدنيا ويترك عنان الطبيعة في يد الهوى ويعرض عن ذكر المولى؛ فأن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ينزل عليه وفد الشدائد ومع ذلك فلا يتركها ولا ينظر إلى مال حاله وأحواله الآخرة وأهواله كالسائمة بها وإلى ذلك أشار بقوله: «**سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا واتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ ولَعِبُوا بِهَا ونَسُوا مَا وَرَاءَهَا رُوَيْداً**»: نصب على المصدر أي أمهلوا وارفعوا.

«**يُسْفِرُ الظَّلَامُ**»: ينكشف ويتجلى إذا حان أوانه يريد فيها في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أذا أخرج يده لم يكد يراها لكن ترتفع تلك الظلمات وتزول، تأتيك الشبهات بإشراق صبح يوم وأي يوم، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[1]

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على أنفسهم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1].

«**كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ**»: أن مخففة من الثقيلة أي نحن مسافرون:

«**كأن يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ**»: أراد أن العبد يسرع إلى فناء الفناء والمسرع إلى الشيء يوشك أن يلحق به فيوشك أن يكون العبد كذلك وأشار إلى المقدمة أولاً بقوله:

«**واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وإِنْ كَانَ وَاقِفاً**»: قد سبق وجه استعارة المطية: لليل والنهار.

«**ويَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً**»: ساكناً من الدعة وهي الراحة وقد مر أيضاً وجه إطلاق المسافة والقطع وأما المقدمة الثانية فلأن كل ما هو آت فهو قريب إلا أن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد؛ ثم أحكم أركان ما بناه في ساحة خاطرة من الرغبة عن الدنيا والانهماك في طلبها والاعتصام بحبل الأمل ثم احكم أركان ما بنا في ساحة خاطرة من الرغبة عن الدنيا والانهماك في طلبها والاعتصام بحبل الأمل فقال:

«**واعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ ولَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ**»: لا تتجاوز أبداً وقت موتك.

«**وأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ**»: أما الأول فلأن الشخص بحسب الخيال يأمل أشياء كثيرة من المال وغيره دائماً وقد لا يقع ذلك أصلاً وأن حصل فعدم الزوال وأمله محال وأما الثانية فلقوله عز من قائل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

«**فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ**»: أي هون وسهل.

«**وأَجْمِلْ فِي المُكْتَسَبِ**»: أي الاكتساب أما لأول أي لا تتجاوز عما يفتقر أليك وكل من كسب يدك ولا تطلب الزيادة.

«**فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ**»: أخذ المال من الغير وتركه بلا شيء على وجه السلب وفيه مفاسد كثيرة دنيوية وآخروية وفي الخبر من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فأنه يطوقه يوم القيامة سبع أرضين، أما الطوق التقليد وأما طوق التكليف.

«**ولَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ**»: كل ما يطلبه «**ولَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ**»: ممنوع الرزق أراد بسلب الكل، كل سلب مجازاً فتأمل «**وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ** خساسة.

«**وإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ**»: جمع الرغيبة وهي العطاء الكثير.

«**فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ**»: لن تأخذ العوض «**بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً**»: من ارتكاب الخساسة هو مثل أراقة ماء الوجه بالسؤال وفي الخبر لأن لأحدكم جبلة فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبتاعها؛ فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه، ندب إلى ترك السؤال: «**ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً**»: يعني أن السائل مغلوب والمسؤول عنه غالب عليه كما أن السيد غالب عبده وهو مغلوب في تحت تصرفه روي أنه عليه السلام سمع يوم عرفة رجلاً

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

يسال الناس فقال: أفي هذا اليوم وفي هذا المكان يسأل غير الله فحققه بالدرة ومقصوده أن السؤال من غير الله منكراً لا سيما في يوم الحج الأكبر وفي مكان يجتمع فيه وفد الله وزوار بيته ثم أستفهم عل سبيل الأنكار ليتقرر ما أمره في قلبه مزيد القرار فقال:

«**وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ**»: أي خير خير «**لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ**»: وأي «**يُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ**»: ولك أن تلبسه بصورة البرهان فتقول سلوك سبيل المتعال وفراغ البال والاعتراض عن السؤال وفي هذا الكلام ترغيب في ترك السؤال وأن السؤال مع الحرص يفضي إلى الشقاوة لا إلى السعادة، وأن السائل يقصد اليُسر بعبارات رائقة أنيقة أشارة إلى أن بني آدم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه، وأن لا يشبع منه إلا من عصمه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم هذا ما سنح لي في ابتداء النظر واعلم أن بني آدم مخلوقون من التراب، ومن طبيعة القبض والتبين فيمكن زالته بأن يمطر الله سبحانه، وتعالى عليه السحائب من غمائم توفيقه فيمر حينئذ الجلال الزكية والخصال المرضية، والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا فمن لم يتداركه التوفيق ويترك الحرص لم يزدد إلا حرصاً وتهالكاً على جمع المال.

«**وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ**»: موارد «**الْهُلَكَةِ**»: أي أحذر أن يلقيك الطمع في الهلاك وإياك أخص بهذه الوصية فهذا تقدير الكلام وأمثاله وإلا يخاف السير السريع ولما كان من حسن التعليم والتأديب أن يقدم الأسهل فالأسهل لأجرم أخر عليه السلام ندبه إلى التوكل عما ندبه إليه سالفاً مشيراً غلى صعوبة هذه المرتبة بقوله:

«**وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ**»: نصيبك «**وآخِذٌ سَهْمَكَ**»: نصيبك قال: صلى الله عليه [وآله] وسلم «أن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»[1] «**وإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ**»: بغير واسطة ذي نعمة «**أَكْرَمُ وأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ**»: فلأن فيه البركات تجذب إلى الطاعات وتبعد عن الشهوات ثم يصقل المرآة وما من الخلق فيها الآفات لا يخلوا عن الشبهات وتجذب إلى الشهوات وفي الخبر أن رجلاً دخل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت أمرئته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى الثور فسخرته؛ ثم قالت أرزقنا فنضرت فإذا الحقة قد امتلأت وذهبت إلى الثور فوجدته ممتلياً فرجع الزوج قال أصبتم بعدي شيئاً؟ قالت نعم من ربنا وقام إلى الرحى فذكر ذلك إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: «ما أنه لو لم يرفعها لم يزل تدور إلى يوم القيامة»[2].

وتَلَافِيكَ: تداركك **مَا فَرَطَ**: قصر **مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ**: أسهل **مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ**: فيه ترغيب إلى السكون ومثل هذا الكلام الصادر عنه عليه السلام من جوامع الكلم وجواهر الكلم الحكم ولا يعرف ما تحت كلامه من بحار المعاني إلا خواص العلماء.

وحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ: صار مثلاً والمراد هنا أن ما في القلب، أريد أن لا يطلع عليه غيره مما سوى الله العالم بخفيات الصدور وجب أن يحفظ اللسان

---

(١) السُنة لأبن أبي عاصم في السنة: ١١٧؛ أوصحيح ابن حبان: ج ١ ص ٣١؛ مورد الضمآن للهيثمي: ج ٣ ص ٤٢١؛ مجمع الزوائد: للهيثمي: ج ٤ ص ٧٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي:ج ٨ ص ٤٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٥١٣؛ مجمع الزوائد لهيثمي: ج ١٠ ص ٢٥٦؛ تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤١٠؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢ ص ١٧٠.

فأنها آلة تلف الإنسان ومظهر مكنون الجنان وحفظ ما في يدك من التوكل على الله وترك السؤال والتعظم في أعين النساء والرجال وعلو الشأن والحال.

[1]**أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ**: من المال من أهل العوانة في الحفظ والمضراب في الطلب.

ومَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ: فأنها مرارة اليأس واحدة وفيه مرارات كثيره.

والْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ: الحرفة بكسر الراء الصناعة وبضمها الحرمان والفقر وكلا المعنين مناسب هنا فأن الكاسب حبيب الله وأن أولم في الدنيا فإيلامه قليل بالنسبة إلى إيلام الفاسق في العقبى وهو ظاهر وأما الحرمان فهو كذلك أيضاً، هذا والفقر مع العفة ينبوع المكرمات في الدار الآخرة قال صلى الله عليه [وآله] وسلم «في الدينا أربع: موسع عليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة، وهو الغني الصالح الشاكر، ومقتور عليه في الدنيا مقتور عليه في الآخرة وهو الكافر الفقير، وموسع عليه في الدنيا مقتور عليه في الآخرة وهو الكافر الغني، ومقتور عليه في لدنيا موسع عليه في الآخرة وهو المؤمن الفقير الصابر»[2] وفي الخبر أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه.

«**والْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ**»: يريد أن المرء يرى ما يوضع في صندوق قلبه وحسنه وقبحه ولا يبرزه مالم يبرز له أن الصواب إبرازه وإظهاره وعن الحسن عليه

---

(١) ورد في بعض متون النهج: وحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج ٨ ص ١٦٤؛ وفي مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ٣٢ بعبارة مختصرة؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٨٧؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج١٠ ص ٢٣٥؛ مورد الضمآن للهيثمي: ج١ ص ١٣٣؛ صحيحة ابن حبان: ج ١٤ ص ٤٥.

السلام قال صلى الله عليه [وآله] وسلم «لسان الحكيم من وراء قلبه»[1].

«**ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ**»: لقصوره فيه أو لتقصيره في البحث عن عاقبته وأهل الدنيا كذلك إلا من عصمه الله وقليل ما هم «**مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ**»: من الإهجار وهو ا لإفحاش في المنطق إشارة إلى ما قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به»[2].

«**ومَنْ تَفَكَّرَ**»: في الأمور من حيث الصدور وعدمه «**أَبْصَرَ**»: يبصر البصيرة الصواب عن غيره بحسب قوته العاقلة ولأن في كل جديد لذة أظهر عليه السلام هذه النصائح في صور الأخبار إيماناً بشأنها.

«**قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ**»: يعني أن مقارنتهم مؤثر في المقارن تكون كتكونهم وتلونه كتلونهم وفيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «هم القوم لا يشقى جليسهم»[3] وقيل معناه أن المقارن تعد في الألسن منهم.

«**وبَايِنْ**»: باعد «**أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ**»: أي تبعدهم وتميز منهم خلاصة الكلام أن مجالس أهل الخير يكسبه وقد يرتقي على معارج القدس ويرتع في رياض الأنس ألا يرى أن من عقد منطقه كيف فتح الله عليه أبواب فتوحه، ومن قارن بيضاء سماء الولاية وأقتبس الأنوار من مكنونها، كسا الله بنوره مهجته، وتقارن أهل

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج ٨ ص ٣١١؛ الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص٢٢٠؛ شعب الأيمان لأحمد بن الحسين البيهقي ج ٤ ص ٢٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٢١؛ وكذلك في الميزان: ج٣ ص٣٢٥؛ لسان الميزان لابن حجر: ج١ ص٣٦؛ أرشاد القلوب للحسن بن محمد الديلمي: ج١ ص١٠٤.

(٣) أرشاد القلوب لابن أبي عاصم ص٥٩؛ فتح الباري لأبن حجر: ج١١ ص١٧٩؛ صحيحة ابن حبان لأبن حبان: ج٣ ص١٤٠؛ شرح السير الكبير للسرخسي: ج١ ص١٨؛ إحياء علوم الدين للغزالي: ج٣ ص٥٣٨؛ الفتوحات المكية لابن عربي في ج١ ص٧١٣.

الشر تأخذ منه اعمال الشر سراعاً لأن عليها بواعث الطبع وهم شياطين الأنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ومن هذا القبيل كثير لا يحصى ولا يستقصى.

«**بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ**»: فأن في الحديث أن من أكل لقمة من الحرام لا تقبل صلواته أربعين ليلة.

«وإيما لحم نبت من الحرام فالنار أولى به»[1].

«**وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ**»: لأنه أشد للظالم عذاباً وعن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خبراً عن الله تعالى «اشتد غضبي على من ظلم أحداً لا يجد ناصراً غيري»[2].

[3] «**إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً**»: أي إذا كان الرفق في الأمر غير نافع فعليك بالخرق وهو العجلة وإذا، وإذا كان الخرق أي العجلة غير نافع فعليك بالرفق والمراد بذلك أن يستعمل كل واحد من الرفق والخرق في موضعه فأن الرفق إذا استعمل في غير موضعه كان خرقاً والخرق إذا استعمل في غير موضعه كان رفقاً، وقريب من هذا المعنى قوله عليه السلام:

«**رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُ دَوَاءً ورُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وغَشَّ**»: خان «**الْمُسْتَنْصَحُ**»: أي الذي طلب منه النصح أراد أن الشخص ينبغي أن ينظر إلى قول

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: هامش ص٤٠٠؛ إحياء علوم الدين للغزالي: ج٥ ص: شرح ص: ٢٣.

(٢)الأمالي للشيخ الطوسي: ص٤٠٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي ج٤ ص٢٠٦؛ المعجم الصغير للطبراني: ج١ ص٣١؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري: ج٣ ص٣٠٨.

(٣) ورد في بعض متون النهج: أَفْحَشُ الظُّلْمِ.

القائل لا إلى ذاته ثم يعمل بمقتضاه فلو نصح عدو له فليقبل.

«**وإِيَّاكَ والِاتِّكَالَ**»: الاعتماد «**عَلَى المُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى**»: الحمقى فأن الأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء وهو تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وضن ويكون عن رؤية وبناء على أصل لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له قال عز من قائل: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[1] ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾[2] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾[3]، فلن يعتمد كامل العقل عليها.

«**والْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ**»: وفيه مبالغة لطيفة فأن العقل على ما قاله أهل العلم جوهر مضيئ خلقه الله تعالى في الدماغ، وجعل نوره في القلب يدرك الغايات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة، وأقول هذا قريب مما قاله أهل التفسير من أن العقل نوع علم يستبان به العواقب ويترك به القبائح وفيه ترغيب إلى حفضها لما فيها من المنافع الكثيرة.

«**وخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ**»: فأنه جالب إلى الزهد في شجرة ثمرتها الويل والمضرة وهي جمع المال من الحرام والحلال.

«**بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً**»: أي قبل أن يفوت فيصير غصة لك وحسرة عليك.

«**لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ**»: فأن من طلب شيء لم يكتب القلم الإلهي له لا

---

(١) سورة النجم: الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٣ .

(٣) سورة الجمعة: الآية ٧.

يصيبه وفي الخبر كل شيء بقدر حتى العجز والكيس.

«**ولَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ**»: فأن من الغائب من أثبت في اللوح المحفوظ عدم رجوعه فينبغي للعاقل أن لا يحزن على ما فاته من الدنيا.

«**ومِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ ومَفْسَدَةُ الْمَعَادِ**»: أي إفساد المرجع فأن الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قيلاً كأن الخروج عنه أم كثير ويضاده الصلاح وظاهر أنهما بالنسبة أليهما فساد فأن الصلاح في ادخار الزاد ليوم المعاد، وقد رَغبنا عليه السلام في هذا مراراً كثيرة.

«**ولِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ**»: فيه إشارة إلى الإيمان بالقدر روي ان شيخاً قام إليه عليه السلام بعد انصرافه من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله تعالى وقدره فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلا بقضاء وقدر فقال: الشيخ عند الله أحتسب عنائي ما أدري لي من الأجر شيئاً فقال: مه أيها الشيخ عظم الله أجركم في المسير وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصورون ولم تكونوا في شيء من حالكم مكرهين ولا إليها مضطرين فقال: الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا فقال: ويحك لقد ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم يأتي لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى من الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها أن الله أمر تحذيراً ونهي تحديداً أو كلف يسيراً لم يعص مغلوباً ولم يطع مكرماً ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينها باطلاً ذلك ضن الذين كفروا فويل للذين كفروا من

النار فقال: الشيخ ما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما قال: هو: الأمر من الله تعالى والحكم ثم تلا قوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[1].

«**التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ بنفسه**»: وماله أراد أن العبد في الدنيا تاجر وهو في محل الخطر بنفسه وماله فلا تغفل لمحة من حاله فأن المشتري بأحواله عالم ولا يقبل إلا الجيد من أعماله وأقواله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

«**ورُبَّ يَسِيرٍ**»: قليل «**أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ**»: وهوما كسبه العبد بوجه جميل ويصرفه فيما يرضى به الجليل فأنه أكثر بركة من مال أُخذ بوجه غير شرعي وصرف فيما ليس بمرضي.

«**لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ**»: ناصر «**مَهِينٍ**»: بفتح المين الذليل وبضمها المذل؛ فأن الذليل لا يقدر على ما يريد والمذل نصره لا يفيد فلا خير بالقياس إلى المستعين، وفي هذا تنبيه على ان الملتجئ أن ينظر بعين اليقين شان الملتجئ بالنسبة إليه ولا يتكل على ظاهر حاله عليه والمعين المذل من أعانة في أمر الدنيا.

«**ولَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ**»: بالطاء المتهم وبالضاد التخيل وكلاهما فلأنه يبخل بما يليق بحال الشخص وقد يلقى إلى التهلكة وسلب الخيرية للمبالغة.

«**سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ**»: ما بمعنى المدة قال: أبو عبيدة القعود البعير يقتعده الراعي في كل حاجة استعار القعود للدهر وهي ملاحظة لشبهة به من حيث أن كلاً منهما توصل إلى المطلوب ورشحها بالمساهلة وهي كناية عن أخذ

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦ .

الوسط في الأمور لا الإسراف ولا التقتير وأمثال هذه الكلمة من جوامع الكلم وهي خزائن كنوز المعاني والقوة البشرية لا يفي بإحصائها واستقصائه.

«**وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»: فأنها مذمومة شرعاً وعقلاً أذا الاتكال على الرجاء من بضائع النوكى.

«**وإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ**»: أي أحذر أن يغلب اللجاج وإياك أخص بهذه النصيحة فتدبرها وأكثر ما يقال للفرس الجموح إذا أغبر فارسه ووجه الاستعارة أفضاء كل منهما بصاحبه إلى مكروه، واللجاج التمادي والعناد في تعاطي الفعل المرحوم عنه وهي تورث العداوة وغيرها من المضرات ثم أمره بمكارم الأخلاق لا يؤتى إلا من خص بمزيد الآلاء من الأخلاق منها الصلة قال عليه السلام:

«**احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ**»: قطعه.

«**عَلَى الصِّلَةِ**»: كناية عن الإحسان وغيره من أنواع البر فكان الشخص بالبر قد وصل ما بينه وبين القاطع من علاقة المحبة وقد ورد فيه أحاديث كثيرة.

مثل قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم لا «يدخل الجنة قاطع»[1] «لا يحل للمرء أن يهجر أخاه فوق ثلاث وعند ثلاث»[2].

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج١١ ص١٧٠؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٨٠؛ سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني: ج ١٢ ص ٣٨٢؛ السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي في ج ٧ ص ٢٧؛ فتح الباري لابن حجر في ج١٠ ص٣٤٧؛ مسند أبي يعلى الموصلي في ج١٣ ص ٣٨٥.

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج٨ ص٤٤٥؛ المصنف لأبن أبي شيبة الكوفي: ج٦ ص٩٤؛ شعب الأيمان لأحمد بن الحسين البيهقي: ج٢ ص٧٥.

«**وعِنْدَ صُدُودِهِ**»: أعراضه «**عَلَى اللَّطَفِ والمُقَارَبَةِ**»: قريب مما قبله فإن الإنسان عبيد الإحسان، والتعبير بهذه العبارة أشاره إلى أن ذلك وإن كان ثقيلاً إلا أن فيه أثراً جميلاً.

«**وعِنْدَ جُمُودِهِ**»: بخله وجه الاستعارة أن كلاً منهما سبب عدم ما يراد من أمطار الفيض.

«**عَلَى الْبَذْلِ وعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ وعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ**»: أراد أن الحَسن حسَن الخُلق، قال عليه السلام: فأن الخلق في الجنة لا محال وأياكم وسوء الخُلق فأن سوء الخُلق في النار لا محال.

روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلوات الله عليه: يا عيسى أو صيتك بأربع أشياء إذا انت فعلتهم أثبت لك جناحين من ذهب تطير بهما مع الملائكة في الجنة:

كن حليماً في الأرض كالأرض يعصى عليها ولا تبتلع أحداً، مؤاتياً كالماء يسيل حيث يسال، وكن شفيقاً كالشمس تضيء البر والفاجر وكن متواضعاً كالنوم يخفض رأسه ولا يرفعه وعنه عليه السلام: «أن حُسن الخلق يذيب الذنوب كما يذيب الماء الملح»[1] ولله در من قال:

يامن بذل بحسن خُلقه ... حُسن الفتى في حَسْن خُلقه
فالحُسْن في خُلق الفتى ... فيه دلائل طيب عرقه[2]

---

(١) الحديث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ الغازي لداوود بن سليمان: مسند الإمام الرضا: ص٦٥، باختلاف يسير؛ وأورده محمد السبزواري في: معارج اليقين في اصول الدين: ص٢٩٠.

(٢) لم أعثر على مصدر للقائل ولعله من المصنف.

«**حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ**»: أي سيسلك ذلك السبيل الجيد حتى تصير كالعبد وسيء الخلق كالسيد؛ ثم نبه على أن لذلك أهل ومقام ومن يجاوز عنه تلام فقال عليه السلام:

«**وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ**»: لأنه يتلوا عليك مذامه فتورث المعاداة بينكما.

«**لَاتَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ**»: لأنه يتلوا عليك مذامه فيورث المعاداة بينكما «**وامْحَضْ**»: أخلص «**أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً**»: اعلم أن النصيحة لا تكون قبيحة فأنها الأمر بالأقبال على إتيان صحاح الأعمال، وبيان تبع الدنيا وبرهان شري العقبى والاطلاع على حفظ الطرائق لاقتباس أنوار الحقائق فلا يكون قبيحة ولاكن ربما يستقبحها السامع ويستقلها لصعوبتها، وقيل معناه أخلص نصيحته بسبب فعل حَسَنْه كانت تلك النصيحة، أم سبب خصلة قبيحة[1].

«**وتَجَرَّعِ الْغَيْظَ**»: قد عرفت وجه استعارة التجرع لكظم الغيظ «**فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً ولَا أَلَذَّ مَغَبَّةً**»: عافية وفي الخبر من كظم غيظاً وهو يقدر على أتقاده ملأه الله تعالى أمناً وإيماناً «**ولِنْ**»: من اللين «**لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ**»:

---

(١) والظاهر من سياق العبارة أن معناه فالتكن الأفعال الحسنة لصديقك هي في الحقيقة نصيحة عملية، وأن المؤمن يصمت بلسانه وتتكلم عنه أفعاله كما أوصى الأمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام «كونوا لنا دعاة صامتين» شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٢ ص٥٠٦؛ دعائم الإسلام كذلك للقاضي النعمان: ج١ ص٥٧.

يا طالب الرزق السني بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف
أكل العقاب بقوة جيف الفلا ورعي الذباب الشهد وهو ضعيف[1]

«**وخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ**»: بالأفضال عليه «**فَإِنَّهُ أَحْد الظَّفَرَيْنِ**»: فأن الظفر أما بالسنان وأما بالإحسان حكي أن ذي القرنين قال لأستاذه أرسطو طاليس: أنصح لي قال ملكت البلاد بالفرسان فاملك القلوب بالإحسان.

«**وإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ**»: أي ندم «**يَوْماً مَا**»: من الأيام أراد أن رعاية الصلة واجبة بقدر الإمكان فأتها تجري ينبوع المحبة والعرب تقول للقطيعة: يئس قال الشاعر:[2]

فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فإن الذي بيني وبينكم مثري

«**ومَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ**»: من صدقت فلاناً نسبته إلى الصدق ووجدته صادقاً أي لو قال أني أضن بك خيراً فلا تكذبه في ضنه فأن من شأن المؤمن أن لا يكذب ولا تكذب ويحتمل أن يكون من صدق فعله ويكون كناية أي أعمل كما ضنه ولا تضنن به.

«**ولَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا**»: استناداً.

«**عَلَى مَا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ**»: من الأخوة والمحبة.

---

(١) اختلفوا في قائل البيتين: وقيل هي لأبي العلاء المعري: كما قاله: كمال الدين دميري في حياة الحيوان الكبرى: ج١ ص ٤٩٠.

(٢) الشاعر هو: جرير يُنظر الأمالي لإسماعيل بن القاسم القالي: ج١ ص ٩٤ .

«**فَإِنَّهُ**»: الشأن «**لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ**»: فأنه يورث الشحناء ويستر الصداقة والأخوة والمحبة والناس في ذلك على مراتب كثيرة وقيل معناه أن الأخوة يقتضي أن لا يضيع حقه فإذا ضيعته فكأنه لم يكن أخاك.

«**ولَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ إليك**»: أي أكثرهم شقاوة وتعباً بسببك فجد في المعاملة معهم وسط الإسراف والتقتير والأهل يقال: لأهل الرجل وأهل الدار وهنا شامل لهما وفيه إشارة إلى مذمة من يدع أهله في ورطة الوحشة والمجاهدة بدفع الصعاب.

وإرادة أن يرتقي إلى معارج القدس، وهو غافل عن أن المجاهدة الموصلة تجلية لمراء الفؤاد، بصقالة محبة الخلق بعد انقطاع أسباب تعلق الخلق.

«**بِكَ ولَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فَيْكَ**»: أي لا تطلب مودة من يكره محبتك فأنه مذلة عليك ولا تغفل عن قوله، وإياك أن ذلك في غير موضعه كيلا يتوهم أن هذا الكلام منافٍ للأمر بالصلة في ذلك المقام فأنه عليه السلام يضع الهناء مواضع النقب[1].

«**ولَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَى مقَاطِعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ ولَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ**»: فأن في هذه الحال لا يشد الرجل حبل الوصال إلا بتعسر وقد يعتق عتق البعد على أن اللائق بحال الأدنى أن لا يصل إلى الأعلى كالرعية والسلطان.

---

(١) والنُّقْبُ والنَّقَبُ: القِطَعُ المتفرّقَةُ من الجَرَب، الواحدة نُقْبة؛ وقيل: هي أَوَّلُ ما يَبْدُو من الجَرَب؛ قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ:

مُتَبَذِّلاً، تَبدُو مَحاسِنُه ... يَضَعُ الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ:

يُنظر لسان العرب لابن منظور: ج: ١ ص ٧٦٦.

«**ولَا يَكْبُرَنَّ**»: ولا يعظمن «**عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ ونَفْعِكَ**»: حكي أن ظالماً يظلم على ضعيفاً أعواماً فلما طال ظلمه قال المظلوم للظالم: أن ظلمك علي قد طاب بأربعة أشياء: أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والديان يحكم بيننا.

وفي الخبر أن العبد إذا ظُلم فلم ينصره ولم يكن له من ينصره رفع طرفه إلى السماء فدعا الله تعالى قال: جل جلاله لبيك عبدي أنصرك عاجلاً وآجلاً.

«**ولَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ**»: فأن من ساء من أسره باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وأعلم أنه عليه السلام اقتبس النور من مشكاة النبوة فرأى به بعين بصيرته ما كان وما سيكون من الأحوال والأطوار فنظم درر هذه النصائح في النظام لنصيحة الأنام وأن خاطب فلذة كبده عليه السلام.

«**واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ**»: قيل آتيه متعلق بقوله ورزق يطلبك فأما الرزق فمن شرط وصوله إليك أن تطلبه فأن لم تطلبه لا يصل إليك بل يفوتك.

أقول: وإلا ظهر أنه على الأعم، أي هذا الرزق وهو: ما للإنسان، ما أن ينتفع به ليس لغيره منعة منه، وأن لم تكن طالباً له، صرت مطلوب رزقك.

قال: بعض أهل المعرفة: أفضل المقامات في التوكل أن يشتغل بالله ولا يهتم لرزقه لأن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه ولما بين الرزق والطالب استعار الطلب له.

«**مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ**»: التواضع «**عِنْدَ الحَاجَةِ**»: ابو علي الروزناري رحمه الله قال

في معنى قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه»[1] لأن المرء بثلاثة اشياء بقبله ولسانه وبدنه، فإذا تواضع بلسانه ويده ذهب ثلثا دينه، ولو اعتقد له بالقلب بعد اللسان والبدن ذهب كل دينه.

«**والْجُفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى**»: فأن الجافي حينئذٍ ينسى الله ويجري على خلاف ما أمر الله به ويكسر قلب الفقير ولا يشكر اللطيف الخبير.

كما ورد: «كان الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه»[2] كذا قاله النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

«**إِنَّمَا لَكَ مِنْ الدُّنْيَا مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ**»: وما زاد عليه فعليك عن بعض أهل المعرفة أنه قال: الدنيا لعب وما فيها لعب والمشغول بها لا عب لاهي وكل لاهي ساهي وكل ساهي طاغي وكل طاغي في النار قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[3].

«**وإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا يفلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ**»: فات وخرج من يدك.

«**فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ**»: فيه تنبيه على أن الفائت من يدها لا يجزع عليها وهذا يليق بحاله وأن خرج عليها لألفتها ومحبتها وأستدل عليه السلام عليه بقياس شرطي متصل تقريره لو كان الخارج لائقاً بالقلق لكان غير الواصل حقيقاً

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٢٨: ص٥٠٨؛ يُنظر: المبسوط للسرخسي: ج١٦ ص١١١؛ تحف العقول لأبن شعبة الحراني: ص٨ باختلاف يسير.

(٢) يُنظر: السنن الكبرى للنسائي: ج٤ ص٣٠٩؛ وكذلك في المعجم الأوسط للطبراني: ج١ ص٦٣؛ ومثله: في المعجم الكبير للطبراني: ج٥ ص١١٨؛ و علل الدارقطني للدار القطني: ج١٠ ص١٨٦.

(٣) سورة النازعات: الآية ٣٧ – ٣٨ .

به أيضاً وأنت مقربان غير الواصل ليس بحقيق لأن كلاً منهما ليس بيده زمام التصرف فلا يخلوا الاضطراب عليه عن التعسف وإلى وجه الملازمة أشاره بقوله:

«**اسْتَدِلَّ**»: أي طلب الدلالة.

«**عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ**»: أي يتشابه يشبه بعضه بعضاً وذو الجزع جزع على الفائت لعمى قلبه حكي: أنه سرق مال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: اللهم أن كانت حَملّتْه على أخذها حاجة فبارك له فيها وأن حَملّتْه جرأة على الذنب فأجعله أجر ذنوبه والبصير يقول:

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسّرف
فإن تولّت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف[1]

«**ولَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ**: بسبب عقله وهو نور في القلب يفرق الحرق عن الباطل.

«**والْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ**»: فمن لم يتعظ بالأدب صار شبيهاً بالبهائم ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

«**اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ الْيَقِينِ**»: العزائم جمع عزيمه وهي توطين النفس على الصبر وعقده عليها، والصبر ذبح النفس بشفرة الرضا ولا يكون إلا بملاحظة فوائده مثل ما روي عنه عليه السلام عن النبي صلى الله

(١) البيتان: لخلف بن خليفة: عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري في: ج٣ ص٤٤.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

عليه [وآله] وسلم «الصبر ثلاث صبر عن المصيبة، وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائمه كتب الله تعالى له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر على المعصية كتب الله تعالى له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين، قال: والتخوم منتهى كل كورة»[1].

«**مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ**»: الطريق المستقيم «**جَارَ**»: مال عن الصواب والرشد أراد أنهما واحد روي عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خطاً قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه وقرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] الآية ولا تغفل عن تفضيل سبق.

«**والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ**»: يعني ينبغي أن يكون الصاحب مناسباً لك في حسن السيرة وسداد الطريق أي لا يصاحب من يشك صحبه بسوء أخلاقه.

«**والصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ**»: أي إذا غاب عنك حفظ عينك وصدق وده لك ومن لا، هو: منافق.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٢ ص٩١؛ عوالي الئالي لابن أبي جمهور الأحسائي: ج١ ص١١٥؛ فتح الباري لابن حجر: ج١١ ص٢٦١؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري: ج٣ ص٩٣؛ أرشاد القلوب للحسن بن محمد الديلمي: ج١ ص١٢٨.

(٢) مسند أبي داوود الطيالسي: ص٣٣؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٦ ص٣٤٣؛ صحيح ابن حبان: ج١ ص١٨٠.

«**والْهَوَى شَرِيكُ العمى**»[1]: أي عمى القلب بسبب الهوى يلقى في جب الغوى فيكون شريكاً له وفيه تنبيه على ترك متابعة الهوى فأما من خاف مقامه ربه نهى النفس عن الهوى فأن الجنة هي المأوى وفي تركه مراتب كثيرة ومفاوز بعيده.

«**ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ**»: وذلك لأن القرب من الشخص وبعده عنه بحسب المحبة وعدمها فرب بعيد بحسب النسب يكون قريباً منه، ويجالسه ويصاحبه لما بينهما من المودة ورب قريب يكون بعيداً عنه لما بينهما من العداوة ويختلف الناس في ذلك اختلافاً شديداً.

«**والْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ**»: لأنه يقال لكل متباعد وهو متباعد وفيه اشارة إلى الشخص المحسود المتباعد عنه ولو كان بين أقربائه فهو غريب.

«**مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ طريق**»: مَذْهَبُهُ «**ومَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ**»: أي من تجاوز ما يليق بحاله وما في معه وإسراف صادق عليه مذهبه.

«**وأَوْثَقُ**»: أحكم «**سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ الله سُبْحَانَهُ**»: وقد عرفت أنها هي التقوى، وإنما كان أوثق لأنه لا يكسره فأس الأجل ولا يتطرق إليه الخلل وفي المار على الصراط من الزلل ويذهب عنه الخوف والوجل قال عز وجل ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]

«**مَنْ لَمْ يُبَالِكَ**»: لم يلتفت إليك «**فَهُوَ عَدُوُّكَ**»: إي إذا صدر عنك ما يقضي الالتفات لما مر.

«**قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً**»: وذلك إذا كان الطمع هلاكاً وقد عرفت أن الطمع

(١) ورد في بعض متون النهج: والهوى شريك الْعَنَاءِ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣ .

المهلك ماذا[1] «**لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ**»: أي كل ما يستحي منه يظهر للعقول الناقصة بل لا بد من الوسيلة فأن فعل الشيطان يتزين القبيح ويقبح الحسن ويشد أرجل النفوس بالرسن[2].

قال عز من قائل ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] وهو هو وأهل بيته عليهم السلام ولله در من قائل[4]:

«**ولَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ**»: توجد وتدارك يعنى أن الشخص قد يتمكن من العقل بحسب الوقت فإذا فات فقد لا يتيسر له.

«**ورُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ**»: استعار الأعمى للجاهل ملاحظة لشبهه به وذلك بحسب الأسباب وإرادة رب الأرباب.

«**أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ**»: أراد أن العبد حقيق بأنه لا يفعل الشر ويسعى في الخير وليس مقصود الأمر به مؤخراً وفي الحديث[5] أن للشيطان لمة بأن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشكر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم[6].

---

(١) ورد في بعض متون النهج: إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً.

(٢) الرسن: الحبل، وجمعه الأرسان، و المرسن: الأنف، و جمعه المراسن: العين للخليل الفراهيدي: ج٧ ص٢٤٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٤) القائل هو: الناشئ الصغير: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٩٨.

(٥) الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٦) سنن الترمذي: ج٤ ص٢٨٨؛ تفسير الرازي: ج٥ ص٥؛ تفسير القرطبي: ج٣ ص ٣٢٩.

«**وقَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ**»: تساوي «**صِلَةَ العَاقِلِ**»: فأن صلة الجاهل مضاد وفي قطيعتها منافع وإذا أردت الاطلاع على تفاصيلها فاستخرج من نفسك شعر إذا كنت ذا عقل صحيح فلا يكن عسير بك لا من كان ذا عقل فذوا الجهل إن عاشر وصحبته تدك عن عقل وتغر بك بالجهل.

«**مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ومَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ**»: أمن الزمان كناية عن قضاء الوطر فيه، واتكاله عليه وخيانته عن كونه سبباً لزواله وإعظامه عن جعله طرفاً للمرغوبات وإهانته عن إزالته، وفيه استعارة وإسناد عقلي يظهر بالتأمل وقد سبق مثله غير مرة.

«**لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ**»: من الصواب قريب من قوله ليس كل عورة تظهر.

«**إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ**»: أي أحوال أهله فإن السلطان كما قال: الوراق أول أركان الزمان وهو: الذي يؤمن جوره ويهاب عدله ويرجى فضله فإذا جلا عن هذه الخصال فهو مسلطاً وقد قيل إذا فسد غلب الصغار على الكبار والمماليك على الأحرار واللئام على الكرام.

«**سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ**»: فأنها محفوفة واللصوص كثيرة ولذا قال عز ﴿من قائل أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

«**وعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ**»: كناية عن أنه ينبغي أن يعلم الشخص أولاً حال من يصحبه ويقرب منه فأن كان حقيقاً بالرفاقة والمصاحبة قرب وإلا بعد والحمل على الظاهر فيهما ظاهر.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٥.

«**إِيَّاكَ**»: أحذرك «**أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً وإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ**»: فأن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضْحكَ به الناس ويل له ويل له»[1].

قال أبو حامد كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه فأن كنت أيها السامع تقتصر عليه أحياناً وعلى الندور[2]، فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه؛ ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج أبداً لينظر رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أذن لعائشة وهو يلعبون في النظر إليهم[3].

«**وإِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ**»: مائلات «**إِلَى أَفْنٍ**»: نقص «**وعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ**»: ضعف لنقصان عقولهن.

«**واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ**»: من الخروج عن البيت «**إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ**»: وأما المنع في الجملة فلا وأنت خبير باختلاف مراتب النساء في ذلك.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٤٣٥؛ سنن الدارمي لعبد الله بن الرحمن الدارمي: ج١ ص٦٧؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٧ ص٢٢؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٦ ص٣٤٣؛ تخريج الأحاديث والآثار للزليعي: ج١ ص٤٤٦؛ موارد الضمآن للهيثمي: ج٥ ص٤١١؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٢ ص ٤٥.

(٢) بمعنى إلا ما ندر من أمر المزاح وليس بشكل دائم متواصل.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ج ١٠ ص ٤٣٦؛ إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٩ ص ٢٥.

أقول: هذا ضعيف مرسل و،علاوة على ذلك فالحديث ساقط لا عبرة فيه لمخالفته كتاب الله في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ سورة المؤمنون: الآية ٣ .

«**ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ**»: فأنها مظنة الفتنة بل قد يكون الثاني أشد من الأول.

«**وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ**»: فأن النساء خلقت من ضلع آدم وتطرق الشيطان إليهن أسهل وأكثر والأولى بهن الستر في جلباب الحجاب.

«**ولَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ**»: أي لا تجعلها مالكة «**مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ**»: تعدى «**نَفْسَهَا**»: كيلا يضيق عليك الأيام ولا تنزع عنك زمام الأحكام وقد علله ذلك بقوله: «**فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ**»: هي ريحانه تشم لو خليت وظعنها لفسدت أيضاً بل من شأنها أن يتزين بها في بعض الأوقات كذلك المرأة لا يليق أن يترك بحالها لا سيما إذا اشتهر جمالها.

«**ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ**»: القهرمان الذي إليه الحكم في الأمور والمرآة قهرمانة فلا ينبغي أن يجعل مالكة أمرها.

«**ولَا تَعْدُ**»: أنت «**بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا**»: أي لا تتجاوز بإكرامها نفسها حتى تكرم غيرها بشفاعتها.

«**ولَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا**»: فأنها لقصور عقلها إلى طريق تتكسر الأمر في يديك.

«**وإِيَّاكَ والتَّغَايُرَ**»: التكلف في الغيرة «**فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ والْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ**»: جمع دَنيَّة بمعنى الشك أراد أن من غار في موضعه وهو أمور الدين قوي في شأنه اليقين ومن تغاير في فتات الدنيا يتبدل في شأنه الاعتقاد بالشك في أنه هل بحب الدنيا أم لا وذلك ظاهر.

«**واجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْرَى**»: أجدر «**أَلَّا يَتَوَاكَلُوا**»: أوكل بعضهم الأمر إلى البعض.

«**فِي خِدْمَتِكَ**»: فأن الخادم مستسلم أمر المخدوم لا الخادم فلا يتمشى الأمر حينئذ.

«**وأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ويَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ**»: أمر بإكرام العشيرة وهي أهل الرجل الذي يتكرم بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد وشبه بالجناح من حيث أنهم ممهدون له بالنسبة إلى الطائر وذلك ظاهر وفي ضمنه تشبيهاً آخر يظهر بالتأمل وباليد، لأنهم يحتاج إليهم في أمره كهي في فعله وذلك الإنسان مدني الطبع يحتاج إلى تمدن وأراد أن تبرز عطوفة الأبوة لاشتداد الرغبة إلى قبول ما في هذه الوصية فقال:

«**اسْتَوْدِعِ اللهَ**»: أي أستحفظه «**دِينَكَ ودُنْيَاكَ واسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ والآجِلَةِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ**»: تفسير لهما **إِنْ شَاءَ اللهُ**.

وكان قد حيل كثيراً من أهل الشام وغيرهم فأوقع الأكثرين منهم بالشبهة وأضل الآخرين بالتقليد والإغواء لجهلهم وكانوا على فطرة الإسلام أشار عليه إلى ذلك بقوله:

«**وأَرْدَيْتَ**»: أهلكت «**جِيلاً**»: جماعة مِنَ النَّاسِ كَثِيراً «**خَدَعْتَهُمْ بِبَغِيِّكَ**»: بجهلك وضلالك يقال خَدعْه الخدعة أي أضله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.

«**وأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ**»: شبههم بمن يلقى في بحر الاضطراب وعد الاستقرار والثبات ورشح الاستعارة بالإلقاء وهو كناية عن إضلالهم.

«**تَغْشَاهُمُ**»: تصيبهم «**الظُّلُمَاتُ**»: ظلمة الشبهة وظلمة الجهل وظلمة التقليد.

«**وتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ**»: أي يلطم به بعضها بعضا.

«**فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ**»: أي أعدلوا عنهم بجب التوجه إليه وهو سبيل الاقتداء لسنته وسنة الرسول وأدخال الأعناق في ربقته متابعته ومبايعته.

«**ونَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ**» أي رجعوا والنكوص الأحجام عن الشيء «**وتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وعَوَّلُوا**»: اعتمدوا «**عَلَى أَحْسَابِهِمْ**»: أحساب الجاهلية وكان كثير من الصحابة والتابعين لما سمعوا من معاوية أنه يطلب دم عثمان أتبعوه وتابعوا استوصوا به في المحاربة فلما فكروا واستبصروا تركوا معاوية فذلك قوله تعالى عليه السلام.

«**إِلَّا مَنْ فَاءَ**»: رجع «**مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ**»: جمع بصيره وهي الحجة كقوله تعالى ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[1] «**فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ**»: وأنك على الباطل وعلى شفا جرف هار «**وهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ**»: معاونتك.

«**إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ**»: وهو المحاربة مع الله ورسوله إذ هو أخو رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ونفسه وابن عمه وربيبه، خليفة لله ورسوله في الأرض ومن حارب الله رسوله فأن له نار جهنم.

«**وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ**»: وهو الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

«**فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ**»: أي أتقي بحسب الجنان وقد سبق مراتب التقوى

---

(١) سورة القيامة: الآية ١٤ .

فأن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «من سره أن يمد الله في عمره ويوسع عليه في رزقه فليتق الله»[1] «**وجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ**»: قودك ولا يغرنك الدنيا.

«**فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ والآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ والسَّلَامُ**»: لأنها آتية لا ريب فيها وكل آت فهو قريب فتزودوا الزاد ولا ينبغي الفساد.

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ**»: أي من يعينه إلى هنا ويخبره عن أحوال أهلها والعين الديدان والجاسوس والشام من الجانب المتصل بالمغرب.

«**كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ**»: معْلّمهَم الذي كانوا يجتمعون فيه.

«**أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الأَبْصَارِ**»: وصف عليه السلام أهلها لقلة نظرهم وتفكرهم بعمى القلب لكثرة تغافلهم عن العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وبالضم لعدم سماعهم قول الحق وبالعمى لعدم رؤية ظاهر الحق كقوله عز وجل ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[2].

«**الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**»: أي يطلبون الدين وحفظه الذي هو الحق باتباعهم معاوية وهو الباطل قال عز وعلا: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾[3].

قال: قتادة الباطل هو الشيطان والحق أن تأتي من وجهه قال: تعالى ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[4].

---

(١) لم أعثر على مصدر لهذا الحديث.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨ .

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٩ .

«**ويُطِيعُونَ المُخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»: أي يطيعون معاوية في الخروج عن ربقة متابعة الإمام الحق والخروج عليه.

«**ويَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ**»: الدر اللبن يقال: في الدم لا در دره أي لا كثر خيره وجعل الدنيا بمنزلة الناقة وفائدتها القليلة كالدر ووجه الشبهة فيهما ظاهر وقد سبق مثل هذا الكلام أي يقولون نحن عساكر الإسلام وه يريدون بذلك خير الدنيا وعاجلها والآجل ضد العاجل.

«**ويَشْتُرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ المُتَّقِينَ**»: أي بمثله ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[1] ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2] ﴿خَسِرَ خُسْرانًا مُبِينًا﴾[3].

«**ولَنْ يَفُوزَ بِالخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ ولَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ**»: جرى يتعدى إلى مفعولين وفاعله أقيم مقام الفاعل وجزأ الشر مفعول ثاني أي متابعة معاوية شر ولا ينال به رضى الله، والفاعل للشر يستحق النار أما الأولى؛ فلما مر غي مرة من أنه عليه السلام كان على الصراط المستقيم، وهو الخير وخلافه الشر ومصداقه ما روي أبو نعيم أنه قال صلى الله عليه [وآله] وسلم «لو أستخلفتموه وما أراكم فاعلين لوجدتموه هادياً مهدياً»[4] وأمثاله وأما ثانياً فلأنه عصيان الله ورسوله ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٧ .

(٣) سورة النساء: الآية ١١٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب لأبن شهر آشوب: ج ٢ ص ٢٨٠؛ شرح النهج لأبن ابي الحديد المعتزلي: ج ٦ ص ٥٢؛ الأصابة لابن حجر: ج ٤ ص ٤٦٨؛ وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم الحسكاني في ج ١ ص ٨٤؛ وفي جميعها اختلاف يسير.

(٥) سورة الجن: الآية ٢٣.

«**فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ**»: من يضبط الأمر ويأخذه بالثقة «**الصَّلِيبِ**: الشديد «**والنَّاصِحِ اللَّبِيبِ**»: أي أدم على ما أمرتك العمل به وأمضت حكم يديك عليه وأقم قيام الجازم كقوله تعالى ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[1] «**التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ**»: حتى يقاتل لأجلك جنداً لله وأنت تبقى في كنف حفظ الله.

«**وإِيَّاكَ ومَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ**»: فأنه قبيح وليس بدأب العاقل بل من أمارات الجاهل.

«**ولَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً: البطر**»: دهش يعتري من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها قال تعالى ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾[2] «**ولاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ**»: الشدة «**فَشِلًا**»: ضعفاً.

حربه **من عزله بالأشتر**: عن مصر.

ثم توفى الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها: تسكينا لحزمه وإظهاراً لمزيد شفقته وعطوفته عليه فبدأ بالوصف بالجد التام وذلك في قوله:

«**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ**»: إرسال «**الأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ وإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ**»: التسريح.

«**اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدَ**»: بفتح الجيم وضمها.

«**ولَا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ**»: أراد أني لم أرسل الأشتر إلى مصر لقصور فيك والاستبطاء.

---

(١) سورة نوح: الآية ١٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

الاستزادة وهي أضرب من الشكاية والعتب.

«**ولَوْ نَزَعْتُ**»: سلبت «**مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ**»: ولايتك «**لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ**»: لجعلتك والياً لما هو ايسر «**عَلَيْكَ مَئُونَةً وأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً**»: أي أكثر أعجاباً إليك أمارة فيه إظهار المحنة والعطوفة؛ ثم أبرز سبب إبراز الأشتر بقوله:

«**إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً**»: منجزاً فعلاً أو قولاً صلاحاً.

«**وعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً**»: عاتباً منتقماً لنا من عدونا، ونقمت على الرجل عتبت عليه، ونقمته كرهته.

«**فَرَحِمَهُ اللهُ**»: ثم أشار إلى فضيلته ومكانه منه عليه السلام.

«**فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ**»: استوفى أيام عمره «**ولَاقَى حِمَامَهُ**»: قدر موته .

«**ونَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ**»: لأنه أحد قصب السبق في مضمار الشجاعة من الأسوق[1].

نصرة لأسد الله في رميته.

خاضت الفرسان فيها دماء أقرانها ... وأضمرت الحرب فيها شواظ نيرانها

وتعاطى الشجعان فيها كاسات ... الحمام فمالت بصاحبها وسكرانها

وقصته مشهورة بين أرباب التواريخ.

(١) الأسوق جمع ساق، والأسوق تنسب إلى ساق السنبلة التي تحوية مئة حبة فاكثر؛ تفسير البحر المحيط لابي حيان الأندلسي: ج٢ ص ٣١٦.

«**أَوْلَاهُ**»: أعطاه «**اللهُ رِضْوَانَهُ وضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ**»: دعي عليه السلام له بالرضى الكسر ولما كان أعظم الرضى رضى الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله عز وجل ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾[1] ثم أمرهم بمقالته مع معوية راعياً آدابه وقواعده كما تقرر بعضها فيما سبق وذلك قوله:

«**فَأَصْحِرْ**»: أخرج إلى الصحراء «**لِعَدُوِّكَ**»: أي لمقاتلته وهو معاوية «**وامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ**»: أي مع كل بيعته معاوية أو يكون معه من الناس وَشمره في أمره خف وشراراه «**وَادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ**»: إلى ما يتوصل به إلى الرب تعالى ويعتبر عن السبيل بالمحجة قال الله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[2] «**وأَكْثِرِ الِاسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ ويُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ إنشاء الله**»: فإن الله هو ذي العظمة والجلال مالك الأجلال والإذلال بيده زمام التصرف في ملكه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد من أستعان به كفاه ومن تركه جفاه ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] وبالله التوفيق.

في بيان شأنه وشأن من كانوا في أوانه وإظهار حاله وإبراز أحوالهم وقد سبق كيفية قتله في الجملة.

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ ومُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ**»:

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

قتل شهيداً او الشهيد الذي هو المحتضر تسميته بذلك الحضور والملائكة إياه إشارة إلى ما قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[2] أو لنهم يشهدون في تلك الحالة ما أعد لهم من النعيم أو لأنهم تشهد أرواحهم عند الله كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3]، وأما كان شهيداً لأنه قتل في مظلوماً ومن قتل مظلوماً فهوا شهيد للخبر المشهور.

«**فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ**»: ابن دريد احتسبت بكذا أجراً عند الله والإسم الحسبة وهي الأجر.

«**وَلَداً نَاصِحاً وعَامِلًا كَادِحاً وعاملاً كادحاً**»: ساعياً مجداً.

«**وسَيْفاً قَاطِعاً ورُكْناً دَافِعاً**»: هذه المنصوبات على الحال جعله سيفاً من حيث أنه كان يهراق دماء الأعداء من النجاة حماة وكان يدفع بقدر الإمكان عنه عليه السلام مضرة الأعداء.

«**وقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ**»: حركت «**النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ**»: أي اللحاق به «**وأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ**»: ما عانته «**قَبْلَ الْوَقْعَةِ ودَعَوْتُهُمْ سِرّاً وجَهْراً**»: مصدر في موضع الحال أي مسراً وجهراً «**وعَوْداً وبَدْءاً**»: بادياً «**فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً**»: لأنه كان يغلوا قدرة قلبه من الدنيا.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحديد: الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٩- ١٧٠ .

«**ومِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ**» الذي يأتي بالعلل «**كَاذِباً ومِنْهُمُ الْقَاعِدُ**»: عن نصرته «**خَاذِلًا**»: والخذلان ترك من نظن به أن ينصر نصرته ثم أخذ يشتكي فقال:

«**أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلًا**»: أراد انكشاف الغم في هذه الدار والتمس أن يؤيده بالجنود الإلهية من الجبار ثم قال:

«**فَوَ اللهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ لأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً ولَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً**»: أراد أن أعلم أنهم على سواء الجحيم وليسوا على الصراط المستقيم وهم بصدد المكر والاغتيال جامعون ما يقتضي المنافرة منهم لكني أرى بعين البصيرة المآل ولا أبالي آلامهم ولا أحب أن أفارقهم لعي أشرب عدة الشهادة وأصل إلى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

عن أنه عليه السلام كيف عاملهم.

«**فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ**»: إلى ذلك البعض «**جَيْشاً كَثِيراً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ**»: الإرسال.

«**شَمَّرَ هَارِباً ونَكَصَ نَادِماً فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ**»: أي الرجوع قيل هي عند الزوال وقيل هو عند الغروب.

الجوهري تطفيل الشمس ميلها للغروب وقد طفل لليل إذا أقبل ظلامه[1].

«**فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا ولَا**»: أي حاربوا قليلاً والعرب يستعمل هذه الكلمة لأمر القليل يقال: قعد الخطيب بين الخطبتين كلا ولا أي زماناً قليلاً.

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٥ ص ١٧٥١.

«**فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ**»: أي كوقوفه مؤكد لمضمون ما قد سبق من القلة «**حَتَّى نَجَا جَرِيضاً**»: مغموماً «**بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ**»: موضع الخنق من العنق.

«**ولَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ**»: بقية الروح.

«**فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا**»: أي بعد شدة وأبطأ ونصب بأيلا على الظرف ويفند ما الزيادة في الكلام أنها ما قيل أنه ما قيل أنه في حق معاوية.

«**فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ**»: أركضت الفرس استحبته ليعدوا ثم كثر قيل ركض الفرس إذا عدوا ليس بالأصل والصواب ركض على ما لم يسم فاعله والبركات من الاضطراب.

«**وتَجْوَالُهُمْ**»: تطوافهم «**فِي الشِّقَاقِ**»: الخلاف «**وجِمَاحَهُمْ**»: أسارعهم.

«**فِي التِّيهِ**»: التحير لا حظ الشقاق كأنه البيداء والتيه كالفيفاء وأوهامهم كالمراكب والركب نفوسهم الخبيثة يقول: لأخيه عقيل أترك قريشاً ومسارعتهم في الخصومة الشديدة معي فأن ذلك يعود أليهم بالمضرة.

«**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم قَبْلِي**»: من حيث أن منشأ كل منهما العناد والحسد كانوا يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم.

«**فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي**»: قيل: دعاء عليهم والجواري جمع الجارية وهي النفس التي تجري، أي جزائهم وفعل بهم ما يستحقون عساكر لأجلي وبنيابتي، وكفاهم سرية تنهض إليهم.

وقيل: هذا إشارة إلى سرايا تهلك بنى أمية بعده، وفي هذا الكلام مجازاً حسن فتأمل.

«**فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي**»: قطع الرحم يكون بالهجران ومنع البر قال: تعالى ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

«**وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي**»: أي سلبوني سلطاني وفي هذا من الكلام الذي يلاحظه فيها الكناية وقيل عني بأبن أمي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لأنها رتب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وكان في حجر أبي طالب ثم أجاب عما سال عنه بقوله:

«**وأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ**»: يعني قتال كل من أستحل المحاربة معي فالمحلون الذين أحلوا قتال أمير المؤمنين فأنه كان على الحق والمحارب على الباطل والمحاربة معه محمودة كدفع الصائل.

«**حَتَّى أَلْقَى اللهَ**»: أنا على ذلك حتى أموت ثم نبه على أنه عليه السلام كان متوكلاً على الله مفوضاً أمره إلى الله مؤيداً بجنود لا قبل لها له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله لو كان له عزة فهو من العزيز يرتد حزبه بتفرقه عنه بقوله:

«**لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً**»: عليه «**ولَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً**»: ضد الألسن وهي الوحدة مع غم ما كان إلا لأنه كان علي السلام ممن كحل عينيه بكحل البصيرة وثبت قلبه على الصراط لمستقيم على الوتيرة.

«**ولَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ**»: أراد نفسه القدسية ولم يقل ولا تحسبني محافظة لحسن الخطاب.

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٢.

«**ولَـوْ أَسْـلَمَهُ**»: عدلـه «**النَّـاسُ مُتَضَرِّعـاً مُتَخَشِّـعاً ولَا مُقِـرّاً لِلضَّيْـمِ وَاهِنـاً**»: ضعيفـاً «**ولَا سَـلِسَ الزِّمَـامِ لِلْقَائِـدِ ولَا وَطِـئَ الظَّهْـرِ لِلرَّاكِـبِ الْمُتَعَـدِ**»: أقتعـد البعـير ركبـه في كل حاجـة وفي كل حـال مـن هـذه الأحـوال إشـارة إلى حـال مـن أحوالـه عليـه السـلام فـالأولى إشـارة إلى غايـة قوتـه وصبره لأن التضرع إظهـار الضراعـة قـال: فـما استكانوا لربهـم ومـا يتضرعـون وكـذا الثـاني والفـرق بينهـما بـان أكثـر مـا يسـتعمل الخشـوع في الجـوارح والضراعـة قـال تعـالى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[1].

وكـذا الثـاني والفـرق بينهـما بـأن أكثـر مـا يسـتعمل الخشـوع في الجـوارح والضراعـة أكثـر مـا يسـتعمل فيـما يوجـد في القلـب ولذلـك قيـل إذا روي إذا ضرع القلـب خشـعت الجـوارح وفي الثالثـة إلى أن العاجـز عـن الدافـع يفـر وحاشـاه أن يكـون كذلـك فأنـه كان عليـه السـلام واحـداً يعـدل ألفـاً تـولى الحـرب بنفسـه النفيسـة فخـاض عمارهـا واصطلى نارهـا وأذكـى أوارهـا وأحـرى بالدمـاء أنهارهـا وفي الرابعـة والخامسـة إلى أن الضعيـف تحـت تـصرف العـالي لا يلـوي عتقـه عـن ربقـة حكمـه ولـوه.

كان مـن أربـاب المعـالي وكان عليـه السـلام بمعـزل عـن ذلـك فأنـه كان عليـه سـيفاً ذميـماً وشـجاعاً حاميـاً وفي كلامـه عليـه السـلام مـن الاسـتعارات والترشـيحات لا يخفـى عـلى الفطـن المتأمـل ولقـد انصفـت معاويـة حـين قـال: لبـشر بـن أرطـاة وقـد أشـتهر في الآفـاق شـجاعة تزهيـداً في مبارزتـه عليـه السـلام:

فأنت له يا بسر ان كنت مثله ... وإلا فان الليث للضبع آكل

كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل ... بشـداته في الحـرب أو متجاهـل

(١) سورة المؤمنون: الآية ٧٦.

متى تلقه فالموت في رأس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شاغل [1]

ثم استدركه ما يتوهم من كلامه السابق من أنه لم يكن يتضرر من مخالب الدهر أصلاً بقوله: «**وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ**»:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

يعز من العز والكآبة: الحزن، والشماته: فرح العدوا بالبلاء النازل ولما كان عليه السلام شبيهاً للشاعر في تجرع مرارة الصبر من كاسات الزمان وكان كالجبل يتحمل ولم يبث الشكوى لشماتة الأعداء وسآمة الأحباء فقال: كما قاله وفي ذلك تنبيه وإرشاد فالصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له وبالله التوفيق.

«**فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ والْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ**»: سبحان أصله مصدر كغفران قال: تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون: وقال الشاعر:

أقول لما جائني من علقمة قيل في تقدير كلامه عليه أسبح الله تسبيحاً لما أمهل معاوية مع مراميه للبدع ومتابعته في الحيرة أي ما فيه مزال القدم والبعد عن ذي القدم.

«**مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ**»: جمع حقيقة وتستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات

(١) الأبيات لغلام في جيش معاوية: أسمه لاحق: كما ذكره جملة من الرواة كالموفق الخوارزمي في المناقب: ص٢٤٠؛ وعلي بن أبي الفتح الإربلي في: كشف الغمة في معرفة الأئمة: ص٢٥١.

ووجوده كقوله: صلى الله عليه [وآله] وسلم: «لكل حق حقيقة فما حقيقة أيمانك»[1] أي ما الذي بيني وبينك عن كون ما تدعيه حقاً وتارة في الاعتقاد وتارة في العمل وفي القول فيقال: لفعله حقيقة إذا لم يكن مرابياً فيه ولقوله حقيقة أذا لم يكن فيه مترخصاً ومتزايداً، وقيل الدنيا باطل والآخرة حقيقة تنبيهاً على زوال هذه وبقاء تلك وللحمل على كل هذه المعاني وجهة.

«**واطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ**»: جمع وثيقة وهي العهود الموثوقة أي المحكمة «**الَّتِي هِيَ لله طِلْبَةٌ**»: مطلوب من عبادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[2] «**وعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ**»: بم رد على معاوية محاجته الباطلة وهو: زمان أنه كان محصوراً لم ينصره بقوله:

«**مَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وقَتَلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ وخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ**»: وقد تبين لك منشأ إفساده ومعاداته له عليه السلام.

مشتمل على مدحته ومدحتهم وتنبيههم على أطاعتهم.

«**مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ**»: صدّرَ عليه السلام أكثر كتبه بقوله من عبد الله أشارة إلى أن العبودية مرتبة عظيمة لا يعطيها الله تعالى إلا لمن يحب، إلا يرى أن الله تعالى حين أراد أن يُلبس بنيه حلة الشرف والكرامة نسب فضل العبودية إليه فقال: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[3]، وفيه إيماء إلى أن أرباب الألباب أن لا ينسوا

---

(١) يُنظر: المصنف: لعبد الرزاق الصنعاني: باختلاف يسير: ص ١٢٩؛ وكذلك في منتخب مسند عبد بن حميد: ص ١٦٥؛ شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي: ج ٧ ص ٣٦٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

(٣) سورة الكهف: الآية ١ .

الانكسار والخشوع في حضرة رب الأرباب ولا يغتروا بزينة الدنيا واستيلائهم عليها وذلك موافق لما في الكتاب ولا يغرنكم بالله الغرور.

«**إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا للهِ**»: **الجوهري**: غضبت لفلان أذا كان حياً وغضبت به أذا كان ميتاً[1].

«**حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ**»: الله «**وذُهِبَ بِحَقِّهِ**»: هو العبادة.

«**فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ والْفَاجِرِ**»: الغاش «**والمُقِيمِ والظَّاعِنِ**»: الراحل شكاية من أن الظلم صار عادة على كل حال سواء كان مؤمناً أو كافر في حضر أو سفر والسرادق هو فارسي معرب وليس في كلامهم أسم مفرد ثالثه الف وبعده حرفان قال تعالى: أحاط بهم سرادقها واستعار للجور مرشحة بالضرب تشبيهاً له في التقرر والثبات بشخص ضرب سرادقه.

«**فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ**»: إيذان [2] بأن المؤمن اذا عمل حسنة فرح بذلك والراحة كل الراحة عاجلاً وآجلاً لمن أصطنع المعروف طوعاً ورغبتاً.

---

(١) يُنظر: الصحاح: للجوهري:ج١ ص١٩٤.

(٢) الإيذان: بمعنى الأعلام وبمعنى الأذن بحلوله أي الأحلام: والمعنى آخر أُذن لك أن تعلم. وهناك معنى آخر مقارب هو ما رواه الشهيد الأول في ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج ٣ ص ١٩٧. قال: ثم الأذان لغة: الإعلام، ويقال: إيذان وأذين وفعله أذن يأذن، ثم آذن بالمد للتعدية، ويقال للمؤذن: أذين وقول عدي بن زيد:

وسماع يأذن الشيخ له ... وحديث مثل ماذي مشار

يريد به استمع، لان الاستماع سبب في العلم، فيرجع إلى أذن بمعنى علم، ومنه قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ الآية أي: اعلموا، ومن قرأ بالمد فمعناه: أعلموا من ورائكم بالحرب.

«**ولَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ**»: راعى عليه السلام في ذلك المقام مبالغة لطيفة فقال: مثل هذا الكلام.

«**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ**»: كنى بالنوم عن الغفلة.

«**ولَا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ**»: لا يتأخر ولا يجن عنهم.

«**سَاعَاتِ الرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ**»: وصفه عليه السلام بهذا الوصف لملائمته مع قوله عصوا الله إلى آخره.

«**وهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ**»: لا ينصرف للتعريف والتأنيث، والمذحج أبو قبيلة من اليمن.

«**فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ**»: قيد طاعته بموافقة الحق ولم يطلقها لما لم يكن معصوماً وفيه تنبيه على أن طاعة الإمام واجبة على كل مسلم سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه بشرط أن لا يأمره بمعصية فأن أمره بها فلا يجوز طاعته ولكن لا يجوز له محاربة الإمام وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «لا طاعة في معصية أنما الطاعة في المعروف»[1] ثم وصفه بحمل رغبته ومودته إيام في استسلامهم لأمره وانقيادهم تحت حكمه فقال:

«**فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ**»: حد السيف.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٩٤؛ سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني: ج ١ ص ٥٩١؛ سنن النسائي: ج ٧ ص ١٦٠.

«**ولَا نَـابِ**»: مـن النبـوة «**الضَّرِيبَـةِ**»: المـضروب بالسـيف وإنـما دخلتـه الهـاء وأن كان بمعنـى مفعـول لأنـه صـار في عـداد الأسـماء كالنطحـة[1] والإكليلـة [2].

«**فَـإِنْ أَمَرَكُـمْ أَنْ تَنْفِـرُوا فَانْفِـرُوا وإِنْ أَمَرَكُـمْ أَنْ تُقِيمُـوا فَأَقِيمُـوا فَإِنَّـهُ لَا يُقْـدِمُ ولَا يُحْجِـمُ ولَا يُؤَخِّـرُ ولَا يُقَـدِّمُ إِلَّا عَـنْ أَمْـرِي**»: يجـب عليكـم إطاعـة أمـري لقولـه: ﴿وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ﴾[3]، وقـول الرسـول صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم «مـن أطاعنـي فقـد أطـاع الله ومـن عصـاني فقـد عصـا الله ومـن يطـع الأمـير فقـد اطاعنـي ومـن يعـصى الأمـير فقـد عصـاني»[4] الحديـث ثـم ذكـر أنـه عليـه السـلام مـا أسـتخدم مالـكاً الأشـتر عنـده واختيـاره لأمريـن فقـال:

«**وقَـدْ آثَرْتُكُـمْ بِـهِ عَـلَى نَفْـسِي لِنَصِيحَتِـهِ لَكُـمْ وشِـدَّةِ شَـكِيمَتِهِ عَـلَى عَدُوِّكُـمْ**»: وقـد سـبق بيـان معنـى النصيحـة والـكلام في شـدة الشـكيمة وبـالله التوفيـق.

---

(١) النطحـة: بفتـح فسكون. المرة مـن النطـح، الـضرب بالـرأس أو القـرون؛ معجـم ألفـاظ الفقهـاء لمحمـد قلعجـي: ص٤٨٢.

(٢) وأمـا الأكيلـة فهـي المأكولـة. يقـال: هـي أكيلـة السـبع. وإنـما دخلتـه الهـاء وإن كان بمعنـى مفعولـة لغلبـة الاسـم عليـه، والأكيـل: الـذي يواكلـك والأكيـل أيضـا: الآكل. قـال الشـاعر: لعمـرك إن قـرص أبـى خبيـب بطـئ النضـج محشـوم الأكيـل وأكلـت الناقـة أكالا، مثـال سـمع سـماعا، فهـي أكلـة عـلى فعلـة. وبهـا أكال بالضـم، إذا أشـعر ولدهـا في بطنهـا فحكهـا ذلـك وتـأذت. ويقـال أيضـا: أكلـت أسـنانه مـن الكـبر، إذا احتكـت فذهبـت. وفى أسـنانه أكل بالتحريـك، أي إيهـا مؤتكلـة، وقـد ائتكلـت أسـنانه وتأكلـت؛ يُنظـر: الصحـاح للجوهـري: ج٤ ص١٦٢٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩ .

(٤) المصنـف لعبـد الـرزاق الصنعـاني: ج١١ ص٣٢٩؛ المصنـف لأبـن ابي شـيبة الكـوفي: ج٧ ص٥٦٦؛ السـنة لأبـن أبي عاصـم: ج٩ ص٧؛ الـكافي للشـيخ الكلينـي: ج٤ ص٦٣؛ و دعائـم الإسـلام للقـاضي النعـمان المغـربي: ج١ ص٣٤٢؛ الأمـالي للشـيخ الصـدوق: ص١٢٣ باختلاف يسـير في بعظهـا.

روي انه كتب إليه معاوية يعرض إليه الأموال والولايات وكتب في آخر كتابه شعراً:

جهلت ولم تعلم محلك عندنا فأرسلت شيئا من خطاب ولا تدري
فثق بالذي عندي لك اليوم آنفا من العز والاكرام والجاه والقدر
فأكتب عهدا ترتضيه مؤكدا وتشفعه بالبذل مني وبالبر

فكتب إليه عمرو:

أبى القلب مني أن أخادع بالمكر بقتل ابن عفان أجر إلى الكفر
واني لعمرو ذو دهاء وفطنة وليس أبيع الدين بالربح والوفر
فلو كنت ذا رأي وعقل وحيلة لقلت لهذا الشيخ إن خاض في الأمر
تحية منشو جليل مكرم بخط صحيح ذي بيان على مصر
أليس صغير ملك مصر ببيعة هي العار في الدنيا على العقب من عمرو
فإن كنت ذا ميل شديد إلى العلا وامرة أهل الدين مثل أبي بكر
فإن دواء الليث صعب على الورى فإن غاب عمرو زيد شر على شر

فكتب إليه معاوية بمنشور مصر، فكثر تفكره حتى ذهب نومه، وقال:

تطاول ليلي بالهموم الطوارق فصافحت من دهري وجوه البوائق
وأخدعه؟ والخدع فيه سجية أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة لشيخ يخاف الموت في كل شارق

فلما طلع الصبح شاور عنده وردان وقد كان عنه عاقلاً لم يعم عين بصيرته فقال: له مع علي الآخرة ومع معاوية الدنيا والحر تكفيه الإشارة، فتبسم عمروا وقال:

يا قاتَلَ الله ورداناً وفطنتَهُ لقد أصابَ الذي في القلبِ وردانُ
لمّا تعرّضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسي وفي الأطباع إدهانُ
نفسي تعفّ وأُخرى الحرص يغلبها والمرءُ يأكلُ تبناً وهو غرثانُ
أمّا عليٌّ فدين ليس تشرِكُه دنيا وذاك له دنيا وسلطانُ
فاخترت من طمعي دنيا على بصري وما معي بالذي أختارُ برهانُ
إنّي لأعرف ما فيها وأُبصره وفيَّ أَيضاً لما أهواه ألوانُ
لكنّ نفسي تُحِبُّ العيشَ في شرف وليس يرضى بذلّ النفسِ إنسانُ

فلما اختار الدنيا على الآخرة ذمه عليه السلام بقوله:

«**فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً**»: تابعاً «**لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ**»: جهله «**مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ**»: بحيث صار كونه على الباطل كنار على علم.

«يَشِينُ»: يعيب «الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ»: الكرم نقيض اللوم وقد كرم بالضم فهو كريم.

«ويُسَفِّهُ الْحَلِيمَ»: يجعله سفيهاً «بِخِلْطَتِهِ»: بمخالطته.

«فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ»: الأسد «يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ»: الضرغام «ويَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ»: الكلب.

«مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ»: ما دق عنقه شبه عليه السلام عمراً بالكلب لخبثه وحقارته وقلة قدره ولم يشبه بالثعلب وأن كان مكاراً الوجوه يظهر بالتأمل وكأني بك تقول شبه معوية بالليث أقول أقول شبهه في هذه الجهة المذكورة لا في الشجاعة.

«فَأَذْهَبْتَ»: أبطلت «دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ ولَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ»: من استعمال الدنيا كما هو حقها وإدخارها ليوم المعاد.

«فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللهُ مِنْكَ ومِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا»: فيما يليق بكما.

«وإِنْ تُعْجِزَا»: كناية عن إفنائه [1] عليه السلام.

«وتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا والسَّلَامُ»: وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «من حمى مؤمناً من منافق بعثه ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة»[2] الحديث: وقد اشتهر لدى الرواة الثقات أنه قال: صلى اله عليه -وآله- وسلم «هذا جبرائيل يخبرني أن السعيد كل السعيد من أحب علياً في الحياة وبعد موته

---

(١) إفنائه بمعنى: إلحاق الفناء بهما وأنه غير عاجز عن ذلك.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج٣ ص٤٤١؛ سنن أبي داوود لسليمان بن الأشعث السجستاني: ج٢ ص٤٥٢؛ الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا: في ص١٨٣؛ شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي ج٦ ص١٠٩ .

والشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته»[1] وبالله التوفيق.

إلى بعض عماله لم يروا أن هذا الكتاب إلى أي عامل ويمكن أن يكون العامل عبد الله بن العباس.

«**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَه فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وعَصَيْتَ إِمَامَكَ**»: أراد نفسه القدسية.

«**وأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ**»: أظهرت فيها الخزي والهوان ثم فصل هذا الإجمال الموقظ عن سني الغفلة بقوله: «**بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ**»: بالتخفيف أي أهلكت إسحارها وخربتها وتركتها لفضاء أجرد وهو الذي لا نبات فيه وبالتشديد للكسير.

«**فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ**»: أي صمتت إلى ملكك جميع ما وجدته على الأرض.

«**وأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**»: أي انتفعت بجميع ما كان يقع في يدك من الزكاة والصدقات.

«**فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ واعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ الله أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ**»: أي أكتب جميع ما أخذت من الناس وأنهضه إلي حتى أحاسبك عليه ولا تدع حسابك إلى يوم القيامة فأنه غداً أشد.

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله وهو عبد اللّه بن العباس:

وقد روي عليه السلام كان ولاه على البصرة فأخذ مالاً كثيراً وخرج إلى المدينة نحو بيته وكتب إليه عليه السلام أن اجعلني في حل من كذا فإن عيالي

(١) مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي: ص ٨٣؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي الناباطي: ص ٥٠؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص ٤٥٧.

كثير ومغرم من مالك فنظم اللؤلؤ المكنون جواباً له فقال:

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي**»: أي جعلتك من خواصي بمكان الشعار من الجسد وبطانة الثوب خلاف طهارته وبطانة الرجل وليجته وأطيب الرجل جعلته من خواصك.

«**وجَعَلْتُكَ شِعَارِي وبِطَانَتِي ولَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ**»: أي أشد وثوقاً منك .

«**فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي**»: وهي المعاونة بالمال.

«**ومُوَازَرَتِي**»: وهو: بالبدن «**وأَدَاءِ الأَمَانَةِ: إِلَيَّ**»، عد عليه ما يقتضي ويليق به خلاف ما فعله ليلجمه بلجام الزام. س«**فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ**»: أشتد جوره وشتمه تشبيهاً بالكَلبْ الكَلب وقد سبق أن إسناد أمثال هذا إلى الزمان متعارف بين الفصحاء.

«**والْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ**»: اشتد غضبه.

«**وأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ**»: جعلها بمثابة الدار في الحفظ وخيل إليها بحرت، وروي حربت بمعنى هانت وذلت وعلى هذه الرواية جعلها بمنزلة الشخص.

«**وهَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ**[1] **قبلتْ**»: قبلت على غفلة.

«**وشَغَرَتْ**»: ابعَدَتْ في الفساد ولم يدعوا جهداً فيه بل رفعوا في ذلك.

«**قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ**»: هذا مثل يضرب يصير حرباً بعد كونه سلماً

(١) ورد في بعض متون النهج: فَنكَتْ.

والمجن الترس وكأن من ناصر لك عند لقاء العدو فضن بترسه فإذا تغير عليك وصار مع عدوك فقد جعل إليك ظهر ترسه.

وهذا جواب قوله: فلما رأيت الزمان وذكره قرابته وبنو عمه مرتين وثلاثا تواضعاً ووضعاً لقدر نفسه لعظمة الله، ولم يقل: فلما رأيت الزمان علي كلب قلبت لي ظهر المجن مراقبة لجانبه وحثا له على الوفاء وأنه عليه السلام أشفق عليه أكثر من شفقته على الأجنبي.

«**فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ وخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ وخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ**»: وساعدت «**ولَا الأَمَانَةَ أَدَّيْتَ**»: ثم أومأ إلى ما يقتضي فعله كونه ولم يجزم به لعدم وقوعه نعم شبه بشخص موصوف بما يذكر في أنه يذهب على خلاف على الصواب لا على ما أمر به رب الأرباب ونطق به سيد أولي الألباب فقال عليه السلام.

«**وكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ**»: الدلالة الواضحة في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

«**وكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ**»: أي تقصد غفلتهم عن غنمهم التي فاتت ورجعت إليهم.

«**فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ**»: الحملة.

«**وعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ واخْتَطَفْتَ**»: أسبلت لخاصة نفسك «**مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ**»: وفي

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧- ٨ .

بعض النسخ «**مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمُصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ**»: أي الذي امر الله أن يصان لأجل المرأة الأرملة التي لا زوج لها.

«**وأَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ**»: الخفيف الوركين.

«**دَامِيَةَ**»: محرومة «**الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ**»: المكسورة وهي الشاة التي تدمى بعد أن خرجت وأن لم يسل الدم أي كما يختطف الذئب جلد شاة محرومة فهو عليها أجرء.

«**فَحَمَلْتَهُ**»: أخذت بالضعفاء. «**إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ**»: لم يضيق صدرك بذلك. «**بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ**»: أي لا ترى في ذلك إثماً.

« **مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ**»: كلام الوالد المشفق فخلط اللبس بالخشونة.

«**حَدَرْتَ**»: أرسلت« **إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وأُمِّكَ**»: أي كنت فارغ القلب كأنك أدخلت على أهلك ميراثاً أصنته حلالاً من قريب لا كراهية فيه ثم تعجب وسبح الله كما يفعل المتعجب فقال:

«**فَسُبْحَانَ اللهِ**»: وفي فاء التفريع إشارة إلى أن التعجب ناشئ مما سبق «**أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ**»: تصدق بالمرجع إلى الله.

«**أَومَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ**»: حساب الآخرة أراد أن من كان له الإيمان بالمرجع إلى يوم القيمة وخاف مناقشة الحساب لا يفعل مثل ذلك فأن من لاحظ تلك الأهوال وسرعة الزوال لا يحوم حول مثل هذا المال وإجراء هذا الكلام على وجه التهديد فأن دأب البلغاء تنزيل الشيء منزلة عدمه أن لم يعمل بمقتضاه ثم بالغ في تهديده وتوبيخه بقوله:

«**أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذوي الأَلْبَابِ**»: وفيه من الزجر والصخر ما لا يخفى.

«**كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَاماً وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ**» ولا يحل بمجرد التماسه المذكور **حَرَاماً وتَشْرَبُ حَرَاماً**: وكل ما يبتاع بهذا المال فهو حرام.

«**وتَبْتَاعُ**»: يشتري «**الإِمَاءَ وتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْمُؤْمِنِينَ والْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الأَمْوَالَ وأَحْرَزَ**»: حرس «**بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ فَاتَّقِ اللهَ وارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ**»: أي لا قيمنه كناية عن الجزاء والانتقام.

«**ولأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»: ثم مهد عذراً وقال لو أن الحسن والحسين فعلا مثل ذلك ما كانت أي مصالحه ومماثلة عندي لهما حتى أربح الباطل من مظلمتهما وذلك قوله:

«**ووَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ**»: صلح ومحبة «**ولَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وأُزِيحَ**»: أبطل «**الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا**»: بكسر الائم التي توجد ظلماً وبفتحها المصدر ولقد صدق عليه السلام في ذلك فأن من تلألأ في ساحة خاطرة أنوار الأسرار الإلهية واتعلقت عليه أبواب الوسوسة الشيطانية لا يفرق في الأحكام بين قريب وبعيد وشريف ووضيع ولا ينحرف عن الصراط المستقيم صراط الله وقريب من ذلك ما روي ما روي في الخبر ((وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[1] ثم

(١) الطبقات الكبرى لأبن سعد: ج٤ ص٧٠؛ مسند ابن راهويه: ج٢ ص٣٣٦ وآخرون تناقولوا الخبر كما هو من دون الوقوف على السند المبهم حيث إنهم يرويه عن شهاب عن عروة عن عائشة؟ وهنا استفهام لكل ذي فهم؟ كيف لنا أن نعرف من هو شهاب، ومن هو عروة، من دون ذكر أبيه أو لقبه، ومع النقص في السند فكل من لحق أخذ ممن سبق، والخبر هو بعينه خبر المخزومية التي سرقت، وأن الذي كلم النبي صلى الله عليه وآله؛ قد قاله في حق فاطمة، وأن الخبر من موضوعات عائشة، أو من أرتضى الفتنه، بين المسلمين، فنسب

حلف بأن ذلك المال لو كان من ماله لما برَ له ميراثاً بل أنفقه في سبيل الله فقال:

«**وأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي**»: ثم كنى عن ترك المعالجة والأمر بالسكينة بقوله:

«**فَضَحِّ رُوَيْداً**»: مثل أي لا تعجل وأرفق في الأمر «**فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى**»: غاية عمرك.

«**ودُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى وعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ويَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ**»: إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن أصحاب الطغيان رب أرجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا «**وَلاتَ حِينَ مَناصٍ**»: أي ليس وقت تأخر وفرار والمناص والملجأ والمفر أيضاً.

هو ربيب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وكان عامله على البحرين فعزله، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنِ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ونَزَعْتُ يَدَكَ»:

الحديث عن عائشة وأن كنت لا أُبرء عائشة عن مثل هكذا أحاديث ملفقة على رسول الله صلى الله عليه وآله .

أضف إلى ذلك؛ لو كان لبان عن غير عائشة؛ من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، أو من غير عائشة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله؛ فلم نعثر على مصدر واحد من مصادر الإمامية يروي الحديث لما فيه من إساءة لسيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله تعالى وسلامه عليها، وأن كان الحديث على وجه التشبيه، مبتدأ بـ(لو) وهو حرف تمني يفيد النفي، وهذا بعيد كل البعد عن رسول الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى فكيف بلفظ حديث بين التمني والتشبيه ؟! غير اللائقين ببضعته فاطمة صلوات الله تعالى وسلامه عليها.

نزعتها وكففتها.

«**بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِيبٍ**»: بغير «**عَلَيْكَ**»: ثم بالغ في تسليته مقسماً بقوله:

«**فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ**»: الأمارة «**وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ**» متهم.

«**وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ**»: ذكره تأكيداً «**وَلَا مَأْثُومٍ**»: بالغ عليه السلام في الجهات المقضية للعزل عنه لئلا يتقلب بالأولى يتصرف حالاً من الانقياد إلى الإفساد ثم بين سبب ذلك بقوله:

«**فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمُسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللهُ**»: قد سبق تحقيق مثل هذه الاستعارة وجعل إقامة عمود الدين سبباً لذلك المسير إيماء إلى هذه الحقيقي الذي أتصف تنوعه سيداً أولي الألباب وترغيباً لذلك المسير إيماء إلى هذه الحقيقي الذي اتصف بنوعه سيد أولي الألباب وترغيباً له إلى تركه ما يستلذ به الملوك والله سبحانه أعلم.

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وعَصَيْتَ إِمَامَكَ: أراد نفسه القدسية ثم بين ما وبخه عليه بقوله:

«**أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ**»: جمعته «**رِمَاحُهُمْ وخُيُولُهُمْ**»: أسناد مجازي لطيف.

«**وأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَكَ**»: اغتنمت الرجل اخترته، وهو قلب الاغتنام أي قسمت في المسلمين، وغنيمتهم التي هي لضعفائهم في الدين اختاروك سيداً لهم من أغراب قومك الذين لم يتهاجروا وليس لهم نصيب في الغنائم ثم

وعظه وهدده واعلمه حكم الفيء بقوله:

«**مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ**»: قد سبق الكلام في تحقق مفردات هذا القسم.

لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ: الذي نسب إليك الذي من القسمة المذكورة.

«**حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً**»: لتهوس علي وقيل لتجدن هو أنا على نسبتك وبعلك وبفعلك.

«**ولَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ**»: بأن تختار ضد ذلك.

«**ولَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا أَلَا وإِنَّ حَقَّ مَنْ كان قِبَلَكَ وقِبَلَنَا عندنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ويَصْدُرُونَ عَنْهُ والسَّلامُ**».

صدر هذا الكلام بحرف التنبيه ليتنبه السامع ويستقر في قلبه والمقصود بيان حكم الفيء بأن من يرد على ذلك الفيء من العسكر له حق ومن يصدر ويروح عنه له حق أيضاً ولا فرق في الحكم بين الورود والرجوع والله سبحانه اعلم.

طلب اللحاق وأعلم أن جماعة أدعي فيه وكل واحد يقول:

أنه ولده فنسب إلى أبيه أذا لم يظهره أمره منهم، عبيد الله بن زياد وفي عهد عمر أدعي زياد أبن أبي سفيان وكان حينئذ فاجراً، وفي عهد كان يكتب إليه أنه أخوه وكان عثمان قد ولاه على موضع أظهر البيعة له عليه السلام فتركه على أمره فاستغواه معاوية وقال: بريدة بن المفزع الحميري لمعاوية لما لحق نسب زياد بأبيه أي أبي سفيان:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

(١) «**أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ**»: طلب زلة لبك.

«**ويَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ**»: سيفك فأن الذي مبناه على التزوير يراد يصير العقل كالبشير.

«**فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ**»: ثم بين كونه شيطاناً ووجه مشابهته به تقول:

«**يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ وعَنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ**»: أي يهون عليهم أمراً الأخوة ومن خلفهم يأمرهم بجمع المال والبخل به وعن إيمانهم أفسد عليهم أمر دينه بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتجنب اللذات وتغليب الشهوات على قلوبهم وقبيل المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم أي يزين لهم الدنيا ويخوفهم بالفقر ويقول لهم لاجنة ولا نار ويثبطهم عن الحسنات ويحثهم على السيئات وإنما لم يقل من فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الإتيان منه يوحش وإنما دخل في القدام والخلف وعن اليمين والشمال لأن في الخلف والقدام معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف ومن خلف وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يبصرون ثم بين غاية إتيانه بقوله:

(١) وفي بعض متون النهج: وقَدْ عَرَفْتُ.

«**لِيَقْتَحِمَ**»: يدخل «**غَفْلَتَهُ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ**»: غفلته ثم بين منشأ ذلك النسب بقوله:

«**وقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ**»: أي فجأة من غير تردد ولا تدبر.

«**ونَزْغَةٌ**»: إفساد ووسوسة «**مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ ولَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ والْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ والنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ**» **فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها وربِّ الكعبة، ولم تزل في نفسه** كذلك **حتى ادعاه معاوية.**

قال السيد الرضي: رضي الله عنه.

قوله عليه السلام «الواغل»: هو الذي يهجم على الشَّرب: جمع شارب.

ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مدفَّعاً محاجزاً: مدافعاً.

والنوط المذبذب: هو ما يناط يعلق برجل الراكب من قدح أو ما أشبه ذلك فهو أبداً يتقلقل يتحرك إذا حث ظهره واستعجل سيره: يعني كما أن الواغل والنوط ليس لهما قرار وثبوت والمتعلق بها كذلك وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس ولله الحمد.

وأنضر أيها القائل لأدراك الكمال في هذا العتاب الشديد لأجل دعوة لم يكن فيها إلا الخير والملح والخل على ما روي.

«**أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ**»: وروي من قطان البصرة أي سكانها.

«**دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ**»: طعام «**فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا**»: ولم يفتش عنها والورع يقتضي خلاف ذلك.

«**تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ**»: أي يطلب لك من طيبات طعام الألوان.

«**وتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ**»: جمع جفنة وكأني بك تقول أليس الرسول يقول: شر الطعام طعام الوليمة ومع ذلك يحكم بوجوب القبول فما وجه تعبيره عليه السلام على إتيانه بما كان واجباً عليه فأقول: الأعذار المسقطة للوجوب وندبه وهو أن يكون في الطعام شبهة أو تخص الأغنياء أو يكون هناك من يتأذى بحضوره إلا يليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره أو لطمع في جاهه أو لتعاونه على الباطل أو يكون هناك منكر من خمر أو لهوا أو فرش حرير وصور حيوان غير مفروشة أو آنية ذهب أو فضة ومن الأعذار أن يعتذر إلى الداعي فيتركه، وقد أومأ عليه السلام إلى ذلك بقوله:

«**ومَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ**»: فقيرهم قال عز من قائل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[1] أي فقراً «**مَجْفُوٌّ**»: من الجفاء يقال جفوت الرجل لا جفيت، وأما قول الزاجر فلست بالجافي ولا المجفي فإنما بناه على جفى فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسم فاعله بني المفعول عليه.

«**وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ**»: وقد حكم الرسول بأنه شر الطعام وذلك لأن الرياء شرك خفي ثم أمره بالتثبط في الإجابة بعد توبيخه بالأسرع بقوله:

«**فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ**»: بأكله «**مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ**»: أي المأكل «**فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ**»: بأنه طيب وجهه.

«**فَأَلْفِظْهُ ومَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ**»: وللسان أن تقول فما تقول، فيما قيل من أنه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم

(١) سورة التوبة: الآية ٢٨ .

فليأكل من طعامه ولا يسأل ويشرب من شرابه ولا يسأل فأقول لا تغفل عن أخيه المسلم فإن الظاهر من حال المسلم أن يتجنب الحرام فأمره بحسن الظن به وسلوك طريق النجاة والتواد فيتجنب عن إيذائه بسؤاله ثم نبه على أن المأموم أن يتابع إمامه في أقوله وأفعاله كي يرتقي إلى معارج الكمال وينال كمال الحال فقال:

«**أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ**»: ثم بين شأنه بقوله:

«**أَلَا وإِنَّ إِمَامَكُمْ**»: يريد نفسه «**قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ومِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ**»: وفي بعض النسخ واعلم أن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه بسد فورة جوعه بقرصيه لا يعلم الفلذة في حولية إلا في سنة أضحيته وكن بقدر وعلى ذلك فأعينوني بورع واجتهاد، والطمر الثوب البالي الخلق والجمع الأطمار والعرب لهم رداء وإزار ولذلك ثنى والمراد بالورع هنا كف النفس عن المحارم وما يكدر أمره القلب لإكمال الورع وهو على ما قال حكيم: (هو الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل لحظة).

روي أن رجلاً قال: بين يدي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: ما أشد الورع.

فقال صلى الله عليه [وآله] وسلم «مأ ايسر الورع إذا رابك شيء فدعه»[1].

قيل أراد بالاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة وفي أعينوني بورع

---

(١) الحديث ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو موضوع؛ وهو: لمحمد بن سيرين ويرفعه إلى أبي بكر، كما ذكر ذلك ابن عساكر الدمشقي في تاريخ: ٥٣ ص ٢٠٢؛ وأبن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار: ج٢ ص٤٠٣، الميداني في مجمع الأمثال: ج١ ص٣٠.

إشارة إلى أن ورع المأموم وسيلة رفع أركان دولة الإمام وسرد ذلك أن المأمومين الورعين يدعون للإمام فيستجيب لهم الملك العلام فينتظم من أمره ويرفع قدره أو نقول ذلك الورع جاذب العناية الإلهية إلى الإمام والمأموم أما المأموم فظاهر وأما الإمام فلأنه الهادي وفي الخبر يحصل له مثل ما للمهتدي ثم فصل أحواله تفصيلاً فقال:

فَوَ الله مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً: ذهباً **وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً**: مالاً كثيراً «**وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً**»: فكيف ما فيه خلاف أهل الدنيا فأنه صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة هم الآمنون يوم القيامة وفي بيان زهده عليه السلام ترغيب له في الزهد الحقيقي وينبغي أن يكون الناصح لشخص موصوفاً به نصحه به شعر:

ما أقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد[1]

ثم أومأ إلى ما كان في يده وتركه أيضاً فقال:

«**بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ**»: أسم ناحية أفاء الله على رسوله من قرى اليهود فنزل قوله تعالى ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[2] أي اعطي فاطمة فدك فأعطاها رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم إياها وكانت في يدها إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فأخذت من فاطمة بعده عليه والقصة فيها طويلة وأشار إلى حصر ما في يده فيها بقوله:

---

(١) البيت: لسلم بن عمرو؛ تفسير القرطبي: ج ١ ص ٣٦٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٦ .

«**مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ**»: وأوقعت عليه الظل.

«**فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ**»: تجلب عليها.

«**وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ**»: هي نفوس أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

«**ونِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ**»: أي الحاكم القاضي إيماء إلى أنه أخذت من غير حق ثم أشار إلى أنه كحل عينه بأنوار اللاهية، وأشرقت أرض قلبه العلية بالتجليات السبحانية فيصير بمال مال الدنيا فتركه اختيارا بقوله:

«**ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظَانُّهَا**»: جمع مضنة وهي الموضع الذي يضن .

«**فِي غَدٍ جَدَثٌ**»: قبر «**تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ والْمَدَرُ وسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ وإِنَّمَا هِيَ**»: النفس المذكورة المخبر عنها بما ذكر.

«**نَفْسِي أَرُوضُهَا**»: أذللها «**بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ**»: لقوله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل: أني قد جعلت لكم نسباً وأنتم جعلتم نسبا، أني جعلت أكرمك أتقاكم وأنتم جعلتم أكرمكم أغناكم وأني أرفع نسبي يوم القيامة وأضع أنسابكم فأما المتقون فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[1].

---

(١) شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي: تفسير الرازي: لفخر الدين الرازي: ج٢٢ ص١١، وذكره الشيخ الطبرسي باختلاف يسير في تفسير مجمع البيان: ج٩ ص٢٣٠؛ الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ص٨٨.

«**وتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمُزْلَقِ**»: موضع الزلق والزلة فأنها جاذبة عن المهالك موصلة إلى ذلك ثم أشار إلى أنه عليه السلام نبذ قينات الدنيا ولذاتها وراء ظهره بالاختيار لا الاضطرار فقال: «**ولَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ولُبَابِ**»: خالص «**هَذَا الْقَمْحِ**»: الحنطة «**ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ**»: جمع نسجه وهو الثوب المنسوج وكيف لا والحال أنه كان أماماً وكان الأنام وما لهم تحت يده زماماً.

الواسطي قال: رجل لعلي بن أبي طالب عليه السلام علمني كمال الحكمة قال: أن للدنيا عليك حقاً وللآخرة عليك حقاً فمن حق الدنيا أن لا تأخذ منها ما قدرت على أخذه ثم أومأ إلى أنه أستشار صفحة قلبه بالأنوار الإلهية وارتفعت عنه ظلمات الأرض الوهم والخيال التي هي أسباب مغلوبية الشخص وغالبية نفسه الأمارة بالسوء فقال:

«**ولَكِنْ هَيْهَاتَ**»: بعد «**أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي**»:حرصي وقيل هو أشد الحرص «**إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ**»: ثم اشار إلى أن شأن الإمام أن يراعي حال المأمومين ويوافقهم بحسب الطاقة كما فعل الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال:

«**ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ولَا عَهْدَ لَهُ**»: لا لقاء له **بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً**»: [1]هو: الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل.

«**وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى**»: العرب[2] الجوع وروي لعل بالمدينة بينهما يتضور من سغبه أي يصبح من جوعه أأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى إذا تحضرني في القيامة

(١) والمبطان هو: كبير البطن، والمعنى للتشبيه وأنه عليه السلام يرفض أن يكون حاله كحال المبطان.

(٢) في قول العرب: الغرثى الجائعة .

وهو من ذكر وأنثى قوله بطون غرثى على الإضافة في هذه الرواية التي في الكتاب على الصفة والتنوين.

«وأَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ»:

وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

الحنين: الشوق وتوقان النفس والقد: جلد وكانت العرب تحرقه في الجدب يأكلونه ثم أومأ إلى أن من صار منزلاً للجذبات الإلهية يليق به أن لا يكتفي بأحكام في شأن حكام الدنيا بل يعمل ما يرفع به درجاته في العقبى فأستفهم على سبيل الأنكار فقال:

« أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ولَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ»: غلظه وخشونته ثم أشار إلى شأن الإنسان والفرق بينه وبين الحيوان فقال:

«فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ»: عن الوصول إلى الكعبة الحقيقية ونزل قينات الدنيا الدنية.

«كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا»: اللام في ليشغلني لام العرض وكاف في كالبهيمة محله النصب لا مصدر محذوف أي لم أخلق خلقة مثل خلقة البهيمة سواء كانت مربوطة أو مرسلة فالأولى بهما بالطرح إليها من العلف واشتغال البهائم تقممها أي: جمعها النبات في المرعى يقال: قمت الشاة من الأرض وأقمت أكلت من القمة يستعار فيقال: أقيم الرجل ما على الخوان إذا أكله كله ثم اشار إلى وجه الشبهة بقوله:

«**تَكْتَرِشُ**»: تجمع الكرش «**مِنْ أَعْلَافِهَا وتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا**»: فإن من لم يلبس درع التقوى وآثر الحياة الدنيا فهو شبيه بالبهيمة في الجمع والغفلة.

«**أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً**»: لاعباً ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1] وفي عدة كل من لهذه الأوصاف تنبيه لأرباب الضلال وأصحاب الغواية.

«**أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ**»: استعير الحبل لما يتوصل به إلى الضلالة الأبدية وهي الأعمال الشرية ورشحها بالحر وكنى به عن كثرتها.

«**أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمُتَاهَةِ**»: أي أجد طريق التحريم ثم أشار إلى أن قوته كانت من القوة الرحمانية لا من القوة الغذائية فأنه كان يأكل القليل من السويق، ويقلع بالخنصر باب الخيبر قال عليه السلام: «**وكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ**»: أعقده واعجزه «**الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ ومُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ**»: ثم نبه على أن الحكم بأن القوة من الغذاء من الحكم الوهم والعقل الخالص يحكم بأن الله سبحان إذا أن أراد أن يلبس أحد أخلة القوة من غير أن يأكل غذا أرباب الترفيه فيفعل ولا مانع عنه ومثل ذلك بالأشجار ليدل من ذلك المرام لأولي الأبصار فقال عليه السلام:

«**أَلَا وإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً**»: مع أنه لا يسقي بالماء.

«**والرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً والنَّابِتَاتِ الْغَذِيَّةَ**»: بسكون الذال زرع لا يسقى إلا المطر. «**أَقْوَى وَقُوداً وأَبْطَأُ خُمُوداً**»: أقوى وقوداً أو أبطئ خموداً ضرب عليه السلام مثلاً نفسياً قدسي كشجرة برية ووجهه أنها اشد قوة من الحضرية مع أنها

(١) سورة الزلزلة: الآية ٦ – ٨.

لا شرب لها من يسقي الحظرية كذلك من أقدم سبيل المجاهدة وشرب سلسال المشاهدة يأكل قليلاً من خشن الطعام ويقدر على ما لم يحط به علماء الأنام وشجعان الإيام وما هو إلا بقوة القوة المتين والملك الحق المبين ثم زاد المرام توضيحاً بالنسبة والتمثيل بالنبات الغذية وأستجرح وجه الشبهة من نفسه الزكية ولعمري أنه عليه السلام ركض مراكب القوى والجوارح في مضمار الراضية والعبادة فأتاه الله خصائص يكاد يوصف بالتضاد وحلاوة بلطائف بجمع اسباب السعادة.

إذ أن هذه الشدة والبطش والغلظة والبأس والفذ والقط وشق الهام وحقه الأقدام من خشوعه وخضوعه راغباً وراهباً ويدرعه من الزهادة والعبادة بسربال سابغ ورداء سائل واتصافه برقة قلب و هموع طرف، وانسكاب دمع، وتأوه حزين، وإخبات منيب، وشعف عيشة وجشب غذاء، وتقلل قوت وخشونة لباس، وتطليق الدنيا وزهرتها، ومواصلة الأوراد، واستغراق الأوقات بها والإشفاق على الضعيف والرحمة للمسكين، والتحلي بخلال خير لا يتأتى إلا لمنقطع في كن جبل لا يصحب إنسا ولا يسمع من البشر حسا مع المبالغة في معاتبة نفسه على التقصير في الطاعة وهو مطيل في العبادة شعر صفات أمير المؤمنين أمير المؤمنين من أقتفى مدارجها أفنية ثواب ثوابه صفات جلاله ما اعتدى بلبانها سواه ولا جلب بغير جناية يقفوها طفلاً وكهلا وأنبعث معاني المعاني فهل ملأ إهابه مناقب من قامت به شهدت له بأزلافه من ربه واقترابه مناقب لطف الله أنزلها له وشرف ذكراه بها في كتابه؛ ثم أنه عليه السلام من أجل المقام ذكر من بين خصائصه قربه من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم تنبيهاً على أن لا فرق بينمها في فيضان القوة الإلهية عليهما من غير أكثار في الطعام فقال عليه السلام:

«**وأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**»: الصنو الغصن الخارج من أصل الشجرة هما صنوا دوحة ثم أستعير فقيل فلان صنو أبيه وقريب مما ذكره عليه السلام ما روي عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال «أن علياً مني وأنا من علي فلا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[1] ونحوهما كثير ثم أبرز شجاعته ووثوقه بالله وتوكل على الله فقال: «**والله لَوْ تَظَاهَرَتِ**»: تعاونت «**الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا**»: فأنه كان شديد القلب عند البأس والانهزام يكون بحسب الحين ثم أومأ إلى تأخيره في مبارزة معاوية وسائر أعدائه بسبب الموانع فقال:

«**ولَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ والْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ**»: تطهير الأرض كناية عن أهلاك معاوية وهو المشار إليه بهذا يقال عكسه الشيطان كما قال: لاحتنكن ذريته والركس رد الشيء مقلوباً قال الله سبحانه ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾[2] أي ردهم إلى عقاب كفرهم وأراد معاوية عليه بالجسم المركوس أن الشيطان جعل معاوية مدبراً ودعاه إلى الارتداد.

«**حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ**»: يقال أبدلني مجهودي حتى أتقي الحبوب من المدر وحتى اخرج المتدعين من بين المؤمن والمدرة واحدة وهي صغار

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق؛ بزيادة بعض الصفاة والمناقب: ص٨٨؛ روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٠١؛ وأسد الغابة لابن الأثير: ج٤ ص٢٧؛ الاصابة لأبن حجر: ج٤ ص٤٦٨؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص٤٨١. أما عبارة (لا يؤدي عني ألا أنا أو رجل من أهل بيتي فقد رواها الشيخ الصدوق في علل الشرائع: ج١ ص١٨٩؛ والقاضي النعمان في شرح الأخبار: ج٢ ص١٧٩، وما زال الكثير من المصادر تركتها رعاية للأختصار.

(٢) سورة النساء الآية ٨٨ .

قطع اليابس الأزهري في قوله تعالى وحب الحصيد أي حب الزرع المحصود.

أبن عرفة أي ما تحصد من أنواع النبات والحب هو الحصيد وهذا هو الحصيد وهذا مثل ضربه لما ذكر به ثم أشار إلى تزهده في الدنيا فقال:

«**إِلَيْكِ عَنِّي**»: أي أبعدي عني «**يَا دُنْيَا**»: وهمي زينك إليك من قربي.

«**فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ**»: أي اذهبي حيث شئت، كانوا في الجاهلية يطلقون ذلك ونحوه،وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الحطام ألقي على غاربها لا أنها أذا رأت الحطام لم يهنئها شيء.

«**قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ**»: أنسللت خرجت والمخلب للطائر والسباع بمنزلة الظفر من الإنسان وفيه استعارة بالكناية وتخيل وترشيح يظهر بأدنى تأمل.

«**وأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ**»: أي تركت زخارفك التي من أحبها فقد قيد قلبه وحقيقة هذا التركيب أقلت نفسي من حبالك فحذف المفعول.

«**واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَذاهِبِكِ**»[1]: وأعلم أنه عليه السلام جعل الدنيا مخاطبة بمنزلة ذوي العقول وعدمها ما تنفر السامع عنها لتنصره بعين القبول ويسلك مثل هذا من له درته في أساليب الكلام وفصاحته الفاظه وبلاغة معانيه فقال عليه السلام:

«**أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ**»: الدنيا كالهزل في عدم ترتيب الفائدة والاشتغال في زمن القليل.

«**أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ**»: تولدت الباء من الإشباع «**بِزَخَارِفِكِ**»: قد ذكرت

(١) ورد في بعض متون النهج: مَدَاحِضِكِ.

أن الزخرف في الأصل الذهب.

«**فَهَا هُمْ**»: ضمير الأمم «**رَهَائِنُ الْقُبُورِ**»: قد سبق وجه هذه الاستعارة واراد بهم تركوا مقيمين في قبورهم.

«**ومَضَامِينُ اللُّحُودِ**»: المضامين اللحود في الأصل ما في أصلاً الفحول ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وذكره هنا مجاز ثم حلف لو كانت الدنيا قالباً حسيناً وروي كذا أيضاً لأقام عليها حد الله في حق عبادة غرتهم والفهم في المهالك فقال:

«**والله لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وقَالَباً حِسِّيّاً**»: وفي بعض النسخ حسناً وإنما خصص الشخص والقالب لأن غير المرئي والحسي خارج عن القوة البشرية.

«**لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ الله فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ وأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي ومُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ وأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ**»: القبر ومواضع الحساب والسقر.

«**إِذْ لَا وِرْدَ**»: إلى الدنيا «**ولَا صَدَرَ**»: الرجوع عن تلك الموارد «**هَيْهَاتَ**»: بعد كل من الورود والرجوع ثم ذمها بمذام أخرى فقال:

«**مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ**»: المكان الدحض الذي لا يثبت عليها القدم

«**زَلِقَ ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ**»: جمع لجة البحر وهي معظمه.

«**غَرِقَ ومَنِ أُزْوَرَّ**»: أعرض «**عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ والسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ والدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ**»: أراد بالمناخ هنا الموضع والانسلاخ بمعنى الذهاب أراد أن من تخلص من مخالب الدنيا ورأى بعين البصيرة أهوال العقبى لا يريدها كما لا يريد المرء يوماً قرب فيه زواله هذا على تقدير رجع

الضمير في انسلاخه إلى السالم ويحتمل رجوعه إلى اليوم ومعناه أن يوماً قرب فيه انتهاؤه بجعله في معرض النسيان ولا يقصد إليه للعمل فيه كذلك السالم يجعل الدنيا نسياً منسياً ولا يقصدها للادخار.

حكي أن محمد بن سلمان الهاشمي كنت إلى رابعة البصرية: أما بعد فأن الله تعالى أعطاني عن علة الدنيا في كل يوم ثماني ألف درهم وليس بمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصيرها لك ومثلها فأجاب أما بعد فأن الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة منها تورث الهم والحزن فهي زادك وكن بيد وكن وصي نفسك وضم الدهر واجعل قطرك الموت واعلم أن الله تعالى لو خولني إضعاف ما خولك ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين فمن أراد أن ينجوا غداً من حساب الآخرة وأهوال القيامة فليختر العبادة والقناعة، فأن العابد القانع بمكان من الله تعالى ليس احد بمكانه ثم كرر أمره بالتباعد تنبيهاً على غاية بعد خاطره عليه السلام عنها فقال:

«**اعْزُبِي عَنِّي**»: ثم قسم بأنه لا ينقاد لاستقرار ما تنفر عنها بعد خاطره عليه السلام عنها فقال: «**فَوَاللهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي ولَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي**»: من الانقياد أرشاد العباد ثم قسم وعلقه بالمشيئة تأذيناً وإعلاماً للناس بذلك وتنبيهاً على أن الأنوار بمشيئة الله وإرادته فقال: «**وأُيْمُ اللهِ يَمِيناً**»: نصب على المصدر.

«**أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ لأَرُوضَنَّ**»: وذللن «**نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ**»: يرتاح ويبهر.

«**مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ**»: عهد إلى ما مر.

«**إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً**»: نصب على الحال.

«**وتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً**»: الآدام «**ولأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ**»: غار في الأرض.

«**مَعِينُهَا**»: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض.

«**مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا**»: أي لا تلين حتى استفرغ دموعي وارتقبها جميعاً يقال: استفرغت مجهودي في كذا أي بذلته واستفرغت الماء وأفرغت وصيته روي أبو ريحانه أنه قال: رسول الله صلى الله عليه-وآله- وسلم حرمت النار على ثلاث أعين عين سهرت في سبيل الله وعين بكت ودمعت عن خشية الله وكف عن الثالثة ولم يذكرها وري عنه عليه السلام أنه قال: أمحوا الميثياب من العثرات بالمثلات من العبرات وكأني بك تقول: إذا البكاء لغران الذنوب، فما وجه بكاء المعصوم المنزه عنها، بل أن عصمته عن غبار الإثم.

أقول: سأل الجنيد رحمه الله هل للعارف أن يبكي قال: العارفون يبكون شوقاً إلى المحبوب، والمذنبون يبكون خوفاً من الذنوب ولذا قال: بعض العرفاء البكاء رشحات قراب القلوب عند حرارة الشوق والعشق.

شعر:

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي ... فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي إلى من قد هويت أطير[1]

ثم أشار إلى أن كثرة الأكل والشرب والنوم، شأن الأنعام ومن سلك هذا السبيل فأولئك كالأنعام.

فصدر عليه السلام الكلام بهمزة تقريراً لمدخولها وأنكار لأن ذلك شأنه فقال:

(١) شرح ابن عقيل الهمداني: ج ١ ص ١٤٨.

«**أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ**»: الأنعام التي ترعى بلا راعي.

«**مِنْ رِعْيِهَا**»: بكسر الراء النبات الذي يرعى وبفتحها المصدر.

«**فَتَبْرُكَ وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا**»: نباتها .

«**فَتَرْبِضَ ويَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ**»: يرقد وينام ثم دعا له في مقام الزجر ترحماً وإشفاقاً فقال: «**قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ**»: سرت؛ قال: عز من قائل: كي تقر عينها وقيل معناه بردت فصحت وقيل بل لأن للسرور ودمعة قارة فلذلك قال: فيمن يدعي إليه أسجن الله عينيه.

«**إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ**»: المسترسلة «**والسَّائِمَةِ الْمُرْعِيَّةِ**»: وفيه تنبيه لأرباب الأكل والشرب على أنهم كالبهيمة والسائمة وفي الخبر أنه قال صلى الله عليه [وآله] وسلم لا ((تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت بها كالزرع إذا كثر عليه الماء))[1] ثم دعا لمن به فيما ذكر فقال:

«**طُوبَى**»: لنفس مبتدأ وخبر أي الحال المستطابة «**لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا**»: فأنه مقدم على سائر الطاعات.

«**وعَرَكَتْ**»: ذللت «**بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا**»: شدتها أي صبرت على الشدة واختيار العبارة المذكورة لأجل الكناية والتخيل والترشيح لما فيها من البلاغة.

«**وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا**»: نومها «**حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى**»: النوم «**عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا**»: اتخذت الأرض فراشاً.

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري: ص٤٥٣؛ التخويف من النار لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي البغدادي الدمشقي: ص٢٤.

«**وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ**»: أي بين معشر جماعة «**أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وهَمْهَمَتْ**»: صوبت «**بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ**»: أي ذهبت ذهاب السحاب فأن الله قد وعد أن من تاب من ذنوبه فأنه تعالى يغفرها تفصيلاً، وأعلم أنه عليه السلام في بعض عظماء أجراً المجاهدة وقد حرص النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم على قيام الليل بمثل قوله تعالى يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فأن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فأن توضأ أنحلت عقدة؛ فأن صلى أحلت عقدة؛ فاصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان مثلت حالة من لم يتكاسل ولم ينم عن وظائفه التي تسرع به إلى مقام الزلفى وتبسطه إلى مقام السعادة العظمى فكلما همت النفس اللوامة بالسلوك يداركها التوفيق بالخلاص من نفس الشيطان في عقد نفس الأمارة بالسوء؛ فتصبح مطمئنة نشيطة القلب طيبة النفس ظاهراً في سيماها أثر السجود بحالة من أسره العدو ووسد على قفاه بربقة الأسر عقدة بعد عقدة استئنافاً وهو يجري الخلاص منه بلطائف حيلة مرة بعد أخرى حتى يتخلص منه بالكلية ويذهب سبيله بلا منازع ولا مخاصم بخلاف من أطاع الشيطان حتى تمكن من النفس الأمارة بضرب العقد على فاقة رأسه فهل يستويان﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، وأعلم أن أسالك الناسك يتفكر في عجائب الملك والملكوت ويعرج إلى عالم الجبروت حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال؛ فينفتح لسانه بالذكر؛ ثم بدنه روحه بالتأهب والوقوف في مقام التناجي والدعاء وكان في دعاء رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم

(١) سورة الملك: الآية ٢٢ .

في الليل اللهم أجعل في قلبي وراً إلي وفي شعري وبشري طلب النور للأعضاء عضواً عضواً ومعناه أن يتجلى بأنوار المعرفة والطاعة ويتعزى عن ظلمة الجهالة والمعاصي لأن الإنسان ذو سهو وطغيان، رأى أن ظلمات الحيلة مفطورة عليه من فرقه إلى قدمه والأدخنة الثائرة من نيران الشهوات من جوانبه ورأي الشيطان يأتيه من الجهات الست بوساوسه وشبهاته ظلمات بعضها فوق بعض فلم ير للتخلص منها مساغات إلا بأنواره سادة لتلك الجهات فسأل الله سبحانه أن يمده بها ليستأصل شاقة تلك الظلمات إرشادا للأمة وتعليماً لهم ثم أقتبس عليه السلام من القرآن الكريم فقال مدحاً لهم وتعريضاً على مخاليفهم.

﴿أُولئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وفيه أشارة إلى أنهم يستحقون من الفيوض ما لا يتناهى بخلاف الذين ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ الله أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] وبالله التوفيق[3].

نصيحة له فصدره بما يجذبه إلى القبول فقال: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ**» أي أجعله كالأظهر لأجل نفسي .

«**عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ**»: تقويمه «**وأَقْمَعُ**»: السر «**بِهِ نَخْوَةَ**»: تكثر «**الأَثِيمِ**»: ذي أثم يعني معاوية شبهه بالحطب في أن كلا منهما سبب اشتعال النار وجعل أهلاك معاوية بمثابة الضرب بالمقمعة، «**وأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ**»: اللهاة اللحمة

(١) سورة المجالدة: الآية ٢٢ .

(٢) سورة المجالدة: الآية ١٩ .

(٣) ورد في بعض متون النهج: فَاتَّقِ اللهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ ولْتَكْفكَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ.

المشرفة على الحلق وقيل بل هو أقصى الفم استعير لثلمه في موضع المجاز.

«**فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ**»: حملك على الهم.

«**واخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ**»: الصعب قبضته حشيش مختلط الرطب باليابس استعير هنا اللبن المخلوط ووجه الشبهة الاختلاط.

«**وأَرْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ**»: المدارات «**أَرْفَقَ**»: أصلح وأصوب «**واعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ**»: الاعتزام لزوم القصد في العزيمة في الأمر بالجد.

«**حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ**»: حين لا تعنى ألا الشدة فيه تنبيه سلوك سبيل الرفق بقدر الإمكان وفي الخبر أن أفضل العباد عند الله منزلة يوم القيامة أمام عادل رفيق في الحديث أيضاً الرفق يمن والحرق شؤم وفيه أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يكون الخرق في شيء إلا شانه.

وجعل الرفيق رديفاً للعادل من باب التكميل كما قال الشاعر:

حَلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أَهلَه ... مع الحِلْمِ في عَيْنِ العَدُوِّ مَهيبُ[1]

[2]«**واخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ** [3]**وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ**»: أي تساهلًا ومدارتاً لهم تأكيداً لما قبله وقد سبق وجه هاتين الاستعارتين.

---

(١) البيت: لكعبُ بنُ سَعْدٍ الغَنَوِيُّ: لسان العرب لابن منضور: ج١ ص ٣٢٨ .

(٢) ورد في بعض متون النهج: إلاَّ الشِّدَّةُ.

(٣) ورد في بعض متون النهج: وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ.

«**وآسِ**[1] **بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ والإِشَارَةِ والتَّحِيَّةِ**»: أي أصلح بينهم فيها ولا تخص بينهم كيلا يورث العدواة بينهم وقال: بعض الناس لعله عليه السلام قال: ساوي بينهم في اللحظة ومن واسى فقد ساوى؛ ثم بين غاية التخصيص فقال:

«**حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ**»: ميلك وجورك «**ولَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ**»: والسلام فأن من رأى أم ميل الحاكم إليه وأن شأن عنده يطمع أن يؤتيه ما نفع له ولو كان مضراً على غيره وتتأس الضعيف من عدله له لذلك أيضاً كان بعض الأئمة إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذوناً ولا تأكلوا نقيّاً، ولا تلبسوا رقيقاً، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس. فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلّت بكم العقوبة. وبالله التوفيق.

ومن وصيّة له عليه السّلام للحسن والحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

«**أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى الله**»: وهي كما قال: بعض المحققين الاقتداء بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قولاً وفعلاً فعلى هذا ما ذكر بعده تفصيل هذا الأجمال.

«**وأَلَّا تَبْغِيَا**»: تطلبا «**الدُّنْيَا وإِنْ بَغَتْكُمَا**»: كما فعل عليه السلام روي أنه كان عليه السلام وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات قد ابنتك ثلاثاً لا رجعت لي فيك وسيجيئ في كلامه عليه السلام.

«**ولَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا**»: قد سبق بيان ذلك في مثل هذه الوصية.

---

(١) آس يؤوس أوسا، والاسم: الإياس، وهو من العوض؛ العين للخليل الفراهيدي في العين: ج٧ ص٣٢٩، والمعنى أجعل فيما بينهم المساواة والعوض حتى في النظرة والتحية.

«**وقُولَا بِالْحَقِّ واعْمَلَا للآخرة**»[1]: أي قولًا ملتبساً بالحق والصدق ولو كان مراماً وأسمعوا إلى الطاعة التي هي وسيلة ثوب ثواب الآخرة واللام لام العاقبة لا الغرض فأن المأمور به في القرآن الكريم العمل بالإخلاص ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ﴾[2] وهو كما قال بعض المحققين أن لا تطلب بعملك شيئاً غير الله.

«**وكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً**»: لا معيناً فأن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «من أعان ظالماً فقد ولى الإسلام وراء ظهره»[3] .

«**ولِلْمَظْلُومِ عَوْناً**»: معيناً فأن ذلك من كمال العقل ثم عمم الوصية فقال:

«**أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ ونَظْمِ أَمْرِكُمْ**»: سلك مسلك الالتفات.

«**وصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ**»: أي الحال التي بين الرجل وأهله وما بين الرجلين أو القبيلتين والمراد هاهنا ما بين المسلمين .

والبين: الوصل كما قال تعالى ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[4].

«**فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلّى الله عليه وآله وسلّم يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ**»: يجوز أن يكون الذات عبارة عن النفس كأنه قال

---

(١) ورد في بعض متون النهج: لِلأَجْرِ.

(٢) سورة البينة الآية ٥ .

(٣) الأحكام ليحيى بن الحسين: ج ٢ ص ٥٨٣؛ ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٢٧٤؛ وباختلاف يسير مثل «من أعان ظالما سلطه الله عليه» الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي في: ج٣ ص ١٠٥٨ .

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

صلاح نفس الرجل الذي ذب إليه الفساد بين الناس خير من كثير نوافل الصلاة والصوم ثم رعب إلى رعاية حال الايتام فقال: «**اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ**»: أي أتقوا الله في الإيتام سراً وجهراً.

فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ: أي أطعموهم كل يوم وأحسنوا إليهم كل ليلة ولا تغفلوا عنهم ساعة ويقال: فلا تغيباه عطائه أي لا تنسيا يوماً دون يوم بل تأتيا كل يوم ولما كان المطلوب الإحسان إليهم ذلك إلى الأفواه.

ولَا يَضِيعُوا: حقوقهم **بِحَضْرَتِكُمْ**: عندكم ثم أوصى للجار لاهتمام الشارع في شأنه فقال:

واللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ: فيه مبالغة لطيفة **مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ**: في الخبر لا تحتقرن جارة لجارته ولو فرش شاة وهو من النهي، وهو من النهي عن الشيء والأمر بضده كنايه عن التحاب والتواد كأنه قيل لتحاب جارة جارتها بإرسال هدية ولو كانت حقيرة والفرش عظم قليل اللحم والترغيبات في الإشفاق على الجار ودفع المضار عنهم كثيره مذكورة في كتب الأحاديث.

واللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ: لا يغلبنكم **بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ**: ندبهم إلى العمل بما في القرآن لأنه هو المقصود بالذات والقراءة تابع وقد قال صلى الله عليه [وآله] وسلم المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة [1]، والمؤمن الذي لا يقرأ

---

(١) الأترج الظاهر هو: فاكهة من صنف الحمضيات، المعروف في زماننا بالنارنج: ولغة: ترج: الأُتْرُجُّ، معروف، واحدته تُرُنْجَةٌ وأُتْرُجَّةٌ؛ قال علقمة بن عَبَدة:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْحُ العَبِيرِ بها ... كَأَنَّ تَطْيابَها، في الأَنْفِ، مَشْمُومُ:

القرآن ويعمل به كالتمرة وسر ذلك أن الأترجة أفضل ما يؤخذ من الثمار في سائر البلدان وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها فمن ذلك كبر جرمها وحسن منظرها وطيب مطعمها ولين ملمسها يأخذ الأبصار صنعه ولو نافع لونها يسر الناضرين تتوق إليها النفس قبل التناول وغيرها يظهر بالتأمل الصادق بخلاف التمرة ثم أن كلام الله المجيد تأثير في باطن العبد وظاهره والعباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القاري ومنهم من تأثر باطنه دون ظاهرة وهو المؤمن الذي لم يقرأه ويعمل به وأن الباطن أولى من الظاهر وأما الجمع بينهما فهو نور على نور. «**واللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ**»: قد سبق الكلام فيها وفي فضلها.

«**واللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ**»: أراد الكعبة «**لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ**»: أي لا تتركوه خالياً من الحج بقية عمركم.

«**فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا يوم القيامة**»: بل يدخلون النار بغير مناظرة ولا محاسبة وذلك من باب المبالغة والتشديد والإيذاء بعظمة شأن الحج وتغليظاً له على تركه، ومن الحديث ما روي عليه السلام عن رسول اله صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه «من ملك زاد أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً»[1] يعني أن وفاته على اليهودية والنصرانية سواء فيما فعله من كفران نعم الله ونزل ما أمر به والانهماك في معصيته.

«**واللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ الله**»: فانه قال: صلى

لسان العرب لأبن منظور: ج٢ ص٢١٨؛ نهاية الأرب للنويري: ج١١ ص١٧، وجملة كبيرة من فوائد الأترج لم يسع المقام ذكره فمن شاء فليراجع .

(١) بدائع الصنائع لابي بكر الكاشاني: ج٢ ص١١٨؛ الفتوحات المكية لابن عربي: ج١ ص٧٣٧.

الله عليه [وآله] وسلم «افضل الأعمال الجهاد في سبيل الله»[1] وقال «من لقي الله تعالى بغير أثر من جهاد لقي الله تعالى وفيه ثلمة»[2] قال: بعض أهل المعرفة بياناً بيناً لقوله عليه السلام:

الجهاد على أربع اصناف جهاد مع الكافر الظاهر قوله تعالى ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله﴾[3] وجهاد مع الكافر الباطن قوله عز وجل ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[4] وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة قوله عز من قائل ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5] وجهاد مع النفس الأمارة قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[6] ثم أمر بما يبتني عليه الشرع وندبنا إليه الرسول فقال:

«**وعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ**»: فأنكم مستوون في كونكم عبيد الله تعالى وملتكم ملة واحد فالتدابر والتقاطع منافية لحالكم فالواجب عليكم أن تكونوا أخواناً متواصلين متبادلين ومتآلفين قال: جل ذكره ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[7] وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «لا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٧٠؛ وسنن النسائي: للنسائي: ج٧ ص١٥٤؛ السنن الكبرى كذلك للنسائي: ج٤ ص٤٣١؛ فتح الباري لابن حجر: ج٢ ص١٥٧؛ باختلاف يسير.

(٢) سنن الترمذي: ج٣ ص١٠٨؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري في: ص٣٣١ .

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٤) سورة فاطر: لآية: ٦.

(٥) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٠٣ .

يحل لمسلم أن يهجر أخاه ثلاث فمات دخل النار»[1] وأعلم أنه عليه السلام اراد ما يكون بين المسلمين من غيب ووجد أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان ذلك في جانب الدين فأن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق فأنه صلى الله عليه [وآله] وسلم لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً، وقد هجر نسائه شهراً.

«**لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ**»: فأن المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذي في أعلاها فنادوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك ؟ قال: يأتيهم ولا مد لي من الماء فأن أخذوا على يده أنجوه وأنجوا انفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم ثم أشار إلى مضرة من مضرات الترك بقوله:

«**يُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»: وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «لتدعّن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتُدعْن فلا يستجاب لكم»[2] وقد سبق من كلام في شرط الإيمان فلا تغفل ثم أشار إلى حكم قصاص جانبه بقوله:

«**ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ**

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٦ ص٩٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٩٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٨ ص٦٧؛ المعجم الكبير للطبراني: ج١٨ ص٣١٥.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج٥ ص٣٨٩؛ الترمذي في سننه: ج٣ ص٣١٧؛ السنن الكبرى لاحمد بن الحسين البيهقي: ج١٠ ص٩٣؛ شعب الإيمان للبهيقي ج ٦ ص ٨٤ .

قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»: كما هو دأب أقرباء الحكام فأنه قد يقتل بواحد قبيلة.

«أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي»: لقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[1].

«انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ»: أمثلة جعله مثله.

«فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»: وكأني بك تقول: فيما روي عن أنس بن مالك قال: قدم على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم نفر من عكل[2] فاسلموا فاجتووا[3] المدينة فأمرهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا، فارتدوا وقتلوا رعاتها أو رعاءها وساقوها فبعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في طلبهم قافية فآتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم[4] حتى ماتوا[5].

فأقول: اختلوا في معنى الحديث فقيل كان هذا قبل نزول آية الحدود وآية

---

(١) سورة المائدة: الآية٤٥.

(٢) حي من بجيلة من قحطان، بطن من أثمار بن ارات من كهلان من الفحطانية، وقيل حي من قضاعة: كما ذكره الشيخ الطوسي في الخلاف: ج ٤ هامش ص: ٤٨٧

(٣) اجتووا وهو مشتق من الجوى داء في الجوف يحصل لعدم موافقة جو البلد للوافد إليه وقيل هو السل . تاج العروس ١٠: ٧٩ .

(٤) ولم يحسمهم: بمعنى لم يحسم أمرهم بالقتل حتى ماتوا من حالهم هذا .

(٥) وقد ذكر أغلب من تعرض لتعريفهم قصة ارتدادهم وسوقهم إبل الصدقة وقتل النبي لهم يقنظر: تاج العروس:ج ٩ ص٢٧٧، الأنساب: ٣٨٩؛ الخلاف للشيخ الطوسي: ج٤ هامش ص٤٨٧.

المحاربة مع قطاع الطريق والنهي عن المثلة فهو منسوخ وفيه نزلت الآية وإنما فعل ذلك صلى الله عليه [وآله] وسلم قصاصاً ويقال: مثل بهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مع نهيه عن المثلة لعظم جرمهم فأنهم جمعوا بين الارتداد ونبذ العهد والاغتيال وقتل النفس ونهب المال والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال يقال: مثلت الرجل أمثلة إذا قطعت أنفه أو أذنه أو ما أشبه ذلك والكلب العقور الذي يجرح كل أحد بأسنانه.

وروي لا تمثل وهو الأصل والتشديد للتنكير وروي الثقاة من أرباب التواريخ هكذا لما ضربه أبن ملجم لعنه الله، دعا الحسن والحسين عليهما السلام ثم نظر إليهما فقال: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، قولا بالحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع وأصنعا للآخرة وكونوا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، أعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال: حفظت بما أوصيت به أخويك قال: نعم قال: فأني أوصيك بمثله وأوصيك بتوفير أخويك لعظم حقهما عليك فلا توثق أمراً دونهما ثم قال: أوصيكما به فأنه شقيقكما وأثر أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال: للحسن أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بمحلهما فأنه لا صلاة إلا بطهور ولا تقبل الصلاة ممن منع الزكاة وأوصيك بعفو الذنب وكظم الغيض وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش فلما حضرة الوفاة أوصي وكانت وصيته: «**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَوْصَى بِه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوْصَى أَنَّه يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه أَرْسَلَه بِالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ**

كُلِّه ولَوْ كَرِه المُشْرِكُونَ صَلَّى الله عَلَيْه وآلِه ثُمَّ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَه وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ ثُمَّ إنِّي أُوصِيكَ يَا حَسَنُ وجَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِي ووُلْدِي ومَنْ بَلَغَه كِتَابِي بِتَقْوَى الله رَبِّكُمْ ولَا تَمُوتُنَّ إلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً ولَا تَفَرَّقُوا فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ص يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ.

انْظُرُوا ذَوِي أَرْحَامِكُمْ فَصِلُوهُمْ يُهَوِّنِ الله عَلَيْكُمُ الْحِسَابَ، الله الله فِي جِيرَانِكُمْ فَإنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه -وآله- وسلم أَوْصَى بِهِمْ ومَا زَالَ رَسُولُ الله ص يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّه سَيُوَرِّثُهُمْ، الله الله فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ فَلَا يَخْلُو مِنْكُمْ مَا بَقِيتُمْ فَإنَّه إنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا وأَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِه مَنْ أَمَّه أَنْ يُغْفَرَ لَه مَا سَلَفَ الله الله فِي الصَّلَاةِ فَإنَّهَا خَيْرُ الْعَمَلِ إنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ الله الله فِي الزَّكَاةِ فَإنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ الله الله فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَإنَّ صِيَامَه جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ الله الله فِي الْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِينِ فَشَارِكُوهُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ الله الله فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ فَإنَّمَا يُجَاهِدُ رَجُلَانِ إمَامٌ هُدًى أَوْ مُطِيعٌ لَه مُقْتَدٍ بِهُدَاه الله الله فِي ذُرِّيَّةِ نَبِيِّكُمْ فَلَا يُظْلَمَنَّ بِحَضْرَتِكُمْ وبَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ وأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهُمْ الله الله فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكُمُ الَّذِينَ لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثاً ولَمْ يُؤْوُوا مُحْدِثاً فَإنَّ رَسُولَ الله ص أَوْصَى بِهِمْ ولَعَنَ المُحْدِثَ مِنْهُمْ ومِنْ غَيْرِهِمْ والمُؤْوِيَ لِلْمُحْدِثِ الله الله فِي النِّسَاءِ وفِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَإنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِه نَبِيُّكُمْ ع أَنْ قَالَ أُوصِيكُمْ بِالضَّعِيفَيْنِ النِّسَاءِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمُ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ لَا تَخَافُوا فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ يَكْفِكُمُ الله مَنْ آذَاكُمْ وبَغَى عَلَيْكُمْ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كَمَا أَمَرَكُمُ الله عَزَّ وجَلَّ ولَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلِّيَ الله أَمْرَكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ وعَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ والتَّبَارِّ وإيَّاكُمْ والتَّقَاطُعَ والتَّدَابُرَ والتَّفَرُّقَ وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى ولَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ واتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ حَفِظَكُمُ الله مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ وحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيَّكُمْ أَسْتَوْدِعُكُمُ الله وأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ ورَحْمَةَ الله وبَرَكَاتِه».

وأسال الله سبحانه أن يوفقنا للعمل بما في وصيته عليه السلام.

«**فَإِنَّ الْبَغْيَ والزُّورَ يُوتِغَان**»: يغشيان «**الْمَرْءَ**[1] **ويُبْدِيَانِ**»: يظهران «**خَلَلَهُ**: عورته «**عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ**»: طلب تجاوز الاقتصاد وهو على ضربين محمود ومذموم وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع ومذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما يجاوزه إلى الشبه كما قال الحق بين والباطل بين ذلك أمور مشتبهات ومن زيغ حول الحمى فأشك أن يقع فيه ولأن البغي قد يكون محموداً أو قد يكون مذموماً قال: تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[2] والمراد هنا المذموم وقيل للكذب زور كونه مائلًا عن جهته ويحتمل أن يكون هذه كبرى قياس ضمير تقديره أنك موصوف بالبغي والزور، وكل من يتصف بهما فيكشف الغطاء عن قباحة فعله ويفتضح فأنت يا معاوية تكون كذلك.

أما الصغرى فظاهرة نقلاً وعقلاً وقد سبق بيان ذلك وأما الكبرى فلأنها أخبر بها الصادق المصدوق لكل غادر لواء يوم القيامة ما من ذنب أحذر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ما يدخر له في الآخرة من البغي قطيعة الرحم أن الباطل كان زهوقا وأيضاً الحكمة الإلهية مانعة عن أن يكون الصادق والكاذب والباغي والمحق على واحد دائماً.

---

(١) ورد بعض متون النهج فِي دِينِهِ ودُنْيَاهُ.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٢ .

«**وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ**» قدر «**فَوَاتُهُ**»: أي علمت أن لا عاقبة للبغي والزور فحقيق بك أن لا يلوي عنقك عن ربقة انقياد الإمام الحق حتى تنال سعادة الدارين ثم نبه على أن الخلافة حقه فقال:

«**وقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا**[1] **عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ**»: أي طلب قوماً بعد قوم أمر هذه لأمة ولم يكن في الحق أن يطلبوه فتناولوا القرآن كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾[2] فقالوا لمن نصبوهم من الأمراء أولي الأمر متحكمين على الله فأكذبهم الله بكونهم ظلمة أذ لا يكون الولي من قبل الله ظالماً.

«**فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ**»: أي وحد عاقبة عمله جهده وروي يغتبط يتمنى مثل حال الرجل.

«**ويَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ**»: قوده «**فَلَمْ يُجَاذِبْهُ**»: يناع الشيطان قياده.

«**وقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ ولَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ولَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا ولَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ والسَّلَامُ**»: أما أنه لم يكن من أهل القرآن فلأنه لو كان من أهله لعمل به والقرآن ناهي عن البغي وأمر بمقابلة الباغي ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[3] من إطاعة الإمام وفي لسنا إلى آخره رد على معاوية وقلب ما جال في قلبه قال: عليه السلام قبلنا ما دعانا القرآن إليه من هذه الخبيثة لا من حيث أنه مطلوبك يقال: أجاب إليه كما قال الشاعر:

---

(١) تَأَلَّوْا على الله حلفوا، من الألية وهي اليمين .

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٩.

وداع دعانا من يجيب إلى الندّى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ما يدعوا الداعي وبالله التوفيق.

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ**»: مفعلة من الشغل أي الدنيا ذات شغل «**عَنْ غَيْرِهَا**»: ومعناه يشغل عن الآخرة فأنهما ضربان لا يجتمعان ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[1] «**وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلاَّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا وَلَهَجاً بِهَا**»: بكسر اللام الولوغ ويقال لهج به يلهج لهجاً أذا أعري به فتأثر عليه روي أن عيسى صلوات الله عليه قال: «مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما زاد شرباً زاد عطشاً»[2].

«**وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا**»: وذلك لحرصه وتهالكه في مهالك لذاتها وشهواتها وفي الخبر قال رسو ل الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: ﴿الدنيا محفوفة باللذات والشهوات و عن الأخرة»[3] والسر في ذلك أن ميلان الطبيعة إلى المحسوسات واللذات .

«**وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ**»: الحرص والتعب في طلبها.

«**فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ**»: سئل يحيى بن معاد أن أبن آدم قد يدري أن

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٠.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزي: ٢٨٨؛: مجموعة ورام لورام بن أبي فراس المالكي الاشتري: إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٩ ص ١٨١،

(٣) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري في: ص ٤٥٣؛ التخويف من النار لعبد الرحمن بن احمد الحنبلي: ٢٤ .

الدنيا ليست بدرا قرار فلم يطمئن إليها قال: لأنه منها خلق فهي أمة وفيها نشأ فهي عينه.

«**ولَوِ اعْتَبَرْتَ**»: أيها العامل «**بِمَا مَضَى**»: بعين البصير وتقنت أنك قد سهوت في صرف ما مضى من عمرك في تحصيل قينات الدنيا.

«**حَفِظْتَ مَا بَقِيَ**»: منه من ذلك الصرف الفاسد المفسد وقد مر غير مرة أن ذلك بأمطار الهداية من سحاب العناية الإلاهية فيحيى أرض القلب بها وبالله التوفيق.

«**مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ**»: جمع مسلحة وهي: موضع السلاح.

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ**»: الوالي «**عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ**»: من نعم الله سبحانه من الأمارة عليهم وغيرها.

«**ولَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ وأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً**»: قرباً وتواضعاً.

«**مِنْ عِبَادِهِ وعَطْفاً**»: شفقه ورحمه.

«**عَلَى إِخْوَانِهِ**»: وقد أعجب ذكر عباده مع إخوانه من اكتحل عين قلبه بكحل البلاغة أشار عليه السلام إلى لو لوحظ الأمر وغيرهم مع مالك الملك فهو مالك لغيره وكلهم عبيد مقلد أعناقهم بقلائد العبدية والعبودية، وليجعل الحكام نصب أعينهم في سائر الأنام ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

(١) سورة آل عمران: ٢٦ .

وأن نسبوا إلى غيرهم فالمؤمنون كلهم أخوة كما بينها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] فلا يليق بحال الملك أن ينكروا وأعلم أن ذلك صعب لا يتأتى إلا لمن جعل الله سبحانه حافظ عنايته لازمة فلذا قال أبو ذر يا رسول الله ألا تستعملني ضرب بيده على منكبه ثم قال: يا أبا ذر أنك ضعيف وأنها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ثم نبههم على أنه لم يكن يمنع سراً عنهم إلا في حرب وحفظ السر في الحرب عن الجيش ينفعهم كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا أراد غزوة وروي يغيرها وذلك قوله:

«**أَلَا وإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ**»: ثم أومأ إلى أنه عليه السلام لم يكن لا تطلب ليطلب رضاهم في كل شيء دنيوي إلا في حكم الشارع بقوله:

«**ولَا أَطْوِيَ**»: أي ولا أطلب «**دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ**»: يعني لا أشاوركم في أمر الدين من الحدود وأقامتهم وكيفية أحوال الشرع وأنا أحكم به على ما أمر الله ولا أنظر إلى رضاكم فيه وكرامتكم «**ولَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ**»: أي عن وقت حلوله ووجوبه.

«**ولَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ وأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً**»: متساوين لا فرق بين الوضع والشريف .

«**فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لله عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ**»: فأنه سبحانه يرضى حينئذ من الوالي فيسير عليهم وعليهم سحاب الأنعام والملوك المحاربة يسلكون هذا المسلك أيضاً ثم اشار إلى حقه عليهم فقال:

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

«**وِلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ**»: لقوله صلى الله عليه [وآله] وسلم «أن أمر عليكم عبد مخدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»[1] فأن فيه حباً على السمع والطاعة في جميع الأحوال وفيهما اجتماع كلمة المسلمين فأن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم.

«**وأَلَّا تَنْكُصُوا**»: تتأخروا وترجعوا «**عَنْ دَعْوَةٍ**»: فأنه صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له»[2]. كنى عن النقص وأتأخر بخلع اليد.

«**ولَا تُفَرِّطُوا**»: أي ولا تقصروا ولا تضيعوا فِي «**صَلَاحٍ وأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ**»: الشدائد حتى تصلوا «**إِلَى الْحَقِّ**»: وهو: إعلاء أركان بنيان الإسلام.

«**فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ**»: الواجب وينحرفوا عن منهج الصواب «**لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ**»: أذل «**عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ**»: مال عن الحق «**مِنْكُمْ ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ولَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا**»: عقوبة «**رُخْصَةً**»:مسامحة.

«**فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ وأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ**»: وهو المجاهدة في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وبالله التوفيق.

«**مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ**».

«**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ**»: أي لم يتفكر أحوال القيامة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٧٠؛ سنن النسائي للنسائي: ج٧ ص١٥٤؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٤ ص٤٣١؛ فتح الباري لأبن حجر: ج٢ ص١٥٧؛ باختلاف يسير .

(٢) السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي: ج٨ ص١٥٦؛ الكبائر للذهبي: ص ٢٤٩؛ إحياء علوم الدين للغزالي: ج٥ ص١١٠

«**لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا**»: ما يحصنها ويحفظها من الهلاك بخلاف من يفكر ورأى بعين البصيرة أهواله؛ فأنه يأخذ عنان الطبيعة عن ند النفس الأمارة بالسوء ويسعى في مرضاة الرب سبحانه ثم أعلمهم قلة ما كلفوا به وكثرة ثوابه فقال:

«**واعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ**»: أي العمل بظاهر الشرع قليل.

«**وأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ**»: مقدار اً أياماً وذلك ظاهر وقد سبق مثل ذلك في أثناء الخطب ثم رغبهم في ترك الظلم والبغي وأومأ إلى فائدته العظيمة بقوله:

«**ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ والْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ**»: فكيف وقد اجتمعا فعلى العاقل أن لا يحوم حولها وحتى لا يأخذه عقاب ويلبس ثواب الثواب.

«**فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**»: الأنصاف في المعاملة العدالة وذلك أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه ولا يبتليه من المضار إلا مثل ما يناله منه.

«**واصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ**»: يقال: معناه أنظروا بحوائجهم، يعبر عن الانتظار كما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصبر.

«**فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ووُكَلَاءُ الأُمَّةِ وسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ**»: جمع سفير وهو الرسول المصلح بين القوم.

«**ولَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ**»: أي لا تغضبوا ولا تردوا أحداً بدفعه عن حاجته «**ولَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ**»: وروي لا تحشموا أي لا تقطعوا أحداً عن طلبته «**ولَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولَا صَيْفٍ ولَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا**»: الجوهري: الأعتمال: الاظراب في العمل واستشهد بقول الشاعر:

إن الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوما على من يتكل[1]

[2]«**ولاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ولاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ**»: عبر عن بالخاص عن العام مجازاً.

«**ولَا مُعَاهَدٍ**»: ذمي «**إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً**»: حدة وقوة وفيه مبالغة لطيفة ولأجل هذه المبالغة لم يقل ولا تأخذن ومصل وما عطف عليه بدل من أحد.

«**عَلَيْهِ ولَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ**»: أي عن أنفسكم .

«**نَصِيحَةً ولَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ**»: سيرة أي لا تدخروا أحسن السيرة عن الحسد ونحوه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[3].

«**ولَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ولَا دِينَ اللهِ قُوَّةً**»: وفي الخبر ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحفظها بنصيحة إلا لم يجد ريح الجنة.

«**وأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ**»: أي احملوا على أنفسكم في الجهاد البلاء شكراً لما يجب عليكم من نعم الله.

«**فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وعِنْدَكُمْ**»: الاصطناع المبالغة في إصلاح الشيء.

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٥ ص ١٧٧٥.

(٢) ورد في بعض متون النهج: ولاَ عَبْداً.

(٣) سورة النور: الآية ٦١ .

«**أَنْ نَشْكُرَهُ**»: أي لأن نشكره .

«**بِجُهْدِنَا وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا**»: وأعلم ان نصرة العبد لله هو نصرته لعباده والقيام بحفظ حدوده ورعايته عهود واعتناق أحكامه واجتناب نهيه قال: وليعلم الله «**ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»: فأنه عليه السلام بعد أن أضاف القوة إلى نفسه الزكية القدسية وغيرها خرج عن ذلك المقام وأبرز عجز العباد توقيراً للملك العلام وفي الخبر قال: صلى الله عليه [وآله] وسلم: لعبد الله ومثل هذا التركيب ليس بأس باستعارة لذكر المشبه والمشتبه ولا التشبيه الصرف لبيان الكنز هو من أدخال الشيء في جنس وجعله أحد أنواعه على التغلب ونحوه قوله تعالى لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فالكنز إذاً نوعان المتعارف وهو المال الكثير يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ وغير المتعارف وهو هذه الكلمة الجامعة الكثرة بالمعاني الإلهية كما أنها مجبولة على التوحيد الخفي لأنه إذا نفت الحيلة والحركة والاستطاعة عما من شأنه ذلك وأثبتت لله على سبيل الحصر وبإيجاده واستعانته وتوفيقه لم يخرج شيء من ملكه وملكوته وبالله التوفيق.

وبيان أوقاتها للمتآمرين على الكناية إذا اجمعوا.

«**أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ**»: أطلق على الصلاة مجازاً.

«**حَتَّى تَفِيءَ**»: نزول «**الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ الْعَنْزِ**»: موضع الربوض قيل فيه إشارة إلى أن رحل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان طوله ذراعاً فلذلك الوقت المختار للظهر فأن رسول الله صلى وسلم أمر بأن صلوا الظهر كان الفيء ذراعاً إلى أن يكون ظل أحدكم مثله «**وصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ والشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ**»: أي قبل مغيب الشمس وهذه

كناية عجيبه أي صلواتهم هذه الصلاة والحال أن الشمس بيضاء له يصغر بعد ولم يرض بذلك حتى قال: وهي حية أي وللشمس قوة وزاد التعجيل بقوله: في عضو النهار أي يبقى كثير من النهار فقوله حية استعارة لطيفة كأنه شبه غروب الشمس بموتها واصفرارها بمرضها وبقائها على حالها من قبل بيضاء نقية قوية النور بحياتها.

«**وصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ**»: كذا ورد في الحديث الصحيح «**ويَدْفَعُ الْحَاجُّ**»: يعني بعد غروب الشمس ودخول الليل.

«**وصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ**»: أي تغيب الحمرة من ناحية المغرب «**إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ**»: كذا ورد في الخبر.

«**وصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ**»: وذلك إذا طلع الفجر الصادق ليكتب مرتين يكتبها ملائكة الليل والنهار.

«**وصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ ولَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ**»: ولا تكونوا للناس فتنة بأن تطيلوا الصلاة إذا صليتم بالناس جماعة، فأما إذا صليتم فرادى فأطيلوها إذا شئتم. وبالله التوفيق.

العهد الذي يكتب للولاة مشتق من عهدت إليه أي أوصيته.

كتبه للأشتر: النخعي قبيلة الأشتر من به انقلاب جفن عينه الأسفل والأشتر مالك وأبنه.

على مصر وأعمالها حين اضطراب أمر أميرها عليها محمد بن أبي بكر وهو اطول عهد كتبه وأجمع للمحاسن «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ

عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»: صدر العهد باسم الله تيماً ثم أشار إلى المقصود بهذا لينتقش صورة الأجمال في أذهان السامعين؛ ثم يستقر عروش التفصيل في منصته.

«**مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ**»: عهد فلان إلى فلان أي ألاقاه إليه وأوصاه بحفظه.

«**حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ**»: اعطاه ولاية مصر وأمارتها.

«**جِبَايَةَ خَرَاجِهَا**»: جبت الخراج جمعته، جباته وحياته بالفتح المرة الواحدة وبالكسر للهيئة والحالة نحو الجلسة وأعلم أن الخراج لا يؤخذ من أرض ذمي يؤدي جزيته والجزية يعطي عسكر الإسلام والقائمين مقام المهاجرين وإنما يؤخذ الخراج من أرض أخذت بالسيف فيوضع في بيت مال المسلمين وأرض الإمام تؤجر وجاز أن يسمي أجرتها بالخراج مجازاً «**وجِهَادَ عَدُوِّهَا**»: وبذل المجهود في أمره.

«**واسْتِصْلَاحَ**»: طلب صلاح «**أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ،الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ولَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا**»: شقاوة أبدية ابدية ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

«**وأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ**»: نصر دينه وعباده المؤمنين قال عز من قائل ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[2].

«**وإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ**»: أعز دينه «**وأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ**»: من للتبعيض استعير الكسر لقهر النفس من حيث أيهما يعتبران المقهور والمكسور

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.

ويزيلان قوتهما كل منهما بحسب ما يليق به «**ويَزَعَهَا**»: يكفها ويزجرها «**عِنْدَ الْجُمَحَاتِ**»: من الجموح جمع الجمحة وهي غلبة النفس إذا ركبت هواها ويعظم الثواب في رد ذلك.

«**فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**»: اللام للجنس كقوله: الدنيا وضرب من الدرهم ثم استثنى فقال: «**إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ**»: أي الأنفس من رحمه الله أي أنعم عليه بلطف يسمى عصمة قال: عز من قائل حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[1] اعلم أن المفهوم من كلامه عليه السلام، أنه ولى الأشتر في مصر أربعة أشياء فقط وأمره بستة أمور وهي: أن يكون متيقناً مطيعاً لله متبعاً لأوامره ناصراً له تعالى قامعاً شهوته عن الحرام مانعاً نفسه من المعاصي فبهذا تتهيأ له تلك الأمارة وتتيسر له تلك الأشياء الأربعة التي جباية الخراج وجهاد الأعداء وإصلاح العباد والبلاد ثم حثه على اقتناء الأعمال الصالحة ودعاه إلى خصلة فخصلة فقال: ولا تتبع هواك وأنحل بنفسك من الدخول في الحرام، وأن يكون محباً للرعية رحيماً لطيفاً بهم لا مؤذياً إياهم، وأعف عنهم كثيراً، ولا تتكبر وأنصف على كل حال، ولا تظلم أحداً وأحب الحق والعدل ورضا عامة الرعية وأن يبعد ممن يعيب الناس، وأن يستر ما ظهر له من عيوب الناس، ولا يحقد على أحد، ولا يشاور البخيل والجبان ولا الحريص ولا يتخذ لنفسه وزير الأسرار قبله وأن يكن خاصته من لم يعاون الظالم والإثم، بل كان قابلاً بالحق صادقاً لا تمدحه بباطل ولا يجعل المحسن والمسيء عنده سواء ولنرجع إلى حل مفردات الكلام وأبراز ما قاله عليه السلام.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣ .

«**ثُـمَّ اعْلَـمْ يَـا مَالِـكُ أَنِّي قَـدْ وَجَّهْتُـكَ**»: تعينك «**إِلَى بِـلَادٍ قَـدْ جَـرَتْ عَلَيْهَـا دُوَلٌ قَبْلَـكَ**»: جمع دولة وهي التي تتداوله الناس بعضهم بعضاً وفي أثر بعض.

«**مِنْ عَدْلٍ وجَوْرٍ وأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ ويَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ**»: أنظر بعين البصيرة حالك ومعاملتك معهم محمودة لا مذمومة.

«**وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ**»: اي ومن كان صالحاً وأن لم يظهر ذلك فأن الله يجزي ذكره بالصلاح على السنة العباد الصالحين وإنما يفسر بمقالة الصلحاء فيه لأنه عليه السلام أضافهم إلى الله على ألسن عباده ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[1]، وقيل المراد العموم بذلك وقريب من ذلك ما روي أنه قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «أن الله أذا أحب عبداً دعا جبرائيل فقال: أني احب فلاناً فأحبه قال: فيحب جبرائيل ثم ينادي في السماء فيقولون أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبوا أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض» الحديث[2].

---

(١) سورة الآيات: ٦٣- ٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٤١٢؛ والصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي الناباطي: ص٦٧؛ وعمدة القاري للعيني: ج١٥ ص١٣٢.

«**فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ**»: فأن ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1] «**فَامْلِكْ هَوَاكَ**»: أي أجعل النفس المائلة إلى الشهوة تحت تصرفك بلجام الرياضة والمجاهدة وسميت بذلك لأنها تهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية.

«**وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ**»: أي لا تضيعها في معصية ولا تخرجها من الطاعة.

«**فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ**»: وذلك سلوك طريق العدالة.

«**وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ**»: أي أجعل الرحمة شعار قلبك «**والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ**»: فأن من شأن الأمير العادل أن يكون كذلك قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»[2]، والراحمون يرحمهم الرحمن.

«**ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً**»: الكلب الضاري الذي يعود بالصيد والذئب الضاري الذي أعتاد أكل لحوم الناس وإذا اطلق فيقال: سبع ضار فعلى الأغلب لا يحمل إلا على الأسد عرفاً وذلك من قبيل التشبيه البليغ بين وجه الشبه فيه بقوله:

«**تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ**»: وما يشتركان فيه الاغتنام قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر»[3] ثم علل مدعاً بقوله:

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص ٣٠١؛ سنن أبي داوود لسليمان بن الأشعث السجستاني: ج٢ ص٤٦٥؛ سنن الترمذي ج ٣ ص ٢١٦ .

(٣) سنن الترمذي: ج ٢ ص ٣٩٤؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري: ص ١٦٧.

«**فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**»: أي لا يخلوا عنهما لأنهم أن كانوا مؤمنين فهم أخوة الدين لقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وأن كانوا غير ذلك فهم نظائر في الخلق وكل واحدة من هاتين الجهتين يقتضي الرحمة والشفقة لا الجور وقد قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «أرحموا من في الأرض»[2] أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهْم والوحوش والطير كذا قال: بعض المحققين: وأعلم أنه عليه السلام أنما شبه المسلم بالأخ لينبه على المساواة وأن لا يرى احداً منهم على أحد من المسلمين فضلاً ومزية ويحب له ما يحب لنفسه وأضراره مما ينافي هذه الحالة وينشأ منه قطع وصلة الآخرة التي أمر الله تعالى بها أن توصل ومراعات هذه الشريطة أمر صعب لا ينبغي أن يستري بين السلطان وأدنى العوام وبين الغني والفقير والصعب والكبير والصغير ولا يتمكن من هذه الخصلة إلا من أمتحن الله قلبه بالتقوى وأخلص من الكبر والغبن والحقد ونحوها الإخلاص، لذلك امر الله تعالى على متابعة الهوى، نسأل الله تعالى ان يوفقنا لهذه المرتبة العلية ثم أشار إلى أنهم لم يكونوا معصومين بل كانوا مذنبين كهؤلاء وهؤلاء، أرجوا أن يغفر الله لهم ومن يرحم يُرحم ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء قال عليه السلام: «**يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ويُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والْخَطَأِ**»: أي بما تتأتى وتتهيأ بالانفعال منهم من عمل غير حسن.

«**فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ**

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سنن الترمذي: ج ٦٣ ص ٢١٧؛ عوالي اللئالي لأبن أبي جمهور الأحسائي: ج ١ ص ٣٦١؛ فتح الباري لابن حجر، وكلاً ذكره بزيادة بسيطة؛ السنن الكبرى لاحمد بن الحسين البيهقي: ج ٩ ص ٤١ .

عَفْوِهِ وصَفْحِهِ»: من للتبعيض وقيل للتبيين والعفو أبلغ من الصفح لأن من أعراض صفحة وجهه عن مجرم ربما كان في قلبه شيء ولما كان عليه السلام في مقام جذبه إلى القبول لم يصرح بذنبه وبالغ في الأعراض حيث قال مثل الذي إلى صفحه ثم أومأ أتعاضاً عن سنة نسيانه بسبب الحكومة إلى ضعفه بالنسبة إلى من ولاه وضعف من ولاه بالقياس إلى الملك الحقيقي في مرآة قلبه معنى قوله عز من قائل ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[1] وينتقش في لوح خاطره أن من شأن الضعيف الانكسار والإنقهار والترحم لا التبحر والظلم فأن الله هو المنتقم ذو القوة المتين فقال: «**فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ**»: أي مسلط عليك وهو هو عليه السلام.

«**واللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ**»: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] فكما أنت ترجوا الرحمة وأنا من الله كذلك، هو لا يرجوها منك.

«**وقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ**»: طلب منك كفاية أمرهم «**وابْتَلَاكَ**»: أختبرك «**بِهِمْ ولَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ**»: أي لا تبارز الله في معاصيه.

«**فَإِنَّهُ لَا يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ**»: أي لا قوة لك على عقوبته وحذف النون من الأيدي لك لمضارعته للمضاف وقيل لكثرة الاستعمال ويقال مالي بفلان بدان أي طاقة قال: جل ثناؤه ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[3] «**ولاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ**»: فحقيق بك أن ترحم على من دونك فان ذلك حادث للرحمة الإلهية.

---

(١) سورة النساء الآية ٢٨.

(٢) سورة الفتح الآية ١٠.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٧ .

«**وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ**»: لغرض دنيوي فأن ذلك من وساوس الشيطان.

«**وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ**»: أي لا تعرض بعمل عملته تعاقب عليه، قيل الأحسن في معناه أي لا تفرح بعقوبتك لأحد وأفرح بعفوك.

«**وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ**»: عقوبة وزلة وعصب وقيل أي لا تسرعن إلى حدة يقال: بدرت منه بوادر غضب أي سقطات وخطأ عند ما أحتد.

«**وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً**»: سعة وفي الخبر أن الغضب من الشيطان وأن الشيطان خلق من النار وإنما يطفى النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ.

«**وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ**»: القول «**إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ**»: أبتدأ إفساد لم يكن فيه «**وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ**»: أي ضعف له وذلك من المهلكات وفي الخبر المهلكات هو متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن وذلك ظاهر لأن المعجب بنفسه متبع هواه.

«**وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ**»: أسم من قولك غيرت الشيء فيعتبر وفي كل واحد من هذه الأخبار مبالغة لطيفة ثم علمه إزالة ما عسى أن يجذب فيه سلطانه فقال:

«**وإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً**»: عظمة «**أَوْ مَخِيلَةً**»: كبرا «**فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ**»: العظم العظمة والعظم بقول أذا دخلت عليك عظمته بسبب فانظر إلى قدرة الله فوقك وعظم ملك الله فوقك.

«**وقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ**»: النظر «**يُطأمِنُ إِلَيْكَ**»: يسلبك «**مِنْ طِمَاحِكَ**»: تكبرك وترفعك «**وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ**»: حدتك «**وَيَفِئُ: يفيء**»: يرجع بعده «**إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ**»: وذلك ان

العبد أذا نظر ملكه ورآى بعين البصيرة أن لا ملك في الحقيقة إلا هو يسكت عن وصف الدعوى على الكمال خشي سطوات عقوبته عند أرتكاب مخالفته فيفنى عن التكبر ثم حذره عن التكبر فقال: «**إِيَّاكَ ومُسَامَاةَ الله فِي عَظَمَتِهِ والتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ**»: المسامات مفاعلة من السمو وهو العلو أي أحذرك أن يتردى الكبرياء فأنه رداء الله قال: عز وعلا الكبرياء ردائي، والعظمة أزاري فمن نازعني واحد منهما أدخلته النار هذا في الآخرة وأما في الدنيا.

«**فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ويُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ**»: قالت أسما بت عميس سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: «بئس العبد عبد يختل ويختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى بئس العبد عبد لهى ونسي المقابر والبلى وبئس العبد عبد غنا وطغى ونسي المبدأ والمنتهى وبئس العبد عبد نحل الدين بالشبهات بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب بذله»[1] .

«**أَنْصِفِ اللهَ وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى**»: ميل النفس **مِنْ رَعِيَّتِكَ**: أمره بسلوك سبيل العدل مرة بعد أخرى لما كان في شأنه من الاهتمام التام وعلل ذلك بقوله: «**فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ**»: ذلك اشارة إلى المصدر الذي يدل عليه أنصف.

«**تَظْلِمْ**»: عباده «**ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ**»: دون عباد ينتج وأن يفعل ذلك كان الله خصمك اما المقدمة الأولى فلأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه

---

(١) سنن الترمذي للترمذي: ج ٤ ص ٥٠؛ التواضع والخمول لأبن أبي الدنيا: ص ٢٥٥؛ والمعجم الكبير للطبراني: ج ٢٤ ص ١٥٦؛ وشعب لإيمان لأحمد بن الحسن البيهقي: ج ٦ ص ٢٨٧؛ الكامل لعبد الله بن عدي الجرجاني: ج ٤ ص ١١٠.

وأما الثانية فلمثل قوله: عليه الصلاة والسلام أن العبد إذا أظلم فلم ينتصر ولم يكن له من ينصره رفع طرفه إلى السماء فدعا الله تعالى قال: جل جلاله لبيك عبدي أنا ناصرك عاجلاً وآجلاً، أشتد غضبي على من ظلم أحد لا يجد ناصراً غيري، وأنت خير بأن نسبة الخصومة إلى الله مجازية باعتبار الغاية.

(١) «**ومَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ**»: أبطل «**حُجَّتَهُ وكَانَ للهِ حَرْباً**»: محارباً.

«**حَتَّى يَنْزِعَ**»: يرجع عن ذنبه «**وَيَتُوبَ ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ**»: الناظر على أفعاله وأعمالهم وفيه تنبيه على أنه لا ملجأ ولا مهرب منه روي عن وهب بن منبه أنه قال إذا أهتم الوالي بالجوار وقد عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته في الأسواق والأرزاق كذلك والزروع والضروع وإذا هم بالخير أدخله الله البركة على أهل مملكته كذلك .

«**ولْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ**»: بحيث لا تشديد ولا إهمال مطلقاً ومن ثم قيل ينبغي أن لا يكون الأمير ذات غل ودخل في قلبه من الرعية إذ لوكان أبتغى عيوبهم ويتهمهم بالمعايب فيتحسس احوالهم فيفسدهم فأن الإنسان قلما سلم من عيب شعر:

ولست بمستسق أخاً بملمة على شعب:

أي الرجال المهذب فلو عاملهم بكل ما قالوا وفعلوا لأسدت عليهم الأحوال بل ينبغي أن يستر عليهم عيوبهم ويعفوا عنهم .

(١) ورد في بعض متون النهج: دُونَ عِبَادِهِ

«**وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ**»: فأنه أهم فائدة وأكثر عائدة «**وأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ**»: يبطل «**بِرِضَا الْخَاصَّةِ**»: كناية عن الأغنياء والأشراف والعامة عمن دونهم وذلك أن العوام تباع للخواص.

«**وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ**»: يستر ويغفر «**مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ**»: ثم نبه على أن اللائق اتباع رعاية العامة وعد بعض مذمات الخاصة ترغيباً له في رعاية العامة فقال:

«**ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ**»: للوالي.

«**فِي الْبَلَاءِ وأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ وأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ**»: أكثر سؤلاً «**وأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ وأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ والْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ**»: استعار لهم عمود الدين لأنه يقوم بهم كما يقوم الخيمة بالعمود والعدة لأنهم أسباب الحرب.

«**فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعَهُمْ**»: الصفو الميل فقوله وميلك معهم من قبيل التفسير.

«**ولْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وأَشْنَأَهُمْ**»: ابغضهم «**عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا**»: أي بالستر وذلك لأن الوالي أقوى يداً ممن دونه فأن التجسس ربما فسد النظام وأفسد أمر الأنام.

«**فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ واللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ**»: العورة الخلل كنى عن العيوب بالعورة إيذاناً بأن عيوب الناس كعورات مستورات فيحرم كشفها والريبة فيها كما يحرم كشف المخدرات عن سترها.

«**أَطْلِقْ**»: أنزل «**عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ**»: فأن الحسد كله مذموم ولما استعار العقد للحسد رشحه بالأطلاق.

«**واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ**»: دخل أي تسكين العادة وملاحظة المال.

«**وتَغَابَ**»: تغافل «**عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ**»: أي عن كل ما لا يكون واضحاً.

«**ولَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ**»: تستعمل السعي في الجد في الأمر خيراً كان أو شراً قال جل وعلا ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[1] ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[2] والمراد هنا الشر وأما أن المبتاع خائن لا ناصح فلأنه ينبغي فساد حاله ويأمره بما يفضي إلى زواله بل ولأنه حينئذ سببه الشيطان وفي الخبر الإنائة من الله والعجلة من الشيطان وقد حدثنا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى الحد والثاني في الأمور ومن فوائده يميز الناصح عن غيره.

«**ولَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ**»: أي يميل بك عن الأفضال ويصرفك عن الإحسان والبذل.

«**ويَعِدُكَ الْفَقْرَ**»: وذلك لأنه حينئذ يعد عمل الشيطان قال عم إحسانه ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾[3].

«**ولَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ**»: يحملك على الضعف «**عَنِ الأُمُورِ ولَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ**»: أشد الحرص «**بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ والْجُبْنَ والْحِرْصَ غَرَائِزُ**»: طبائع «**شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ**»: ومن أساء الضن بالله لا يصلح للمشورة بل المستشار

(١) سورة البقرة: الآية ١١٤.

(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

من له خصال عليه وجلال سنية.

«**إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً**»: روي بفتح الفاء وسكون الباء وكسر القاف وفتح الباء فعلى الأول معناه شر الوزراء من كان قبل زمان سلطانك وزيراً للحاكم الجائر فأنه يسعى في الفساد والإفساد بما صار طبيعة له ومن الظلم على العباد قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيراً صدق أن نسي ذكره وأن ذكر أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزيراً سوء أن نسي لم يذكره وأن ذكر لم يعنه وعلى الثاني معناه شر أولئك من يدعوك إلى الشر.

«**ومَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً**»: صاحب الأحكام السلطانية الوزراء قسمان تفويض وتنفيذ فالأول أن دستور الإمام من تفويض تدبير الأمور إلى رائيها وإمضائه إلى اجتهاده، وشرط الأئمة في هذه الوزارة التنفيذ وهي أن يكون النظر في الأمور مقصوداً على رأي الإمام وتدبيره، والوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر وينفذ ما ذكر فلا يشترط فيه الجزية والعلم والإسلام والمعرفة بأمر الحرب، ويشترط فيه الأمانة والذكورة، وصدق اللهجة وقلة الطمع والذكاء والفطنة وأن يصلح ما بينه وما بين الناس من عداوة وشحناء، وأن لا يكون من أهل الأهواء؛ ثم نبه على طريق وجدان من هو لائق بكونه بطانة ووزيراً فقال: «**فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ وإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ**».

«**خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ ونَفَاذِهِمْ ولَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ**»: جمع الأصر وهو النقل.

«**وأَوْزَارِهِمْ**»: جمع وزر بمعنى الأثم وهنا من قبيل التفسير.

«**وآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ ولَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ**»: وذلك واضح فأن من أتصف كمن أعان ظالماً على ظلمه لا وكيف لا والحال أنه قد يكون ذو الجهاد الأكبر فأن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر وإنما صار أفضل لأن جهاد العدو كان متردداً بين الخوف والرجاء لا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فإذا قال بين **الحق وأمره ولم يعاون على أثمه فقد تعرض للتلف ثم مدحهم ترغيباً فقال:**

«**أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً**»: فأن من يكون كذلك لا يكون له كثير طمع.

«**وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً**»: لأن ميلهم إلى جانب الحق ورفع أركان الدين فإذا رأوا كذلك فقد ينصرك نصراً موزراً.

«**وأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً**»: رحمة «**وأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً**»: مودة «**فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ**»: مجالسك «**وحَفَلَاتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ**»: أفضلهم وأكرمهم وأرضاهم «**عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ**»: أكثرهم قولاً «**بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وأَقَلُّهُمْ مُسَاعَدَةً**»: مواساة «**فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا ذَكَرَهُ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ**»: فأن ذلك يدل على أنه كان أصلب في اليدين وأعرج على معارج اليقين وأصفى قلباً من بواقيهم ومن كان كذلك فهو بما ذكر جدير وحقيق.

«**وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ**»: نصب على الحال والعامل أقولهم.

«**والْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ**»: فأن الإلصاق بهم والمجالسة معهم بجذب أهداب السعادة الأبدية والسيادة السرمدية إليك وفي المثل الغيب يتلون الغيب.

«**ثُمَّ رُضْهُمْ**»: أدبهم «**عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ**»: لا يمدحوك «**ولَا يَبْجَحُوكَ**»: لا يسروك «**بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ**»: التكبر «**وتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ**»: وذلك

وسيلة البعد عن الله لأنه منبت نبات البعض ومنبع ماء الغضب قيل الحكيم من المتكبر قال: الذي يحب المدحة من غير الفضل والأفضال ولا يرى إلا نفسه في كل الأحوال واعلم أن الثناء على الرجل مكروه سيما فاسقاً وقد روي أنس بم مالك أنه قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «إذا مُدح الفاسق غضب الرب تعالى وأهتز له العرش»[1]، وأنت خبير بأن اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم وداهية دهناء لأن فيه رضا بما فيه سخط الله وغضبه بل يقرب أن يكون كفراً لأنه يكاد يفضي إلى استحلال ما حرمه الله تعالى وهذا هو الداء العضال لأكثر العلماء والشعراء والقراء في زماننا هذا وإذا كان هذا حكم في زماننا حكم من مدح الفاسق فكيف بمن مدح الظالم وركن إليه ركوناً وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2] الكشاف: النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومدا هنتم والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزين بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم.

«**ولَا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ والمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ**»: التسوية «**تَزْهِيداً**»: تقليل الرغبة «**لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ فِي الإِسَاءَةِ**»: وإذا ذلك ظاهر فأن المحسن لما رآى أن لا يشتري بسلعة بما في شأنه قل رغبته في إتيانه والمسيء يعكس ذلك.

«**وأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ**»: أي كلاً من المسيئين والمحسنين ما ألزم نفسه من الإحسان أو الإساءة هذا في أمر الدين وفيما سبق في أمر الدنيا فتدبر.

---

(١) الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي: ج هامش ص١٣٢؛ فتح الباري: ج ١٠ ص ٣٩٨ باختلاف يسير؛ و شعب الإيمان لاحمد بن الحسين البيهقي: ج٤ ص٢٣٠ .

(٢) سورة الآية ١١٣.

«**واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى**»: أكثر دعا «**إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ وتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ**»: المذكور من الإحسان وترك الاستكراه «**أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ**»: الضمير أن لأمر.

«**حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ**»: يرغبك «**يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا**»: القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر ة والبصيرة، والمراد هنا الثاني أراد أن الرعية إذا أحسنوا الظن لوالي واعتقدوا أنه على نهج الصواب ومنهج سيد أولي الألباب وأحسن الوالي الظن بهم بأن يعتقد أنهم اعتقدوا في شأنه ذلك ينظرون إليه بنظر القبول كما نظر أصحاب الرسول صلى الله عليه- وآله -وسلم إلى الرسول ولا يفتقر إلى إثبات كل ما يقوله لهم ويبينه، وفي ذلك قطع نصب طويل، إذ أثبات جزئي ببينته متعسر والله سبحانه أعلم.

ثم أومأ إلى أن من احق أن يحسن الظن به فقال: «**وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ**»: نعمتك «**عِنْدَهُ**»: وذلك لأنه لما كان حسن الظن متفرعاً على الإحسان فكلما كان الإحسان أكثر وأقوى كان المحسن إليه أولى بحسن الظن في شأنه.

[1]«**ولاَ تَنْقُضْ سُنَّةً**»: طريقة «**صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»: استعير النقص هنا من نقص الحبل والشعر والغزل وصدور جمع صدر استعير للمقدم من الصدر الذي هو الجارحة.

«**واجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ**»: المودة «**وصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ**»: فأن ذلك سباق عليهم

(١) ورد في بعض متون النهج: وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

ويكون سبب التفرق **وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ**: المرضية.

«**فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا والْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ومُثَافَنَةَ الْحُكَمَاءِ**»: يقال: ثافنت الرجل: جالسته، واشتقاقه من ثفنة البعير وهي: ما يقع على الأرض، والحكماء فقد قيل العالم طبيب الدين أدوية الحق والصدق والتعطف والتصفح، وقيل العالم الذي يخلص الناس من أيدي الشياطين، وقيل العالم من لأن قلبه، وحسن خلقه ورق ذكره ودق فكره[1] ولا يطمع ولا يبخل وقيل غير ذلك شعر:

مصابيح الأنام بكل أرض ... هم العلماء أبناء الكرام

فلولا علمهم في كل واد ... كنوز البدر لاح بلا غمام

لكان الدين مُدرس كل حين ... كما درس الرسوم من الرهام

وقيل الحكيم الذي يطلب ما ينفعه ويترك ما يضره، وقيل الحكيم الذي يغضب على من عصي ولا يحقد على من جفا، وقيل الحكيم الذي كل أفعاله صواب ولا يدخل في اختياره خلل، ولا فساد وعن بعض أهل الشرع انه قال: ليس الحكيم الذي يجمع العلم الكثير لكن العلم الحكيم الذين يعرف صواب ماله وما عليه، وعن بعض أهل التحقيق؛ أنه قال الحكماء للأخلاق كالأطباء للأجساد قيل لعلم من الحكيم من تعلق بثلاثة فيها علم الأولين والآخرين قيل ماهي: قال: تقديم الأمر واجتناب النهي واتباع السنة شعر:

---

(١) دق فكره بمعنى: كان دقيق الفكر .

وكيف تريد أن تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى ركوب
لعل العمر أكثره تولي وقد قرب الردى فمتى تتوب

ولأن الحكيم اعلى مكاناً من العالم أمره عليه السلام بمدارسة العلماء وملازمة الحكماء.

«**فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ**»: من الطرق والآداب ثم أشار إلى أن الإنسان خلق مدني الطبع خلق على مركز الاحتياج ومن ثم جعل الحكمة الإلهية أفراده على مراتب ودرجات وذلك قوله:

«**واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ولَا غِنَى**»: أفراده على مراتب ودرجات وذلك قوله: واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ولَا غِنَى.

«**بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ الله**»: وهم الذين اعدوا افراش النفوس في مضمار الدين واذهبوا غبار الشك عن وجه اليقين.

«**ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ**»: جمع كاتب «**ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ والرِّفْقِ ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ**»: عوامهم، الجزية من أهل الذمة تكبراً أو تكيفاً وتجبراً لمصلحة رأي لهم وللمسلمين واستعمال المدارات مع من يقر بالتوحيد وأن منكر النبوة محمد داعي إلى متابعته وقد ذكرنا أن حقيقة الخراج أنما يكون من الأرض التي أُخذت بالسيف والجور ويجوز استعماله في الأرض الثلث الآخر مجازاً وأرض الخراج الحقيقة يجوز يقبلها من شاء من المسلمين ومن أهل الذمة بما شاء ولذلك قال: ومنها أهل الجزية والخراج من

أهل الذمة، مسلمة الناس وقيل في الكلام تقديم وتأخير فقوله: من أهل الذمة متعلق بأهل الجزية بيان لم ويتعلق ومن مسلمة الناس بأهل الخراج يتبين لهم.

«**ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ ومِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ**»: وهم الفقراء «**وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلّى الله عليه -وآله- وسلّم عَهْداً**»: من الله «**مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً**»: صفة عهداً.

«**فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ**»: استعار لهم لفظ الحصون من حيث أنهم يحفظون هم عن أن يقعوا في موارد الهلكة بأعلام الأحكام ودعوتهم إلى أتباع أحكام سيد الأنام كما أن الحصون حافظ للمتحصنين عن سهام الألآم من الأعداء لكن بينهما بون[1] بعيد.

«**وزَيْنُ الْوُلَاةِ**»: الزين نقيض الشين فيكون من قبيل رجل عدل، الراغب: الزينة في الحقيقة ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو ما وجه شين، والزينة خارجة كالمال والجاه فأطلاق الزين عليهم نظراً إلى المعنى الأول ويحتمل أن يكون نظراً إلى المعنين الآخرين احتمالاً بعيداً يظهر بالتأمل.

«**وعِزُّ الدِّينِ وسُبُلُ الأَمْنِ**»: في أطلا قهما عليه رعاية مبالغة أيضاً.

«**ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ**»: فأنهم بهم تتبين الأحكام وتوضيح مناهج الحلال والحرام فأركان دور ملتهم لا يقوم إلا بهم وجوداً أنهم أيضاً.

---

(١) بون: يقال: بينهما بون بعيد . و البوان: من أعمدة الخباء عند الباب، والجميع: الأبونة و البوائن: يُنظر العين للخليل الفراهيدي: ج ٨ ص ٣٨٠ .

«**لا ثُـمَّ لَا قِـوَامَ لِلْجُنُـودِ إِلَّا بِـمَا يُخْـرِجُ اللهُ لَهُـمْ مِـنَ الْخَـرَاجِ الَّـذِي يَقْـوَوْنَ بِـهِ عَـلَى جِهَـادِ عَدُوِّهِـمْ**»: القـوام النظـام «**وَيَعْتَمِـدُونَ عَلَيْـهِ فِيـمَا يُصْلِحُهُـمْ وَيَكُـونُ مِـنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِـمْ**»: والـسر في مشروعيتـه يحتمـل أن يكـون ذلـك.

«**ثُـمَّ لَا قِـوَامَ لِهَذَيْـنِ الصِّنْفَـيْنِ**»: يعنـي عامـة الرعيـة وجنودهـم والصنـف النـوع الظـرب وقيـل المـراد الجنـد والخـراج والأول أصـح واظهـر .

«**إِلَّا بِالصِّنْـفِ الثَّالِـثِ مِـنَ الْقُضَـاةِ وَالْعُـمَّالِ وَالْكُتَّـابِ لِمَـا يُحْكِمُـونَ مِـنَ الْمَعَاقِـدِ وَيَجْمَعُـونَ مِـنَ الْمَنَافِـعِ وَيُؤْتَمَنُـونَ عَلَيْـهِ مِـنْ خَـوَاصِّ الْأُمُـورِ وَعَوَامِّهَـا**»: فـأن الـوالي لا يسـع نفسـه بهـذه الأمـور لكـن قـد يكـون شـخص واحـد مجمـع الوصفـين والثلاثـة.

«**وَلَا قِـوَامَ لَهُـمْ جَمِيعـاً إِلَّا بِالتُّجَّـارِ وَذَوِي الصِّنَاعَـاتِ فِيـمَا يَجْتَمِعُـونَ عَلَيْـهِ مِـنْ مَرَافِقِهِـمْ**»: جمـع المرفـق في الأمـور وهـو: مـا ارتفعـت بـه أي انتفعـت بـه:

«**وَيُقِيمُونَـهُ مِـنْ أَسْـوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُـمْ مِـنَ التَّرَفُّـقِ بِأَيْدِيهِـمْ مَـا لَا يَبْلُغُـهُ رِفْـقُ غَيْرِهِـمْ**»: وقـد عوضـت غـواص الفكـر ف بحـر كلامـه عليه السـلام هذا فاسـتخرجت منـه در الاحتيـاج إلى الرسـول هكـذا الإنسـان محتـاج في تعينـه إلى التمـدن وهـو اجتماعـه مـع بنـي نوعـه للتعـاون والتشـارك في تحصيـل الملائـم بحسـب الفصـول المختلفـة والسـلاح الحامـي عـن السـباع، والأعـداء فـأن كل ذلـك ممـا يحصـل بالصناعـات ولا يمكـن للإنسـان الواحـد القيـام بجميعهـا بـل لا بـد أن يجبر هـذا لـذاك، وذاك بخيـوط للأخـر وآخـر يتخـذ الابـرة لـه إلى غـير ذلـك مـن المصالـح التـي لا بقـاء للنـوع بدونهـا ثـم ذلـك التعـاون والتشـارك لا يتـم إلا بمعامـلات فيـما بينهـم ولا ينتظـم عليـه العـدل والأنصـاف ضابـط لمـا حصـر لـه مـن الجزيئـات لئـلا يقـع الجـور فيخيـل أمـر النظـام لمـا حيـل عليـه كل أحـد مـن أنـه يشـتهي مـا يحتـاج إليـه، ويغضـب عـلى مـن يزاحمـه وذلـك

القانون هو الشرع ولا بد له من شارع يقرره على ما ينبغي متميز عن الآخرين بخصوصه فيه من قبل الخالق، واستحقاق طاعة، وانقياد وإ لا لما قبلوه ولك أن تستخرج من هذا الكلام بيد التفكر إلى المعجزة وغيرها.

«**ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ والْمُسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ**»: اعطائهم.

«**ومَعُونَتُهُمْ**»: وأنت خبير بأنه عليه السلام لم يرد السفالة بحسب المكان بل بحسب المكانة ومقابلها العلو علو الفضل والمجد وفي الخبر اليد العليا خير من اليد السفلى هي السائلة.

«**وفِي الله لِكُلٍّ سَعَةٌ**»: أشارة إلى أن كفيل لطف الله يتكفل أمورهم وعطاء فظل منه، ورحمةً يسعهم.

ثم أشار إلى ما يجب على الوالي من حقوقهم فقال:

«**ولِكُلٍّ**»: أي لكل واحد من طبقات الناس التي يجب حكومة الوالي.

«**عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ فَوَلٍّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله ولِرَسُولِهِ ولإِمَامِكَ وأَنْقَاهُمْ جَيْباً**»: أي قلباً على التميز الجوهري: رجل ناصح الحسب أي أمين وهو للنهض حقيقة ووجه الشبهة أن كلاً منهما مخرج كل لما يليق به.

«**وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ويَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ**»: كلام حسن أي يجعل نفسه في راحة تمهيد عذر الغير وروي، ويسرع إلى العذر أي اقامة الذر للمقصر ونحوه أو إلى قبول عذره؛ فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

«**ويَرْأَفُ**»: يرحم «**بِالضُّعَفَاءِ ويَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ**»: أي يتجافى ويتباعد عليهم يقال: أنبيته ونبوت عليه أي دفعته عن نفسي.

«**وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ**»: أي على كل جند من لا يهيجه العنف ولا يزعجه ولا يظهر غضبه، وفيه إشارة الأمر بتولية من له رفق ومداراة مع المتولي عليه كما صرح به سابقاً.

«**وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ**»: إذ لوكان كذلك لا يتمشى أمور الولاية كما ينبغي وبالأخير يفقد الجزء الأعظم أعني السياسة «**ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ والأَحْسَابِ**»: من الإلصاق وروي كما ينبغي وبالأخير يفقد الجزء الأعظم أعني السياسة .

«**وأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ**»: أي الشريفة «**وأَهْلِ السَّوَابِقِ الْحُسَنَةِ**»: جمع سابقة وهي الخصلة من خصال الفضل يسبق به للإنسان فأنهم أولى وأحرى بالولاية ممن دونهم وذلك لأن دوحة المجد والسيادة عرفت فهم وذلك مانع من العدول عن العدل وأيضاً كأنهم يسمعون بأسماع القلوب ما قاله الصادق المصدوق ألا كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته أي مثل الراعي ووجه الشبهة حفظ الشيء وحسن التعهد لما استحفظه وفيه أن الراعي ليس مظلوماً لذاته وإنما أقيم ما أسترعاه المالك حفظ الرعية فيما يتعين عليه حفظ شراعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال دخله فيها أو تحريف لمعانيها أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم وترك حماية من جار عليهم ومجاهدة عدوهم؛ فينبغي أن لا يتصرف في الرعية إلا بأذن الله ورسوله ولا يطلب أجرة إلا من الله كالراعي وهذا تمثيل لا يرى في الباب ألطف وأجمع ولا أبلغ منه ولا الجامعون بين الأحساب والأنساب أحرى بذلك فأن لم يكن فينبغي أن يعتبر الحسب وإلى ذلك أشار بقوله: «**ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ**»: هذه الواو للتفسير.

«**والسَّخَاءِ والسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ**»: المعروف يمكن أن يقال في تقديمه عليه السلام الشجاعة على السخاء وهي على السماحة إشارة إلى تقديم كل منها على الآخر في الاعتبار على تقدير عدمها.

«**ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا**»: أي كن رحيماً شفيقاً عليهم شفقة الأب والأم على ولدهما وضميرهم راجع إلى الطبقات ويحتمل احتمالا رجوعه إلى ذوي الأحساب ومن بعدهم.

«**ولَا يَتَفَاقَمَنَّ**»: اي ولا يعظمن فِي «**نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ**»: فأن ذلك من الشيطان فأنك أذا نظرت بعين البصيرة وجدت أن ما يترتب على ذلك في الدنيا والعقبى بالنسبة إلى المعاظم في نفسك أكثر وأكثر مراتب كثيرة.

«**ولَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ**»: تحفظهم «**بِهِ وإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ**»: قال: أنما كان داعية للتأكيد كما يقال رجل راوية للشعر والصحيح أنه من قولهم داعية اللبن لما يترك في الضرع ليدعوا ما بعده وفي الحديث دع دواعي اللبن.

«**ولَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفٍ**»: دقيق «**أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا**»: عظيمها «**فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ**»: أي القليل «**مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ولِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ**»: مساعداته قيل واساهم الأصل من الأسوة فأبدل من الهمزة واواً.

«**وأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ ويَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ**»: من كان خلفهم.

«**مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ**»: أي المتخلفون عن القتال: وهم النساء والصبيان وهو

جمع خالف أي متخلف من قوله تعالى: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[1] ويقال[2]: الحي خلوف أي قد خرج الرجال وبقيت النساء.

«**حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ**»: وفي الميل والشفقة.[3] «**ولاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ**»: نصيحة الرعية لك.

«**إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ**»: بعطفهم ووثوقهم.

«**عَلَى وُلَاةِ الأُمُورِ وقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ**»: أي الاستثقال الذي بسبب دولتهم فأن من سلك فعله أحد إلى من سواه وقيل البلاء السيء هاهنا.

[4]«**ولاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ**»: فان التقصير سبب للفتور وقد يؤدي إلى فتور أمور الجمهور ومن فعل فعلاً حسناً فجزاه الحاكم جميلاً يشتعل نار الشوق فيه ومن رآه يحرص على ذلك، ولأجل ذلك قال عز من قائل من جاء بالحسنة فله عشر أمثاله وقال صلى الله عليه-وآله- وسلم الحسنة يضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

«**ولَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً ولَا ضَعَةُ امْرِئٍ**

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٣ .

(٢) القول: لأبن عرفه: يُنظر عمدة القاري للعيني: ج ٤ ص ٢٩.

(٣) ورد في بعض متون النهج: وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ.

(٤) ورد في بعض متون النهج: وتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ووَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ. ثُمَّ أُعْرِفُ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ولَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ.

إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً»: فأن الجزاء بقدر العمل وشرف العامل وصنعه بمعزل عن ذلك ومن فعل ذلك كان خارجاً عن طور العدل واقعاً في طريق الجور.

«**وارْدُدْ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ**»: لتقلك وفي بعض النسخ بالطاء أي ما يهمك والطالع المهتم وقيل هو من طلع التغير أي غمر في مشيته وأطلعه غيره ثم بين ما أجمله بقوله:

«**مِنَ الخُطُوبِ**»: الأمور العظام.

«**ويَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ**»: بسبب اختلاف الآراء.

«**فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ: اختلفتم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ﴾**[1] **والرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الجَامِعَةِ غَيْرِ المُفَرِّقَةِ**»: وصفوا السنة بالجامعة غير المتفرقة كقولهم ليلة قائم معنى كلامه عليه السلام ان اتبع ما حكم به العقل الخالص؛ فأن أشتبه عليك أمر من أمور الدين ولم يصل العقل إلى إدراكه وحده فأعتصم بالكتاب والسنة؛ فأن الله سبحانه أمرنا بذلك وحكم الآية الكريمة عام فلا محالة يقال بأن الرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه وإلى الرسول الأخذ بسنته إذ الرسول أنتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء ولا يمكن الرد إليه وسبب ورود الآية الكريمة أنه صلى الله عليه [وآله] وسلم بعث خالد بن الوليد إل سرية من سرايا حي من إحياء العرب، وكان معه عمار بن ياسر فسار خالد حتى دنا من القوم عرس فأتاهم النذير غير رجل منهم وكان قد اسلم فأمر أهله

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

أن يتهيؤوا للمسير ثم انطلق حتى أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال:

يا أبا اليقظان إني منكم، وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا، وأقمت لإسلامي، أفنا فعي ذلك، أو أهرب كما هرب قومي؟ فقال: أقم فإن ذلك نافعك، فانصرف إلى أهله، وأمرهم بالمقام وأصبح خالد فغار على القوم، فلم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ ماله، فأتاه عمار فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم، وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام، فقال خالد: أنت تجير علي وأنا الأمير؟ فقال: نعم أنا أجير عليك وأنت الأمير، فكان في ذلك بينهما كلام، فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير بغير إذنه.

فأنزل الله هذه الآية أطيعوا الله في فرائضه وأطيعوا الرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما أمر مجملاً وأطيعوا الرسول فيما أمر مفصلاً وأولى الأمر منكم. أبو هريرة والسدي في جماعة أمراء السرايا الذين يؤمرهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وخلفائه بعده مجاهد وعطاء في جماعة هم العلماء وكلاً القولين عن أبن عباس فأن تنازعتم في شيء أي اختلفتم في شيء من أمر الدين وأدعى أن كل واحد أن الحق هذه فردوه إلى الله والرسول في شيء من أمر الدين وأدعى أن كل واحد أن الحق هذه فردوه إلى الله والرسول حال حياته وإلى كتاب الله وسنة نبيه وأئمة الهدى من بعده.

«**ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ**»: يعني يكون مرضياً عندهم ويرضى به كل من له الحكومة والمحك اللجاج محك.

«**وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ**»: لا بلغ المدى في الخطأ «**وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ**»: أي لا يعجز من الرجوع «**إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ**»: معناه أن حكم به بباطل في أمر ثم عرفه الحق في ذلك يرجع ويترك الباطل الذي كان قد حكم به ولم بغى بذلك.

«**وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ**»: أي لا يكون طماعاً وأشرفت عليه أطلعت عليه وهو أن يرفع بصرك نحوه ينظر إليه ويعلوا عليه ويبالغ في طلبه العلم ولا يكتفي بالقليل ثم أستعير للارتفاع المعنوي.

«**وَلَا يَكْتَفِي**»: لا يقنع «**بِأَدْنَى**»: أقرب «**فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ**»: أبعده أي أذا أعرف شيأ من المسألة لا يرضى من نفسه الاقتصار عليه حي يفتش من تفريعاته يقف عند الشبهة حتى يعرف الحقيقة ويظهر الحق.

«**وَأَوْقَفَهُمْ**»: أكثرهم توقفاً «**فِي الشُّبُهَاتِ وَآخَذَهُمْ**»: أكثرهم أخذا «**بِالْحُجَجِ وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً**»: ملالاً «**بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ**»: ببينة أي أقطعه وأمضاهم للحكومة وينبغي أن يكون القاضي «**مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ**»: لا يستحقه مدح «**وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ**»: أي لا تحمله على الميل عن الحق حرصه.

«**وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ**»: روى عنه عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله صلى الله إلى اليمن قاصياً فقلت: «يا رسول الله ترسلني وأنا حديث سن، ولا علم لي بالقضاء فقال: أن تستهدي قلبك ويثبت لسانك إذا تقاضى إليك رجلان فلم يقض لأول حتى يسمع كلام الآخر فأنه أجرى أن يتبين لك القضاء قال: فما شكلت في قضاء بعد»[1].

---

(١) يُنظر: شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٢ ص ٣٠١؛ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ٤٠٢؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر يشوب: ج ١ ص ٧٤.

ثُـمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُـدَ قَضَائِـهِ وافْسَـحْ لَـهُ فِي الْبَـذْلِ مَـا يُزِيـلُ عِلَّتَـهُ: يذبها ويبعدها أراد بها العلة الباطنية يعنى الحرص وكثرة الطمع وإطلاقها عليه باعتبار أنه سبب فساد العمل كعلة بالنسبة إلى الأعضاء.

وتَقِـلُّ مَعَـهُ حَاجَتُـهُ إِلَى النَّـاسِ وأَعْطِـهِ مِـنَ الْمَنْزِلَـةِ لَدَيْـكَ مَـا لَا يَطْمَـعُ فِيـهِ غَـيْرُهُ مِـنْ خَاصَّتِـكَ لِيَأْمَـنَ بِذَلِـكَ: الإعطاء.

اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ: وهو مصدر اغتياله إذا أخذه من حيث لم يدر.

فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً: تأكيد لجميع ما أمر به من قبل.

فَـإِنَّ هَـذَا الدِّيـنَ قَـدْ كَانَ أَسِـيراً فِي أَيْـدِي الأَشْرَارِ يُعْمَـلُ فِيـهِ بِالْهَـوَى وتُطْلَـبُ بِـهِ الدُّنْيَـا: أما حال من الدين أو أخبر بعد خبر أستعير له الأشتر لأنه كان مغلوباً لهواهم كالأسير بالنسبة إلى من أسره.

«**ثُـمَّ انْظُـرْ فِي أُمُـورِ عُمَّالِـكَ فَاسْـتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَـاراً ولَا تُوَلِّهِـمْ مُحَابَـاةً**»: مسامحة من غير استحقاق.

«**وأَثَـرَةً**»: أختياراً بالشهوة [1]«**وتَـوَخَّ مِنْهُـمْ أَهْـلَ التَّجْرِبَـةِ والْحَيَـاءِ مِـنْ أَهْـلِ الْبُيُوتَـاتِ الصَّالِحَـةِ والْقَـدَمِ فِي الإِسْـلَامِ الْمُتَقَدِّمَـةِ: لأعمالك أناة ويقال**»: هو من أهل البيوتات أي أصيل في الخير وغريق في الصلاح .

«**فَإِنَّهُـمْ أَكْـرَمُ أَخْلَاقـاً وأَصَـحُّ أَعْرَاضـاً**»: جمع عرض وهو ما يمدحه به الرجل ويذم.

«**وأَقَـلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافـاً وأَبْلَـغُ فِي عَوَاقِـبِ الأُمُـورِ نَظَـراً ثُـمَّ أَسْـبِغْ**»: أتم «**عَلَيْهِـمُ**

(١) ورد في بعض متون النهج: فَإِنَّهَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ والْخِيَانَةِ.

الأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا»: خانوا «**أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ**»: أي تعهد «**وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ**»: بعث وحث «**لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ والرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ**»: أذا اطلعوا علي ذلك «**وتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ**»: العنوان المتوسط بين الشين وجعل كناية عن من النساء واستعير للحرب التي قد تكررت والتحفظ تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة.

«**فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ**»: أن حرف الشرط يقتضي الفعل وارتفع أخذ عيونك فاعل ما اجتمعت والهاء عايدة إلى الجباية والجملة الفعلية صفة الجباية وجواب الشرط .

«**اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ**»: الأجماع «**شَاهِداً**»: علي جباية «**فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ووَسَمْتَهُ**»: أعلمته وشهرته.

«**بِالْخِيَانَةِ وقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ**»: ليكون غيره لغيرة «**وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ**»: الخراج «**وصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ**»: غيرهم «**ولَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِهِ ولْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ**»: شرعاً «**ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وأَهْلَكَ الْعِبَادَ ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا**»: من الزمان أو قليلاً من الأمر ولكل وجه «**فَإِنْ شَكَوْا عِلَّةً**»: في الزراعة «**أَوْ ثِقَلًا**»: زيادة على قدره «**أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ**»: نصيب من الماء «**أَوْ بَالَّةٍ**»:كناية عن الماء القيل قدر ما تنل به ويقال لا تبلك عينين بآلة أي لا يصيبك من ندى ولا خير.

«**أَوْ إِحَالَـةَ أَرْضٍ**»: بغيرهـا ممـا كانـت يقـال أجالتـا لأرض إذا لم تحمـل وتحـول بنقـل كأنهـا مـن الحـال التـي يمكـن أن تـزرع إلى غيرهـا والأرض المسـتوى التـي ليسـت بمسـتوية لأنهـا اسـتحالت عـن الاسـتواء إلى العـوج «**اغْتَمَرَهَـا غَـرَقٌ**»: سـترها وغلـب عليهـا «**أَوْ أَجْحَـفَ بِهَـا**»: أهلكتهـا.

«**عَطَـشٌ خَفَّفْـتَ عَنْهُـمْ بِـمَا تَرْجُـو أَنْ يَصْلُـحَ بِـهِ أَمْرُهُـمْ ولَا يَثْقُلَـنَّ عَلَيْـكَ شَيْءٌ خَفَّفْـتَ بِـهِ الْمُؤُنَـةَ عَنْهُـمْ فَإِنَّـهُ**»: أي التخفيـف «**ذُخْـرٌ يَعُـودُونَ بِـهِ عَلَيْـكَ فِي عِـمَارَةِ بِـلَادِكَ وتَزْيِـينِ وِلَايَتِـكَ**»: أي بالآخـرة يرجعـون بفائدتـه عليـك «**مَـعَ اسْـتِجْلَابِكَ**»: جلبـك «**حُسْـنَ ثَنَائِهِـمْ**»: في بعـض النسـخ: نياتهـم «**وتَبَجُّحِـكَ**»: سرورك «**بِاسْـتِفَاضَةِ الْعَـدْلِ**»: سـاعة وعمومـه «**فِيهِـمْ مُعْتَمِـداً**»: حـال مـن الـكاف «**فَضْـلَ قُوَّتِهِـمْ بِـمَا ذَخَـرْتَ عِنْدَهُـمْ مِـنْ إِجْمَامِـكَ**»: لراحتـك «**لَهُـمْ والثِّقَـةَ مِنْهُـمْ بِـمَا عَوَّدْتَهُـمْ مِـنْ عَدْلِـكَ عَلَيْهِـمْ ورِفْقِـكَ بِهِـمْ**»: أراد أنـك عليهـم مـن سـحاب فيضـك وعدلـك سـجال الأفضـال غرسـت في ريـاض قلوبهـم شـجرة محبتـك وزرعـت في أراضي صدورهـم حـب الثنـاء عليـك وحينئـذ تتـكل عليهـم وحـين الاحتيـاج تلتجـي إليهـم فيمدونـك بالأمـوال والمهـج.

«**فَرُبَّـمَا حَـدَثَ مِـنَ الأُمُـورِ مَـا إِذَا عَوَّلْـتَ فِيـهِ عَلَيْهِـمْ مِـنْ بَعْـدُ**»: أي مـن بعـد أن حدثـت قلوبهـم واعتمـدت بـما ذكـر «**احْتَمَلُـوهُ طَيِّبَـةً أَنْفُسُـهُمْ بِـهِ فَـإِنَّ الْعُمْـرَانَ مُحْتَمِـلٌ مَـا حَمَّلْتَـهُ وإِنَّـمَا يُؤْتَـى خَـرَابُ الأَرْضِ مِـنْ إِعْـوَازِ أَهْلِهَـا وإِنَّـمَا يُعْـوِزُ أَهْلُهَـا لِإِشْـرَافِ أَنْفُـسِ الْـوُلَاةِ عَـلَى الْجَمْـعِ وسُـوءِ ظَنِّهِـمْ بِالْبَقَـاءِ وقِلَّـةِ انْتِفَاعِهِـمْ بِالْعِـبَرِ**»: أي يفتقـر أهـل الأرض؛ بـأن يطمـع واليهـا عـلى جمـع المـال ويظـن أنـه سـيعيش ويبقـى طويـلاً ويطمـع في البقـاء ولا ينتفـع بهـلال مـن كان قبلـه مـن الـولاة وأمـا مـن وفقـه الله لرؤيـة حـال الـولاة السـابقة وأنهـم ﴿كَـمْ تَرَكُـوا مِـنْ جَنَّـاتٍ وَعُيُـونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَـامٍ كَرِيـمٍ

* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ﴾[1] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[2] يرى بعين اليقين، ويعلم علم اليقين أن مثل الحياة الدنيا ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[3] وواعظ نفسه المطمئنة يوماً فيوماً بل الساعة يذكره ويقول له يا خاطب الدنيا الدنية أنها شرك الردى، وقرارة الاكدار، دار متى ما أضحكتك في يومها أبكتك غداً، بعداً لها من دار غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يقتدى بحلائل الاخطار فأقطع علائق حبها، وظلا بها بلق الهدى ورقاهة الأشرار فيبتغي إلى ذخيرة يوم المعاد وتخفيف الظلم، والتنقل على العباد.

«**ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ**»: أجعل والياً «**عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ واخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الأَخْلَاقِ**»: فأنه حقيق بالاعتماد وهو يكون «**مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ**»: البطر شدة المزح والنشاط وقد بطر بالكسر وأبطره المال والبطر أيضاً الخير وأبطره إذ هناء ومن المراد به الجمع وهو مفرد اللفظ وأن جاز الجمع قال تعالى﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[4] ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[5].

«**فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ**»: فأن من يبطره الاكرام قد يجترئ على الإمام بحضرة جماعة من الأشراف العظام فيخالف وذلك يكون تنزيلاً من مرتبة وقد يفضى إلى عدم الاطاعة.

(١) سورة الدخان: الآية ٢٥ – ٢٧ .

(٢) سورة الدخان: الآية الآية ٢٩ .

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.

(٤) سورة يونس: الآية ٤٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

ويكون ممن «**لَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وإِصْدَارِ**»: اخراج «**جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ**»: أي على طريق الصواب «**عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ ويُعْطِي مِنْكَ**»: مثلاً «**ولَا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ**»: العقد الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلب كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيره أي يكون كيّساً متين الرأي ذكياً مخادعاً بقلب العدو من حال إلى حال.

(١)«**ولاَ يُجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ**»: وذلك لحمقه «**ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ واسْتِنَامَتِكَ**»: **استنام**: سكن وأطمأن إليه «**وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ولَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ التعرف**»: والتضيع وحسن الخدمة.

«**مِنَ النَّصِيحَةِ والأَمَانَةِ شَيْءٌ**»: الفراسة قوة الظن وحسن الظن في الأمور أسم من قولك تفرست فيه خيراً وهو متفرس أي ينظر ويتعرف ما عند فلان أي يطلب حتى عرفت، والتصنع تكلف حسن السمت والطريقة والعرب تقول: للرجل الجَلّد الرجل؛ فيجدون قوة صفته تلك وهي مراده وقوله فأن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم أي الرجال الجَلاد يطلبون «**ولَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا**»: أي تولوا «**لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ**»: فاقصد.

«**لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً**»: أثراً ووجها منصوبان على التميز .

---

(١) ورد في بعض متون النهج: لَكَ ولاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ.

«**فَإِنَّ ذَلِكَ**»: المذكور من الأحسية: والمعرفية «**دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ**»: أي لأجله «**للهِ ولِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ**»: وليت أمراً تقلدته.

«**واجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ**»: أي أجعل لكل أمرٍ سيداً ورئيساً منهم «**لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ولَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ومَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ**»: تغافلت عَنْهُ «**أُلْزِمْتَهُ**»: أي الزمت ذلك العنف مهما للشرط وجوابه، الرمية والمقصود النهي عن التغافل وأعلم أن الالتزام ضربان الإلزام بالتسخير من الله تعالى وبالقهر من الإنسان والزام بالحكم والأمر ومبنى الكلام هنا على التشبيه البليغ وجعل المشبه به كل نوع من الإلزام له وجه.

«**ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ وأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً**»: أي استوص نفسك بالبحار والضياع خيراً وأوص غيرك بهم خيراً أيضاً.

وأوصي واستوصي بمعنى إلا أن أوصي يكون للغير وأستوصي للنفس ومفعولاً أستوصى محذوفان والتقدير أستوصى نفسك خيراً ونحوه أباح وأستباح وقول النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم «استوصوا انفسكم»[1] وهنا حذف المفعول الثاني أيضاً لأن ما بعده تفسير له.

«**المُقِيمِ مِنْهُمْ والمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ**»: أي المسافر به وهو مفتعل من قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[2] «**والمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ**»: أي المنتفع بعمل بدنه أي يؤخر.

---

(١) لم يرد بالنص النبوي هذا «استوصوا أنفسكم» بل أن أصل الحديث «استوصوا بالنساء خيراً»؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٤ ص١٨٤؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٥ ص٣٧٢؛ شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي: ص١٩٣.

(٢) سورة النساء: ص ١٠١.

«**فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ**»: المنافع «**وجُلَّابُهَا**»: جمع حالب «**مِنَ الْمَبَاعِدِ**»: المواضيع البعيدة .

«**والْمَطَارِحِ**»: جمع المطرح وهو الأرض البعيدة.

«**فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ وحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ولَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا**»: حيث للمكان كحين للزمان عد عليه ما يقتضي إلا شفاق عليهم وفيه تنبيه على أنهم يحتملون المشقة، ولو عامل معهم بخلاف ذلك لم يجؤا، ولم يعاملوا فشد على ذلك الملك بفساد الرعية «**فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ**»: أي التجار أولوا سلم.

«**لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ**»: داهيته.

«**وصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ**»: حقده شبههم أولا يعدو دخل في معرض السلم والمصلح ثم جعلهم نفسهما في المبالغة في رعايتهم.

«**وتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ**»: جوانبها ونواحيها مستعارة للأرض هنا من حاشية الثوب وطرفه ثم نبه على أنهم وأن كانوا واجب الرعاية لكن إذا صدر عنهم قبيح يجب على الوالي نهيهم بقوله:

«**واعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وشُحّاً قَبِيحاً واحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ**»: أحتباساً من البيع لمنافع مخصوصة، ولذلك عرفها، وهي في الحنطة والشعير، والتمر، والزبيب، والسمن، والملح لأن الاحتكار لا يكون في شيء سوى هذه الأجناس، وهو أن يشتري في وقت الغلاء ولا يبيعه في الحال بل يدخره لتغلوا.

«**وتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ**»: أي يجعل الحكم له فيها له لأنه يفعل خلاف ما أمرته.

«**وذَلِكَ**»: الاحتكار «**بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ**»: فأن الرعية يقنطون منهم ويليق بحال الولاة سلوك الطريق فيها سعة للرعية.

«**فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ**»: حذف المفعول لأنه معلوم وليلاً يتوهم الاختصاص.

«**فَإِنَّ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مَنَعَ مِنْهُ**»: قال صلى الله عليه [وآله] وسلم «من أحتكر فهو خاطئ الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[1] وقال: «من أحتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء فقد برئ من الله وبريء الله منه»[2] «**ولْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً**»: فيه نوع من الجود يقال: سمح به: جاد به.

«**بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ**»: لا يهلك «**بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ والْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ**»: خالط «**حُكْرَةً**»: بضم الحاء وكسرها أي الأحتكاراً.

«**بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وعَاقِبْهُ**»: من قبيل التفسير «**فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ثُمَّ اللهَ اللهَ**»: قد سبق بسيان أعرابه«**فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ «والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَى**»: ضد العمى «**والزَّمْنَى**»: جمع الزمن وهو المبتلى المعروف: «**فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً**»: سائلاً «**ومُعْتَرّاً**»: الذي يعترض ولا يسأل فيفحص عن أحوالهم ولا يغفل عن حالهم والغرض البينية على الثاني.

---

(١) ورد مقدمة الحديث في أغلب المصادر: وهو (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) يُنظر: الكافي للشيخ الكليني في الكافي: ج٥ ص١٦٥، التوحيد للشيخ الصدوق: ص٣٩٠، من لا يحضره الفقيه أيضاً للصدوق: ج٣ ص٢٢٦ وكذلك عين نص الحديث في سنن أبن ماجه: ج٢ ص٧٢٨؛ السنن الكبرى لاحمد بن الحسين البيهقي: ج٦ ص٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص ٣٣؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٢ ص١٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٤ ص١٠٠.

«**واحْفَظِ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ**»: وفي شأنهم من الزكوات والصدقات.

«**واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الإِسْلَامِ**»: جمع صاف وهي الأرض العتمة.

«**فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلأَقْصَى**»: لا بعد مِنْهُمْ «**مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى وكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ولَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ**»: دهش يعتري من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها قال تعالى ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾[1] «**فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ**»: الحقير «**لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ**»: أي لا تدهنه من مراعاتهم .

«**ولَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ**»: أي لا تكثر عليهم.

«**وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ**»: يزدريه وتحتقره.

«**الْعُيُونُ وتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ**»: وقضا مهماتهم.

«**ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ**»: ليرعى جانب الحق ولا تكسر قلوبهم.

«**فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ**»: حتى يجعلها حاصلة «**ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ**»: بأبداع العذر «**إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ**»: لأجل فقرهم ومسكنتهم .

«**وكُلٌّ فَأَعْذِرْ**»: فاعذر: أقم العذر «**إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ**»: أي انت إذا قضيت الحقوق خرجت عن عهدة الجواب يوم الحساب وإلا لا، وفي الخبر «ما من مسلم يلي عشرة فما فوق ذلك إلا آتى يوم القيامة مغلولاً يداه إلى عنقه، فكه

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

بره، أو أوبقه أثمه، أولاها ملامة وأوسطها ندامة وأخرى عذاب يوم القيامة»[1] وقوله: أولها ندامة اشارة إلى من يتصدى للولاية فالغالب أن يكون غير مجرب للأمور بنظر إلى ملذاتها ظاهره فيحرص في طلبها ويلزمه أصدقاؤه ويراعيهم ولا يلتفت إلى حال أكثر الرعية سيما الفقراء ثم إذا باشرها ولحقته تباعاتها وما يؤل إليه من وخامة عاقبتها يندم وفي الآخرة خزي ونكال.

«**وتَعَهَّدْ**»: راع ويحفظ «**أَهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ**»: أي الشيوخ الكبار الذين بلغوا في السن غاية يُرق لهم ويرحم.

«**مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ولَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ**»: قال: صلى الله عليه [وآله] وسلم «أنا وكافل اليتيم أو لغيره في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»[2] «من مسح راس يتيم لم يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة يمر عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين من أوى يتمياً إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»[3] وأما الشيوخ فقد قال صلى الله عليه [وآله] وسلم في شأنهم وندبنا في اكرمهم، ما أكرم شاب شيخاً من أهل شيبة إلا قيض الله له عند شيبته من يكرمه، أن من أجلال إكرام ذي الشيبة المسلم وغيرهما.

«**وذَلِكَ**»: المذكور من التعهد وغيره.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٢٦٧؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٥ ص ٢٠٥ أبن الأثير في أسد الغابة: ج ٢ ص ٢٨ بلفظ مختصر.

(٢) شعب الإيمان لاحمد بن الحسين البيهقي ج ٦ ص ٢٨٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٢٥٠؛ فتح الباري لابن حجر: ج ١١ ص ١٢٧؛ عمدة القاري: للعيني: ج ٢٢ ص ٣٠٦ .

«**عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ**»: لحرصهم ومحبتهم الدنيا «**والْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ**»: لأنه خلاف ما تدعوا إليه الطبيعة.

«**وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ**»: حسبوها على إقامة العدل وهو حبس النفس عن الجزع «**فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ**»: حبسوها على إقامة العدل وهو حبس النفس عن الجزع.

«**ووَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً**»: من الأيام والساعات «**تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ**»: ولا تجعله مشغولاً بغيرهم.

«**وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً**»: لا يختص ببعض دون بعض لئلا يحرم بعضهم .

«**فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ**»: ورفع مكانك «**وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ**»: قيل سموا بها بذوي علامة يعرفون بها وقيل لكونهم أرذل الناس.

«**حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ**»: التعتعه في الكلام التردد فيه من حصر وعى وتعتعت الرجل اقلعته وروي متعتع بكسر الباء وفتحها اسم الفاعل من الأول والمفعول من الثاني.

«**فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ**»: أي في غير موضع واحد.

«**لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ**»[1]:

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص١٤٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي ج٤ ص١٧٩؛ وشرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي ص١٩٠؛ و ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري: ج٣ ص٣٩٦ .

التقديس التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى ويطهركم تطهيراً دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة أي لن تطهرهم يد العناية الإلهية من الأخلاق الذميمة وفيه وعيد لهم أيضاً فأن ذوي أخلاق الشر يستحقون النار.

«**ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ**»: ضد الرفق «**والْعِيَّ**»: الجهل فأن ذلك الاحتمال من الخصال المرضية والحلال المستحسنة عند الله وعند الناس «**ونَحِّ**»: بعد «**عَنْهُمُ الضِّيقَ**»: البخل يقال: ضاق الرجل بخل والضيق الفقير وسوء الحال وحمله على هذا المعنى فيه احتمال وتوجيهه أن من ينتهي بالآخرة إلى ما ذكر فالمقصود النهي عن خلاف ما أمر به فيكون كالتأكيد له «**والأَنَفَ**»: الاستكشاف: نظراً إلى رفعه شأنك ودناءة شانه فأن ذلك من الوسوسة الشيطانية .

«**يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ**»: التعقيد «**أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ**»: فأن من دَق دُق ومن يَرحم يُرحم من جاء فله عشر أمثاله ومن جاء بالسنة فلا يجزي إلا مثلها.

«**ويُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وأَعْطِ**»: وفي بعظ النسخ وأعظه «**مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً**»: مهيناً كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا وخامة يقال: هنوء فهوا هنيء قال: تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] .

«**وامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وإِعْذَارٍ**»: إقامة عذر فأن ذلك لا يليق بالكريم.

«**ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا**»: يعجز «**عَنْهُ كُتَّابُكَ ومِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ**»: يضيق «**بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ**»: أراد قضاء حوائج لا يفتح بها أنفس الأعوان ولا بد للحاكم أن يلتفت بنفسه إلى ذلك.

(١) سورة الطور: الآية ١٩.

«**وأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ**»: وما هو حقيق له «**فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ**»: فأن لكل ما فيه ولا يؤخر فأن في التأخير آفات.

«**واجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الله أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ**»: جمع الميقات وذلك ما بحسب الوقت وهو أوقات الصلاة والمناجاة وأما بحسب التوجه إلى الله فأن كل وقت يكون كذلك فهو أفضل من غيره.

«**وأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ**»: والإخلاص «**وسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ**»: لكن الأوقات مختلفة بعضها.

«**ولْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لله دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً**»: يصب على الحال من الضمير المستكن في له والعامل فيها معنى الفعل الذي دل عليه اللام في له وفيه تنبيه على أن الفريضة ينبغي أن يكون في بيتك خاصة له برية من الرياء والسمعة ومن أول الأحرام إلى آخر السلام لا يلتفت إلى غير الله.

«**فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ ونَهَارِكَ**»: من للتبعيض أي بعض يديك والإعطاء هنا استعارة لشغلها بالصلاة من حيث أن كلاً منهما سبب للقرب.

«**ووَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى الله مِنْ ذَلِكَ**»: المذكور «**كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ**»: منكسر «**ولَا مَنْقُوصٍ**»: الأول أشارة إلى تمام الأركان وعدد الركعات والثاني إلى مراعات الأبعاض والهيئات وللتعميم وجه وجيه.

«**بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ**»: نصب على الحال من قوله: ما تقربت والعامل فيها وقت وفيه إشارة إلى أن لك الاختيار في التطويل والتقصير بعد الرعاية المذكورة.

«**وإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولَا مُضَيِّعاً**»: بالتقصير المخل

فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ولَهُ الْحَاجَةُ وقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً»[1]: مزيد على الجواب **وأَمَّا بَعْدَ**: أي بعد الاشتغال بما تقربت به إلى الله.

«**فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ**»: استتارك بالحجاب «**عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ**»: قطعة «**مِنَ الضِّيقِ**»: البخل فأن البخل كما قيل بيان حسب الأعراق وسوء الأخلاق وذلك شعبة منه ظاهر.

«**وقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ**»: فيه مبالغة لطيفة أي الاحتجاج سبب قلة العلم بالأمور ثم بين ذلك بقوله:

«**والِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ**»: احتجاب الولاة «**يَقْطَعُ عَنْهُمْ**»: عن الولاة «**عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا**»: ما حجبوا عنه «**دُونَهُ**»: وذلك يفضي إلى انقلاب الأحوال «**فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ ويَعْظُمُ الصَّغِيرُ ويَقْبُحُ الْحَسَنُ ويَحْسُنُ الْقَبِيحُ**» وذلك لأنهم كانوا محجوبين غير مشاهدين أحوال الرعية يكون عملهم بأحوالهم والمعلم قل ما يخلوا عن الغرض وذلك يفضيه إلى أن يقول غير ذلك بقوله: «**ويُشَابُ**»: يخلط «**الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ**»: ثم أشار إلى علة ذلك بقوله: «**وإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ ولَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ**»: علامات «**تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ**»: أي أنواعه ثم أشار إلى أن الولاة قسمان قسم تستحي به

---

(١) الطبقات الكبرى: لأبن سعد: ج ٧ ص ٤٠؛ ولكنه نسب قول النبي صلى الله عليه وآله هذا إلى عثمان أبن العاص وبالواقع هو من النبي إلى الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام؛ المبسوط للسرخسي: ج ١ ص ١٤٠؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري: ٥٣٩؛ اختيار مصباح السالكين لابن ميثم البحراني.

نفسه فيجود ولا يحتجب من الرعية ويعمل كما قاله النبي والوصي، وقسم يبخل محجوب وذلك سبب لقنوط الرعية عنه والمنع عن مسألتيه وذلك قوله تعالى على سبيل منع الجمع والخلو.

«**وإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ**»: جادت «**نَفْسُكَ**»: الثقات لطيفة «**بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ**»: أي لا يكون احتجابك «**مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ**»: أي تعطيه «**أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ**»: أي البخيل يمنع الحقوق.

«**فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا**»: قنطوا «**مِنْ عَدِلْك**»: وفي بعض النسخ بَذْلِكَ والثاني من الولاة قبيح .

«**مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ**»: شكاية «**مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ**»: وذلك لا يقتضي الاحتجاب والمحتجب من أمثال ذلك ليس بمعذور شرعاً ولا عقلاً «**ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً**»: أي أخص أصحابه مستعارة من بطانة الثوب وقد سبق كلام في بيان الخبر المذكور.

«**فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وتَطَاوُلٌ**»: طلب الفضل «**وقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ**»: فاقطع «**مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ ولَا تُقْطِعَنَّ**»: من الأقطاع «**لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ**»: خدمك «**وحَامَّتِكَ**»: قرابتك «**قَطِيعَةً**»: إقطاعاً فأن ذلك بجلب النخوة والترفع «**ولَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ**»: أراد الصنعة «**تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا**»: العقدة «**مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ**»: نصيب من الماء «**أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ**»: الذي ضربته «**لَهُمْ دُونَكَ وعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ**»: أما الدنيا فلأنه يقع في السنة الرعية ويعيبونه، وأما في الآخرة فلأنه يهان به حين الحساب.

«**وأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ والْبَعِيدِ**»: ولا ترجيح القريب لقربه على البعيد «**وكُنْ فِي ذَلِكَ**»: الفعل «**صَابِراً مُحْتَسِباً**»: طالباً للآخرة والثواب «**وَاقِعاً ذَلِكَ**»: الإلزام «**مِنْ قَرَابَتِكَ وخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ**»: أي ولا فرق بين قريب وقريب في هذا الحكم.

«**وابْتَغِ**»: اطلب «**عَاقِبَتَهُ**»: ثوابه «**بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ**»: عاقبة «**ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ**»: لأنه سلوك الطريق المستقيم والمنهج القويم.

«**وإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً**»: ميلاً عن الحق وجوراً في الحكم .

«**فَأَصْحِرْ**»: أظهر «**لَهُمْ بِعُذْرِكَ واعْدِلْ**»: اصرف «**عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ**»: بأضهارك العذر «**فَإِنَّ فِي ذَلِكَ**»: الإصحار[1] «**وإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ**»: تأديبهم وإصلاحهم.

«**عَلَى الْحَقِّ ولَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولله فِيهِ رِضاً**»: وهوما يكون فيه مصلحة دينية ويكون الصلح خيراً.

«**فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً**»: راحة «**لِجُنُودِكَ ورَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ**»: أحزانك فأن من أراد أن يحارب العدو ويعترض له أنواع وأصناف الغموم بحسب الأوقات حتى ترجع ويستقر في مكانه «**وأَمْناً لِبِلَادِكَ**»: فأن العسكر المنهزم كثيرهم بل أكثرهم يعتصمون برسن[2] السوق وبذلك يرتفع الأمن «**ولَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ**»: صالح وأظهر التقرب «**لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ**

---

(١) ورد في بعض متون النهج: رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ.

(٢) الرسن: الحبل، وجمعه الأرسان، و المرسن: الأنف، و جمعه المراسن: يُنظر العين للخليل الفراهيدي: ج٢ ص٢٤٢ .

بِالْحَزْمِ واتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ»: فأن العداوة بين الملوك المتعادين حيلته وما بالذات لا يزول بالغير.

«**وإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً**»: أسم لما يعقد كناية عن العهد «**أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً**»: شبه الذمة للالتباس كما يدفع اللباس مضرة الملوك المتعادين حلته وما بالذات لا يزول بالغير.

«**فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وارْعَ**»: وأحفظ «**ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ**»: الجنة الترس وهنا كناية أي اجعل نفسك وقاية دون ما أعطيته من العهد.

«**فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ**»: أشد مبتدأ ثانٍ ومن تعظيم الوفاء خبره والمبتدأ الثاني مع خبره خبر المبتدأ الأول ومحل الجملة نصب لأنه خبر ليس ومحل ليس مع أسمه وخبره ورفع لأنه خبره خبر قوله: فأنه وشيء أسم ليس ومن فرائض لو كانت متأخراً لكان صفة لشيء والآن لما تقدم فهو حال كقول الشاعر:

لعزة موحشا طلل قديم ... عفاها كل أسحم مستديم

والمراد أن الناس وأن الناس وأن كانوا مختلفين في الآراء كل يعمل بحسب رأيه إلا أنهم متفقون على أن نقض العهد قبيح والوفاء به حسن والأمر بوفاء العهد في التنزيل الكريم كثير وفي الخبر النبوي كذلك وقد ذكرت نبذ منهما فيما سبق ثم أشار إلى الكفار لا تعذرون فيما بينهم لما عملوا من سوء عاقبة الغدر وذلك قوله:

«**وقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ**»: يعني إبقاء العهد فيما بينهم لما علموا من سوء عاقبة الغدر وذلك قوله: [1] «**فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ**»: أراد أن ذلك محفوظ عند المشركين «**لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ**»:استوبلوا من الوبال الجوهري: استوبلت البلد استوجهه وذلك أذا لم يوقفك في بدنك وإذا عرفت قباحة الغدر واتفاق الناس عليها.

«**فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ولَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ**»: معانيها واحد.

«**ولَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ**»: أي لا يخدعنك. «**فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى الله**»: بمخالفة أمره ونقض العهد؛ «**إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ**»: ذهب به إلى الفضاء «**بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ**»: كنى بالإفضاء عن الاشتهار وشبه العهد بما يذهب به إلى الفضاء في عدم الأحقاد والخفاء وذلك لم يكن إلا برحمته وفضل منه أذ ليس بواجب على الله اللطف.

«**وحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ**»: حفظه شبه بالجريمة في أن كلاً منهما سبب الحفظ فاستعير له أراد أن الله جعل عهده أمناً ليسكن برحمته إلى منعته ويقال فلان في عز ومنعة بالتحريك وقد يسكن.

عن السكيت: ويقال: المنعة جمع المانع مثل كافر وكفرة أي هو في عز ومنعة من عشيرته. «**ويَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ**»: أي يسلمون بالكسرة إليه والمستفيض الذي يسيل مثل إفاضة الماء وغيره وفاض الماء كثر حتى سال وقيل أي يفزعون إلى جوازه بسرعة وهو قريب مما ذكرناه، شبه العهد بالملك في أنه يفزع إلى جواره ليحفظ كذلك يفزع إلى العهد وجوازه.

---

(١) ورد في بعض متون النهج: المُشْرِكُونَ.

والاستفاضة ترشيح وإذا عرفت شأن العهد.

«**فَلَا إِدْغَالَ**»: فلا فساد «**ولَا مُدَالَسَةَ**»: أي لا تلبيس ولا مخادعة بقوله:

«**ولَا خِدَاعَ فِيهِ**»: من قبيل التفسير «**ولَا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ**»: كناية عن أحكام أركانه وشبه ما يعرض له بالعلل في أن كلاً منهما سبب الفساد فأستعير لفظه.

«**ولَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ والتَّوْثِقَةِ**»: الأحكام وقد سبق الكلام في بيان التوثقة ظاهر قول من يقول: أن العدو ونقضوا عهدك وهم على المحاربة بعد تأكيد العقد وقيل تعتمد على العدول عن الصواب.

«**ولَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ**: انكشافه **وفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ**»: عقوبته أراد أنك إذا ضاق عليك جهات عسكرك لا تنقض العهد لأجل سمعتهم فأن الصبر مفتاح الفرج والصبر على ضيق الدنيا خير من عقوبة العقبى.

«**وأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ**»: مطالبته ومؤاخذه عطف على غدر.

«**لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ ولَا آخِرَتَكَ**»: صفة لقوله طلبه أي لا يستقبلك دنياك فالمفعول محذوف: «**إِيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ**»: عقوبته.

«**ولَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ولَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا**»: هذا في الدنيا.

«**واللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»:

وإذا عرفت مضرة سفك الدما.

«**فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ**»: ملك «**بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ**»: السفك «**مِمَّا يُضْعِفُهُ**»: الملك «**ويُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ ويَنْقُلُهُ ولَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ الله ولَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ**»: وهو أن يقصد الفعل والشخص ويكون محضاً، وإلا فأن لم يقصد الفعل أو قصد ولم يقصد الشخص فخطأ فلو قصد أصابه أحد رَجُلين فخطأ وأن لم يكن محضاً فشبه العمد، وهو أن يقصد الفعل والشخص بما لا يقتل غالباً وكثير من العلماء قالوا إذا ضربه عمداً بما يموت به غالباً فمات منه فهو عمد، فأن لم يمت به غالباً فمات منه فشبه عمد، وأشار إلى أن لا غدر بقوله: «**لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ**»: أي في العمد القصاص ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1] «**وإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَأٍ وأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ**»: أفرط في الأمر أي جاوز فيه بالعقوبة عجلت بها فأن الزكاة الضربة بالكف مجموعة.

«**فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ**»: الضربة بالكف مجموعة .

«**فَمَا فَفَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلَا تَطْمَحَنَّ**»: لا ترفعن «**بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ**»: تكبر ملكك.

«**عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ**»: فأنك تكون ظالماً وقد عرفت نبذاً من خطراته.

«**وإِيَّاكَ والإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وحُبَّ الإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ**»: المذكور من الاعجاب والثقة والمحبة.

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٥ .

«**مِنْ أَوْثَقِ**»: أشد وأحكم.

«**فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ**»: يهلك ويبطل «**مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وإِيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ**»: تكلف الزيادة «**فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ**»: فأن الله سبحانه نهى عن ذلك﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[1] «**أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ والْخُلْفَ**»: خلاف الوعد.

«**يُوجِبُ الْمَقْتَ**»: البغض والغضب «**عِنْدَ الله والنَّاسِ**»: أما عند الناس فظاهر ويعلم بالوجدان وأما عند الله **قَالَ اللهُ سبحانه**: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ**﴾[2] ضمير مقاتل فاعل أي أكبر المقت مقتاً وأضمر على شريطة التفسير وحسن أن كبر يكون مقتاً خبراً للقول لأنه بمعنى الذم تقديره قولكم ما لا تفعلون مذموم كقولك زيد نِعم الرجل رجلاً فزيد مبتدأ وما بعد الخبر وليس فيه عائذاً لأن معناه المدح والتقدير، زيد الممدوح ومقتاً نصب على الحال ومحل أن يقولوا رفع على الابتداء أي قولكم ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أو على إضمار مبتدأ أي هو أن يقولوا ثم نهى عن التعجيل بقوله:

«**وإِيَّاكَ والْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا**»: أوقاتها والتثبط فيها.

[3]«**عِنْدَ إِمْكَانِهَا**»: أي التهاون فيها والتكاسل عند أمكان تلك الأمور.

«**أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ**»: حقيقة «**فَضَعْ**

(١) سورة المدثر: الآية ٦.

(٢) سورة الصف: الآية ٣ .

(٣) ورد في بعض متون النهج: أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا.

كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ وإِيَّاكَ والِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ»: التقدير أحذرك الأستيثار وإياك أعني بهذه الوصية وفي ذلك تحذير عن أخذ حق المسلمين كلهم لأجل نفسه خاصة فما موصولة والمبتدأ والخبر بعدها صلتها أي الناس فيه سواء.

«**والتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ**»: أي التغافل عن الذي وجب عليك أن يحفظ وقيل أي الذي جعل عنايتك عفوية وترى كل عين ناظرة وحرمه عليك لغيرك.

«**فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ**»: فيرى الحسنات والسيئات توحيله.

«**ويُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ إِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ**»: أضافها إلى الأنف تأكيداً وحمت عن كذا حمته أذا أنفت منه.

«**وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ**»: جملتها «**وغَرْبَ لِسَانِكَ**»: أي حديه .

«**واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ**»: منع «**الْبَادِرَةِ**»: النادرة الغضب عمداً أو خطأ وأصلها الحدة يقال: خشى عليك بادرته.

«**وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ**»: أراد أوان اشتعال نار الغضب يذهب زمام الاختيار من يدك ويسلط عليك القوة الغضبية .

ولَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ»: الكف «**مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ**»: فأن ذلك أمانة القوة الغضبية إذ لا يثور من الدنيا وخضرتها والمقصود النهي عن ذلك في الأمور الدنيوية ولا يكون إلا فيها فأنه ثوران دم القلب أراد

الانتقام ولذلك قال: عليه السلام أتقوا الغضب فان جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه.

«**والْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ**»: حديث «**عَنْ نَبِيِّنَا صلّى الله عليه وآله وسلّم أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ الله فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا**»: أي أوصيت أليك في وصيتي هذا أو فائدة هذا العهد كانت عامة شائعة لجميع المسلمين وأن لم يكن إلا اشتر عمل به فأنه توفي عن قليل بعد ذلك.

«**واسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا**»: أرد أني قد خرجت عن العهدة فأن على التضحية لك وقد نصحت فلو ذهبت إلى غير هذا الطريق فلي عليك حجة ولا عذر على النصيحة لك ومن أجل عدم التعليم وقوله كيلا يكون ثمرة هذه الوصية فلو لم يوص بها كان له عذر الجهل عند تسرع نفسه إلى هواها.

«**ولا يُوَفَّقْ للخَيرِ إِلْا الله**»: كثرة خيره «**وتَعْالَى**» عما يقول الظالمون في شأنه علواً كبيراً.

«**وقد كان فيما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم في وصاياه تخصيصاً**»: بالنصب وقع والظاهر الرفع.

«**الصلاة والزكاة**»: فأن اهتمام الشارع بشأنهما كثيراً.

وما ملكت إيمانكم»: ورغب إلى محافظته ومراعاته.

«**فبتلك**»: الوصية «**أختم لك بما عهدت ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»: ومن

هـذا العهـد وهـو آخـره:

«**وأَنَـا أَسْـأَلُ الله بِسَـعَةِ رَحْمَتِـه وعَظِيـمِ قُدْرَتِـه عَـلَى إِعْطَـاءِ كُلِّ رَغْبَـةٍ**»: مرغـوب كل شـخص: فـأن يـداه مـلآى لا تغيظهـا نفقتـه سـجا الليـل والنهـار أرأيتـم مـا أنفـق مـذ خلـق السـماء والأرض فـأن لم يغـض مـا في يـده.

«**أَنْ يُوَفِّقَنِـي وإِيَّـاكَ لِمَـا فِيـه رِضَـاه مِـنَ الإِقَامَـةِ عَـلَى الْعُـذْرِ الْوَاضِـحِ إِلَيْـه**»: زمـن الحسـاب **وإِلَى خَلْقِـه**: أراد أن يوفقنـي وأيـاك لمـا لا يؤاخـذ بـه ولا يعتـبر بسـببه.

«**مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وجَمِيلِ الأَثَرِ**»: أي العمل.

«**فِي الْبِـلَادِ وتَمَـامِ النِّعْمَـةِ وتَضْعِيـفِ الْكَرَامَـةِ وأَنْ يَخْتِـمَ لِي ولَـكَ بِالسَّـعَادَةِ والشَّـهَادَةِ**»: فإنـما الأعـمال بالخواتيـم فـأن مـات الشـخص عـلى الإيـمان والطاعـة علـم أن أعـمال الصالحـة مفيـدة لـه وسـبب لنجاتـه مـن النـار وأن مـات نعـوذ بـالله عـلى الكفـر والمعـاصي، يتبـين أن أعمالـه الصالحـة صـارت ضائعـة غـير مفيـدة ولهـذا لا يجـوز لأحـد أن يشـهد بكـون أحـد مـن أهـل الجنـة أو مـن أهـل النـار أو مـن إلا مـا جـاء النـص بأنـه مـن أهـل الجنـة أو النـار ولاكـن مـن رأينـاه مشـتغلاً بالأعـمال الصالحـة نرجـو لـه السـعادة مـن غـير أن نقطـع ومـن رأينـاه مشـتغلاً بالأعـمال القبيحـة يخـاف عليـه الشـقاوة مـن غـير أن يقطـع.

﴿**إِنَّـا إِلَيْـه راجِعُـونَ**﴾[1]: لأن الدنيـا كان سـجن أوليـاء الله وقـد اسـتعد لأدراك أعمالـه وحلالـه والرتـع في ريـاض أنسـه ولا يكـون ذلـك إلا بالأعـمال السـيئة والخصـال العليـة وقـد كان عليـه السـلام يتـلألأ وجـه مـن كثـرة عبادتـه ويثـور باطنـه ولـذا قـال

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

صلى الله عليه النضر ((إلى وجه عليه السلام عبادة)) [1] ومعناه على ما قيل أنه عليه السلام كان إذا برز قال الناس لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى كانت رؤيته يحملهم على كلمة التوحيد.

والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآلِه وسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً: وأعلم أنه عليه السلام ختم الوصية بما فيه جذب إلى ما عهد به ونبه على أن العمل بمقتضاها يحصل بالأمداد السماوي والإسعاد الإلهي ونبه أيضاً على أنه ينبغي أن ختم الكلام بدعاء الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم فأنه منشأ الخيرات ومنبع البركات والله الموفق.

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي: ص١٩٩؛ شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ص٥٧٩؛ المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الشيعي: ص٢٩٣؛ المناقب لابن المغازلي: ص١٧٣؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٢ .

المحتويات

ومن كتاب له عليه السّلام إلى جرير بن عبد الله البجلي، لما أرسله إلى معاوية -- ٧

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله وهو عبد الله بن العباس: -- -- -- -- ١٨٧

ومن وصيّة له عليه السّلام للحسن والحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله -- ٢١٤